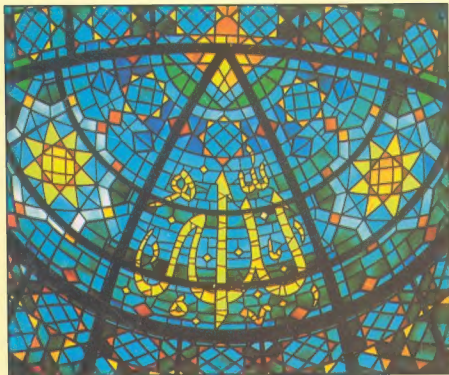


المنهل

AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٧٦) المجلد (٦٣) العام [٦٧] رجب وشعبان ١٤٢٢ هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠١ م



الإسلام والفنون الجميلة

الرحابة
.. محدثون وفقهاء
إنهم يستلون
من الإسلام خلاصة فكره

الأندلس
في ذكره التاسعة عشرة
عروة لتكريمه



الأمير الشاعر
عبدالله الفيصل
تكريم .. ووفاء



د. جابر عصفور:

الراوية أقدر على
التقاط تفاصيل الحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

الموقف

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م



توزيع

المركز الرئيسي

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١

٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٩١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٢٢

المنهل

رجب وشعبان ١٤٢٢ هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠١ م

مواقف

الاهتمام الداخلي والخارجي في الاسلام



الاسلام دين عام للبشرية خالد، ولذلك كان من مبادئه اهتمام بآتيه بشؤون بعضهم الداخلية، واهتمامهم كذلك بالشؤون الخارجية التي تمت صلة الى حياتهم في حاضرم ومستقبلهم.

ولسنا نقول هذا من باب اطلاق الكلام على عواهنه... ففيمما يتعلق بالاهتمامات الداخلية ورد في الحديث النبوي: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

والاهتمام كلمة عامة شاملة يتدرج في مفهومها الفضفاض، كل ألوان الاهتمام من تفكير ومباحثة ومراجعة ومعالجة للمسائل واحاطة بمجرى الأمور العامة ومحاولة لتوجيهها الى المصلحة الاسلامية المنشودة. ان المسلم بالنسبة للمسلم في أي مكان من الارض لجزء متمم له لا يتجزأ منه ولا تنقسم عراه عنه.

وقد كان في هذه الظاهرة العميقة، وفي هذا المبدأ الانساني الحميد الذي يهدف اليه الاسلام ربط محكم العرى والخطات بين أبناء الاسلام مهما امتدت بهم الديار، وتباينت الظروف، كما كان سباجاً محكماً متيناً وحصناً حصيناً وصخرة النجاة العليا التي يلتجئ اليها العالم الاسلامي قديماً وحديثاً كلما حزب بعضه أمر أو داهمته غاشية من احتلال أو استعمار أو استثمار... فزرى للمسلمين ينهضون وينهضون من أطراف المعمورة تتجاوب صرخاتهم وتتدافع رماحهم وسيوفهم ومقدراتهم لغوث اخوانهم المضطهدين أو المنكوبين. لقد شاهدنا مفعول تحقيق هذا المبدأ الاسلامي حينما نلت صيحة حزينة من «هاشمية» وقعت في أسر الروم، ايام خلافة المعتصم العباسي... حيث صرخت من هناك في قيودها: (وامعتصماه) فباجها جواب المعتصم من بغداد مثقال في ألوف السيوف المصلطة والركائب والخيول الطهمة التي انقضت بها أسرها ولقت الروم درساً اسلامياً يبلغ المدى.

ورأينا مفعول تطبيق هذه الظاهرة الاسلامية العربية أخيراً حينما طغى الاستعمار الغربي على اخواننا في ارض الجزائر العربية المسلمة، وهم بالنسبة لجاورهم من وراء خط المحيط كالشامة في جلد الثور الاسود، فتجاوبت صيحات العالم العربي والاسلامي في شتى اقطار الارض متنادية بطرد ذئاب الاستعمار عن (باب الممي).

ورأينا ذلك ايضاً حينما حاول الغرب أن يلتهم مصر وسورية ولبنان والسودان وغيرها من بلاد العربوية والاسلام...

هذا فيما يختص بمبدأ الاهتمامات الداخلية... وأما الاهتمامات الخارجية في نظر الاسلام، فلأنه دين عام خالد يسعى للقوة ولحماية ظهر المسلمين، ودفع الغوائل عنهم من بعيد وعن قرب فإنه ادخل هذه الاهتمامات بالشؤون الخارجية في اطاره.

«عبد القدوس الأنصاري»

شعبان ١٣٨٠ هـ

فبراير ١٩٦١ م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم

مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس

عمان ٦٠٠ بييسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس

موريتانيا ١٠٠ أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

لقطة

صاحب المجلة

رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس
الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارئ

عزيزتي القارئة

هذه المجلة تشمل في العديد من صفحاتها أبحاثاً ثرائية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلاً عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

إشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.



آثار إسلامية عربية من الأندلس

جسدة ت: ٦٤٣٢١٢٤

قيمة الاشتراك السنوي

للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.

قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

الاشتراكات

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة

تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥



- ٤ - مشروع ترميم آثار الدرب الأصفر .
- د. خالد عزب
- ١٠ - الشاعر عبد الله الفيصل.
- ٣٨ - القرآن الكريم وحركة الارادة.
- د. عبد العزيز الخطابي
- ٤٢ - شق السماء بنوره .
- شعر - عبد الله علي الاقزم
- ٤٤ - في القصص النبوي (قصة ادريس عليه السلام).
- د. عبد الباسط حموده
- ٤٨ - نحو تفعيل مؤسساتنا الاسلامية .
- د. عبد الحليم عويس
- ٥٦ - العنوان وتظهر الآخر.
- عبد الرحمن تيرماسين
- ٦٢ - أحماض أدبية [١٦] (الآية الباهرة في رحلة الطائفة).
- د. احمد عطية السعودي
- ٦٦ - ادبيات من الخليج العربي [٧] (مى الذكر).
- عبد الله الشباط
- ٦٨ - الاسلام والفنون الجميلة (١) .
- د. محمد عمارة
- ٧٤ - أمراء الحرم عبر التاريخ [٦] .
- السيد ضياء محمد عطار
- ٧٨ - وقفات مع التعريب فى المملكة العربية السعودية [٤ - ٤] .
- سعد بن هادى القحطاني
- ٨٢ - رحلة في المكتبة [١٨] (مرآة الاسلام) .
- د. محمد رجب البيومي
- ٨٦ - عبرات من مقلة الجرح (شعر) .
- حسن الصلبي
- ٨٨ - لقاء وحوار مع الدكتور جابر عصفور .
- مصطفى فوده
- ٩٢ - مجلة السائح العدد [١٢٩] .
- ١٠٨ - ايام عربية في شبه القارة الهندية .
- عبد القادر سيف الاسلام
- ١١٤ - قراءة في سيرة عبد الله بن حمد الحليل .
- د. عبد الله العسكر
- ١٢٠ - حسين بن قاسم العتيقي حياته وشعره .
- د. عماد محمد العتيقي

فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة

- الشعر: نصف دنياء .. أحبه ونأى به عن مناصب الدولة.
- ص ٦٩
- الرواية اقدر على النقاط تفاصيل حياتنا من الشعر.
- ص ٨٨
- ايام عربية في شبه القارة الهندية.
- ص ١٠٨
- نحو تفعيل مؤسساتنا الاسلامية.
- ص ٤٨
- العنوان وتظهر الآخر:
- ص ٥٦
- الحضارة الاسلامية ابداع في كل توجهاتها.

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الامرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريعة للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة

**وكلاء
التوزيع**

أما بعد

ما بين: العدالة المطلقة .. والظلم المطلق

العدالة: نظام عقائدي، يبحث عن الحق، في هدوء وثقة
وقتن ..

نظام لا يطعوه الهوى، ولا تطيش بموازينه أباطيل منمقة،
ولا أكاذيب سرابية خادعة ..

العدالة: دعا الاسلام للأخذ بها، وحث على احترامها ..
يقول سبحانه وتعالى: {وأمرت لأعدل بينكم} - {فلا تتبعوا
الهيئ التي أنعموا} - {ولا يجرمكم شئ من قوم على ألا تعدلوا} -
{ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون} - {أعدلوا هو أقرب
للتقوى} - {وإذا قاتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى} - {وإذا حكمتم
بين الناس أن تحكموا بالعدل} - {إن الله يامر بالعدل
والإحسان}.

الاسلام دين عدل، وأمه أمة عدل .. هذه حيثيات العدالة
التي يعرفها الاسلام ويعرفها المسلمون ..

أما أن تمنع أعلى البحار والمحيطات في كل أنحاء العالم
بكل وسائل الدمار تحت مسمى تنفيذ وتحقيق (العدالة المطلقة)
أو الحرب ضد الإرهاب من قبل البحث المتعقل في معرفة
من هو الجاني الحقيقي، فلا نجد مسمى لذلك غير (الظلم
المطلق).

الأمة الاسلامية في مجموعها أمة خيرة، تقيم الموازين
القسط في كل أنظمة حياتها، وتحفظ للأخرين حقوقهم ولا
تجور على أحد .. وهذا لا ينفي أن يكون فيها من هو خارج
متمرد عن انظمتها العادلة .. وبطبيعة الحال لا تؤخذ الأمة
بأكملها بجريرة خارج .. والإرهاب في دنيا اليوم غدا ظاهرة
عالمية في كل الشعوب، فلا سبيل لأخذ الكل بجريرة البعض ..
ولا تحول العدل الى ظلم.

أن تدمر مقومات بنيت الشعوب تحت مسمى محاربة
الإرهاب، من غير دليل أو حيثيات عدل، فهو الظلم المطلق.

أن يدمر العدو الصهيوني كل ما هو فلسطيني، ناساً
وأرضاً ويثني، وأن يذم المدافع عن أرضه وعرضه بأنه إرهابي،
على من سمع من كل العالم المتحضر، إنه الظلم المطلق ..

إذن:

العدالة، في مفهومها الصحيح المتزن العاقل، هي حضارة
.. أما دون ذلك .. فهو الظلم المطلق.

نبية عبد القدوس الانصاري



غلغاف هذه



غلغاف الساعة

١٢٤ - الفروق في اللغة [١٦] (الرجاء والطمع) .

د . ياسين بن ناصر الخطيب

١٢٦ - لغة النبات بين الرمز والحقيقة عند العربي .

د . حاتم بلخير

١٣٦ - التجربة التكنولوجية في القرن العشرين [٢] .

د . سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن

١٤٢ - الانصاري في ذكرى وفاته التاسعة عشرة .

١٥١ - مجلة هن العدد [١٣٢] .

١٧٢ - شذرات الذهب (٦٧) .

د . أبو حسام

١٧٦ - مسك الختام .

على العمري

.. فقرات مسئلة .. فقرات مسئلة ..

□ لغة النبات بين الرمز والحقيقة .

ص ١٢٦

□ الأنصاري الغائب الحاضر .

ص ١٤٢

□ الغربيون يستلون من الاسلام خلاصة فكره

ويضعون قبعة الغرب فوق حضارة العرب .

ص ١٤٤

الإعلانات:

يراجع بانشاها

الإدارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣.١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨.٩ -
الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال
لتوزيع الصحف/ البحرين/ النامة ٥٣٤٥٥٩.



- منزل السحيمي قبل الترميم -

مشروع ترميم آثار الدرب الأصفر

كوسيلة لزيادة الدخل القومي، وفي ظل سياسات العولمة التي تسود العالم يصبح التراث المعماري أهم مقومات الشخصية الحضارية لأي دولة. كما يصبح استثماره مقوماً هاماً من مقومات الاقتصاد الوطني.

من هذا المنطلق تبنت وزارة الثقافة المصرية مشروع الدرب الأصفر ليكون مشروعاً استثمارياً. بدأ هذا المشروع مثل أغلب مشروعات ترميم الآثار في مصر بفكرة ترميم بيت السحيمي الأثري

وضعت وزارة الثقافة المصرية خطة طموحة تهدف إلى المحافظة على تراث القاهرة المعماري، بعد سنوات طويلة من الإهمال في ظل سياسات ثورة يوليو التي اعتبرت الآثار الإسلامية، أحد خياراتها لكسب تعاطف الجماهير سواءً بإسكانهم فيها أو بإزالة هذه الآثار لإقامة مساكن شعبية مكانها، ولم تترك ثورة يوليو أهمية هذا التراث كأحد مقومات الشخصية المصرية، كما لم تترك أهميته



بقلم : د. خالد عرب - مصر

والتي اتضح خلالها أن ما كانت تعانيه آثار الدرب من ارتفاع نسب الرطوبة والمياه الجوفية، كان نتيجة لتهاك شبكة الصرف الصحي وتسريبها مياه الصرف في سراديب المنازل الأثرية وأسفل أساسها، وفي هذا الإطار تم تجديد شبكة المياه وشبكة توزيع الكهرباء وشبكة الهاتف.

العنصر الثالث: في مشروع ترميم الدرب الأصفر هو ترميم الآثار، الذي اعتمد على خبرات مصرية، وفي إطار مشروع الدرب الأصفر تم اندماج واجهات مباني الدرب في مشروع الترميم فأعيدت تكسيته بالأحجار ورممت بواباتها وعناصرها الفنية المميزة.

تبنت وزارة الثقافة المصرية محورا جديدا للدرب وهو تنمية الحرف التقليدية به التي يمارسها سكانه ومنها زخرفة النحاس بالحز والحفر والتكفيت بالقصة. وهذه المنتجات النحاسية من المنتجات التي يقبل عليها السياح، كما أصدر المشروع دليلا للحرف التقليدية في القاهرة، التي يقبل عليها السياح. ووجيء هذا في إطار خطة طموحة لتنمية هذه الحرف وتشجيع الشباب على تعلمها من خلال تدريبهم عليها، وقد راعى مشروع الدرب الأصفر هذا التوجه حينما درب عددا من الشباب على صناعة الخشب الخراط الذي تتكون منه المشربيات، كما درب الشباب على حرقه نحت الأحجار وزخرفتها سواء بزخارف هندسية أو نباتية، وهو ما سيوفر حرفيين للعمل في ترميم آثار القاهرة، ولإحداث اندماج بين السكان.. والمشروع خصص طابقاً

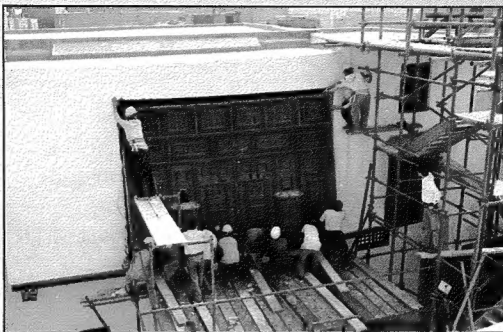
الذي يقع في منتصف الدرب، ويعد أبرز آثاره المعمارية، ثم تطور ليضم منزل الخرزاتي المجاور، حيث تكفل المجلس الأعلى للآثار بدفع ٦٠٠ ألف جنيه مصرياً لاختائه من السكان، وبذلك حدث تطور آخر مثير في المشروع وذلك بانضمام منزل مصطفى جعفر الذي يقع على رأس الحارة والذي يجاور منزل الخرزاتي الى المشروع. فأصبح لدينا ثلاثة منازل متجاورة. تكشف ملامحها المعمارية تطور عمارة المنازل في مصر من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر. تمثل مساحة هذه المنازل أربعين بالمائة من مساحة الدرب الأصفر، وهو ما دفع القائمين على المشروع الى التفكير جدياً في ضم الدرب وسكانه الى مشروع يهدف الى إعادة الحياة للدرب كما كانت عليها في القرن التاسع عشر، ولم يتبق في الدرب سوى أثر واحد هو سبيل قيطاس بك تم دمجه في المشروع، هذا السبيل يقع على رأس الدرب في اتجاه منطقة الجمالية.

بدأ مشروع الدرب الأصفر تستكمل ملامحه ، فتم تحديد ثلاثة عناصر أساسية به هي:

العنصر الأول: هي تغيير محاور المرور وذلك بتحويل الدرب الأصفر الى منطقة للمشاة فقط، حتى لا تؤثر حركة السيارات والناقلات على الآثار بالسلب، ولكي يتيح ذلك فرصة للسياح أن يتأمل الدرب وآثاره بهدوء، وفي هذا الإطار وضعت عوائق حجرية في بداية ونهاية الدرب لمنع مرور المركبات به.

العنصر الثاني: هو تجديد البنية الأساسية،

مر مشروع الدرب
الأصفر بخطوات
رئيسية، بدأت
بالدراسات التوثيقية
لكل عناصر هذه الآثار
بحيث يتسنى الرجوع
لكل التفاصيل عند
اللزوم، وهو ما أدى
الى خلق وثائق كاملة
لهذه البنايات. واتضح
من هذه العملية أن
منزل السحيمي به ما

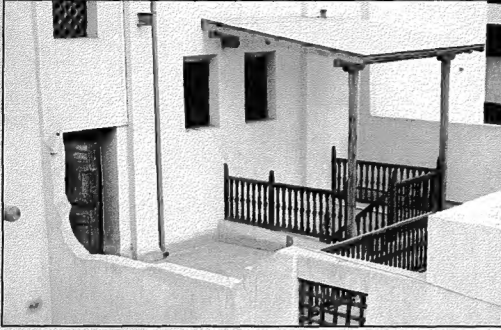


- مشربية بمنزل السحيمي.

يزيد على ستمئة شرح
بعضها نافذ بسمك الجدران، كما قامت الأسر التي
كانت تشغل هذه المنازل بتغيير الفراغات حسب
متطلباتها. كما أجريت التحليلات على المونة
المستخدمة في بناء هذه الآثار. وتم التوصل الى
تركيبية هذه المونة، كما تم عمل رفع دقيق للزخارف
الحجرية وزخارف الأسقف الخشبية والمشربيات. إن
أروع ما تم في هذا المشروع هو الحفاظ على القطع
الفنية النادرة، فتم فك الابواب الخشبية ذات
الزخارف وتغليف الأسقف المزخرفة والمشربيات أثناء
ترميم الحوائط والأرضيات حفاظا عليها.

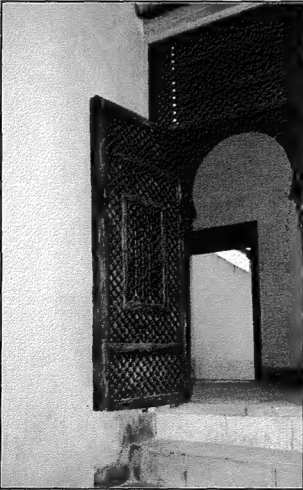
يعود الفضل في انشاء بيت السحيمي الذي يعد
الأثر الرئيسي في الدرب الأصفر الى عبد الوهاب
الطيبلاوى، واسماعيل بن الحاج شلبي، حيث قام كل
منهما ببناء جزء من المنزل، فقد ابتدأ ذلك عبد
الوهاب الطيبلاوى في سنة ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م. حيث
قام بتأسيس الجزء الجنوبي الغربي من المنزل. وقام
اسماعيل بن الحاج شلبي في سنة ١٢١١هـ /

بمنزل مصطفى جعفر ليكون وحدة لتعليم الحاسب
الألى لأبناء الدرب، وكذلك لتعليمهم العزف على
الآلات الموسيقية الشرقية. ولزيد من الاندماج تم
تشكيل جمعية للحفاظ على الدرب وصيانتها، تضم
في عضويتها كل القاطنين به والمجلس الأعلى للآثار،
هذه الجمعية التي بدأت نشاطها فعلا تعد هي
مجلس ادارة للدرب يذكرنا بما كان موجودا في
القاهرة القديمة حينما كان يختار سكان الدرب شيخ
حارثهم الذي يمثل الآن رئيس مجلس إدارة
الجمعية، وكان أهالى الدرب يعاونون شيخ الحارة
في الحفاظ على المكان وخصوصيته، وهو ما
سيحدث في الدرب الأصفر في القرن الواحد
والعشرين. ومن المقرر أن تقوم هذه الجمعية بصيانة
الدرب وآثاره ومساحته ومراقبته. وهذه نظرة جديدة
لم تكن موجودة في مصر من ذي قبل إذ كان من
المعتاد أن ترمم الآثار وتترك وهو ما كان يؤدي الى
تدهورها لاحقا.



- منزل مصطفى جعفر/ الدرب الأصفر

١٧٩٦م بتأسيس
الجزء الشمالي
الشرقي من المنزل.
كما قام بدمج الجزئين
معاً ليكونا منزلاً
واحداً. وآل المنزل بعد
ذلك إلى ملك محمد
امام القصبي شيخ
الجامع الأحمدى
بطنطا. ثم آلت ملكيته
بعد ذلك إلى الشيخ
أحمد السحيمى ثم
لولديه أحمد ومحمد.



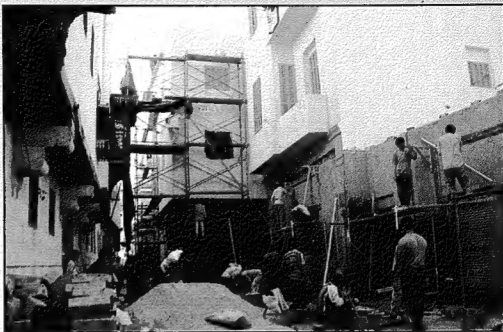
- باب بمنزل مصطفى جعفر.

وأخر من سكنه الشيخ محمد أمين السحيمى شيخ
رواق الأتراك في الجامع الأزهر الذى توفى في العام
١٩٢٨م. وقامت لجنة حفظ الآثار بشراء المنزل في
العام ١٩٣٠م بمبلغ ٧٠٠٠ جنيه مصرى. وقامت
بترميمه بمبلغ ١٠٠٠ جنيه.

أكدت الحفائر التى أجراها المسؤولون على
ترميم المنزل، أن هذا المنزل بُني على أنقاض أبنية
قديمة، كما يذكر على بابها مبارك أنه كان في
موضع المنزل الخانقة الشرايشية. ويتكون المنزل
من فناءين: الأول الجنوبي الغربي وهو الرئيسى
مسقطه مستطيل الشكل وأهم ما به ثلاث قاعات
أرضية، الأولى على يسار الداخل للمنزل من المدخل
المنكسر، وتتألف من ثلاثة ايوانات، يوجد في ازار
سقف ايوانها الجنوبي كتابات قرآنية.

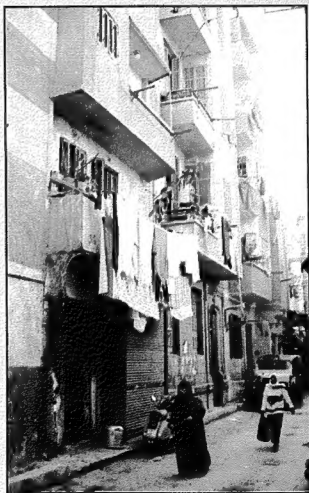
أما القاعة الثانية فهي على يمين الداخل، وهى
تتألف من ايوانين بينهما دور قاعة أرضيتها مفروشة
بالرخام الخردة الدقيق الألوان، وقد كسيت أسفل

جدرانها بوزرة من
الخشب المنقوش على
هيئة ترابيع من
القاشاني، والقاعة
الثالثة وهي الشمالية
الغربية تعتبر أكبر
قاعات المنزل، وتتألف
من دور قاعة وإيوانين،
ويوجد بإزار سقفها
كلها كتابات. أهم هذه
الكتابات نص يحمل
اسم مشيد المنزل
الحاج اسماعيل بن



٨ - الدرب الأصغر أثناء مشروع الترميم.

المرحوم اسماعيل شلبي وتاريخ التأسيس ١٢١١هـ.
كما يوجد في الجهة الشمالية الشرقية من الدور
الأرضي لهذا الفناء تختبوش كبير، محمول في
وسطه على عامود رخامي مستدير، ويفتح بكامل
اتساعه على الفناء، كما يفتح جداره الشمالي
الشرقي على الفناء الثاني للمنزل بشباكين عريضين
غشى كل منهما بحجاب من خشب الخرط، ويضم
الدور الأرضي ضريح الشيخ السحيمي، حيث يشغل
الركن الجنوبي الغربي مطلا على الدرب الأصغر.
أما الدور الأول لهذا الفناء فأهم ما به قاعة
القاشاني التي تتألف من إيوانين ودور قاعة، وفرشت
كل أرضيتها بالرخام الخردة الملون، وغطى الجزء
الأسفل من جدرانها بالقاشاني، ويفتح الضلع
الجنوبي الغربي للدور قاعة والإيوان الجنوبي
الشرقي على الفناء بحجاب من خشب الخرط، فتح
به عدة شبايك، يعلوها اثنا عشر شباكاً معشوقاً
بالزجاج الملون كتب عليها اسم الشيخ محمد



٩ - الدرب الأصغر بعد الترميم.



- درب الأصفر في القاهرة.

القاهرة وعمارة منزل استانبول في القرن التاسع عشر.

ورابع أثر في درب الأصفر هو سبيل قيطاس بك الذي يقع على رأس الدرب عند تقاطعه مع شارع الجمالية، والسبيل منشأة خيرية الهدف منها هو إرواء عطش المارة بالماء الذي يخزن في صهريج أسفل السبيل. ويعطو الصهريج حجرة يتم فيها تبريد الماء على ألواح رخامية قبل أن يناله عامل السبيل إلى المارة. شيد هذا السبيل الأمير قيطاس سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٢٠م. ويعطو السبيل كتاب لتعليم أطفال الدرب القرآن الكريم والحساب والقراءة.

السحيمي ووظيفته شيخ الأتراك بالأزهر. مما يؤكد تجديده لهذه القاعة، ويعطو هذا الحجاب رفرف خشبي.

كما يجاور هذه القاعة حمام يتوصل إليه من بئر السلم الصاعد في الزاوية الشمالية للفناء، ويتألف الحمام من ثلاث غرف باردة ودافئة وحارة، غطى كل من الغرف الباردة والحارة بقبة ضحلة بكل منها مضام من الزجاج الملون. ويحتوى هذا الدور على مقعد وهو يتكون من مساحة مستطيلة تشرف على الفناء بعقدتين من نوع حدة الفرس يرتكزان على عمود رخامى في الوسط. وكان المقعد من الأماكن التي يفضل الجلوس بها في المنازل خاصة في فصل الصيف لكون واجهته شمالية غربية تأتي إليها رياح تحمل نسيمات رقيقة من الهواء.

أما الطابقان الثاني والثالث فيضمان عدداً كبيراً من الغرف والأروقة والسطوح التي يبرز من بعضها خشبيات وهي أسقف بارزة عادة ما تتوسط سقف الحجرة. وتكون مثمثة الشكل بها فتحات لادخال الهواء والضوء.

والفناء الثانى في الجهة الشمالية الشرقية عبارة عن حديقة كبيرة توجد بها ساقية ماء وطاحونه وتفتح عليه حجرات الخدم وغيرها ويتصل بالفناء الأول عبر دهليز على الجانب الشمالى للتختبوش.

أما منزل مصطفى جعفر فيعود أنشاؤه إلى العصر العثماني، وهو أصغر حجماً من منزل السحيمي، ويضم قاعة رائعة في طابقه الأول مزخرفة بالرخام الخردة في أرضيتها ولها سقف خشبي يضم كل فنون التجارة في ذلك العصر، ويقع منزل الضرزاتى بين المنزلين وهو يعود إلى القرن التاسع عشر. وطرازه خليط بين عمارة منزل



علي حافظ

د. زكي المحاسني

وجدة فيك قد زانت محاسنها
 (وحظها بك للعلياء مسعاه)
 (ككك البدر بالانوار تغمرها)
 وعند منهلها الرحمن رواه
 لو ابصرت عينك الفراء طيف اخ
 (الوجد والشوق والتهايم أضناه)
 (كمثل مجنون ليلى في محبته)
 اضحى خللا بجسم هـ مبناه
 غنى بشعره في اطلال جامعة
 (ثمارها بيدنا قد جنيناه)
 (أراد بوحا بسر فانثى خجلا)
 وعاد في جسد يسعى بمضناه
 يطوي السنين على قيعاه «لمحمة»
 قصيدة نظمت في نبل معناه
 (ولم ينل بغية والحظ حاربه)
 في دولة الشعر لا يحظى بمرعاه
 لقلت ويحيا لو انى جئت رافدا
 (بما تمنى عطاء ليس ينساه)
 زان المقال جبينا شع كوكبه
 (نورا تدفق في الأفق لآله)
 (رايته في قباب من مهابته)
 وفي حمى البيت قلنا ما أحياه
 يا ليت عسرى في فكر وفي أنب
 (وفي مكارم تتري من سنجاياه)
 (وكم ظفرت به والسعد يسعفني)
 انى اطالعه في مجد مرآه

(وفي الرياض، وفي بطحان أنبية)
 وموئل الشعر تياه بذكراه
 ليت الامير يعيد العهد حالية
 (عقوده بالذي نهوى ويهواه)
 (بمجمع لبناء الضاد تبعثه)
 أقلامه غير حرمان تولاه
 خط الصلاح لبنيان دراسته
 (وكان لبنان مسراه ومرعاه)
 (كأس العلوم دواء لا مثيل له)
 تشفى الغليل على معسول دنياه
 لكنني بعد مسحور بساحره
 (ان البيان لسحر في ثنياه)
 (لما سئلت عن الابداع ببذعه)
 قلت القريض لديه فاق محياه
 سم العطاء لما أصبنت مطلعاه
 (فالجود ينبع من شتى زواياه)
 (فلا يرد الذي قد جاء يقصده)
 واشكر إلهك اذ زادت عطاياه
 أغلى مقبلة قد رحت أنسجها
 (شوقا وحبا وقريبا قد تبناه)
 (وفي يدي باقية بالشكر أرسلها)
 هدية لأمير جل مهواه
 ونحن ندان في فن وفي أدب
 (وفي دم العرب يجري في حناياه)
 (إن قلت ندا فقد حاولت مفتخرا)
 وليس ندّين في مال، هو الجاه
 آداب نجد تجلت في مباسمه
 (وفي الحجاز لقانا قد حمدناه)
 (تنفست بقريض ساحر لبق)
 على الاثير فبت الليل أرعاه
 أخا العربية وابن الملك شاهدة
 (بقيصل العرب والاسلام حياه)
 (كالبهر، بيني بلا من ولا ملل)
 لك البحار أيا بحرا بملقاه



الأمير عبد الله الفیصل السيرة والمسيرة

المستولن، وفارساً من كبار الفرسان، ورياضياً من كبار الرياضيين.
بمعنى أن الأمير عبد الله الفيصل يتمتع بـ (بالابداع) في القيادة والريادة في عدد من المجالات التي تتصل بصياغة مستقبل المجتمع السعودي.
وهذه الروح المبدعة جعلته يؤثر في مجتمعه ويتأثر به حتى أصبحت المحصلة سلسلة من الإنجازات الفريدة في مجالات من أهم مجالات فكر المجتمع وبناء المؤسسات.

في نهاية شهر اغسطس ٢٠٠١م قامت دار سعاد الصباح بتكريم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل في مدينة أبها.
ولقد كنت أتمنى أن تضطلع إحدى الجامعات السعودية بهذا التكريم لهذا العلم الذي كان رائداً من رواد الشعر والرياضة في المملكة العربية السعودية.
صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل بن عبد العزيز آل سعود شاعر من كبار شعراء العربية، ومستول من كبار



بقلم : د. أمين ساعاتي - جدة

والده الملك فيصل الذي كان آنذاك نائب الملك على الحجاز.

التحق الأمير عبد الله الفيصل بإحدى المدارس الابتدائية في مكة المكرمة وكان التعليم آنذاك في طوره الأول، فحصل على الشهادة الابتدائية التي كانت من أعلى الشهادات آنذاك في المملكة، ولكن الشاعر لم يكتب بشهادته المتواضعة، فانكب على التحصيل والمطالعة، وكان ميله الى الشعر واضحاً.

ويحدثنا الشاعر عن نفسه فيقول: كنت مدمن مطالعة إذا صبح التعبير، أقرأ في الأدب والتاريخ والسياسة، كان الشعر أحب الفنون الى نفسي، وعن الشعراء الذين قرأ لهم وأحب شعرهم يقول: (أحببت كثيراً من الشعراء، ولا أستطيع حصرهم. فمن العصر الجاهلي أحببت شعر طرفة بن العبد والثابتة الذبياني وامراً القيس وعنترة، ومن العصر الأموي عمر بن أبي

للأمير عبد الله الفيصل دواوينه الشعرية وله حكمتة السياسية من خلال إدارته للمناصب الوزارية الرفيعة التي تقلدها، وله بصماته العميقة في تاريخ الحركة الرياضية السعودية، وله أعماله الإنسانية والخيرية التي أثر بها في مجتمع يذكر دائماً أيادي الأمير عبد الله الفيصل بالشكر والتناء والدعاء.

الأمير عبد الله الفيصل، اسم يعرفه العربي من المحيط الى الخليج، ورغم هذا، فإن الحديث عنه يبدو أكثر صعوبة من الحديث عن الآخرين ممن يملكون شخصية محددة، وتبدو الصعوبة عندما تقف امام رجل هو شاعر وسياسي ورجل اعمال وفارس رياضي عريق.

الشاعر السعودي الكبير عبد الله الفيصل... هو الشاعر الفارس الذي استطاع ان يقود مسيرة القصيدة الشعبية وقصيدة اللغة العربية الفصحى في الجزيرة العربية الى قلب الإنسان العادي البسيط، وهو أحد شعراء جيل العمالقة، انتاجه الشعري متدفق، وما يكتب عنه اليوم يبدو ناقصاً غداً.

ولد الشاعر عبد الله الفيصل في مدينة الرياض في الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٢م، وهو الابن الأكبر للملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، وجده هو الملك عبد العزيز آل سعود باني المملكة العربية السعودية وموحدها، ووالده الاميرة سلطنة السديري، وعائلة السديري من العائلات السعودية العريقة التي لمع كثير من أفرادها، وشغلوا مناصب كبيرة في الدولة، وخاصة امراء مقاطعات ووزراء ووكلاء وزارة.

عاش الشاعر السنوات الخمس الأولى من حياته في كنف جده الملك عبد العزيز في الرياض، ثم انتقل الشاعر بعد ذلك الى مكة المكرمة حيث عاش في كنف

** قضى بضعة

سنوات في كنف جده

الملك عبد العزيز،

أعجب به فأسماه

(نصف الدنيا).



سمو الأمير مع الرئيس الفرنسي شيراك

والشاعر عبد الله الفيصل ينظم الشعر الشعبي (النبطي) السهل أو المطعم بالفصحى، بحيث تتقبله الأنواق والثقافات المختلفة.

وقد صدر للشاعر أول ديوان شعري بعنوان (وحي الحرمان) في عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م، وهو الذي نال إعجاب وتقدير النقاد ومتذوقي الأدب بأسلوبه الفريد، وأثنى على شعره كبار الأدباء والشعراء في العالم العربي أمثال الدكتور طه حسين وعلى محمود طه وفاروق عبود وعمر أبو ريشة وصلاح لبكي، وقد طبع منه طبعته الثانية عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م، وصدر ديوانه الثاني (حديث قلب) في عام ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٢م وديوان ثالث بعنوان (مشاعري) بالشعر الشعبي (النبطي)، وترجمت أعماله الشعرية إلى الفرنسية في ديوان أدهش بعض مفكري العالم الغربي.

شغل الشاعر الفيصل مناصب عديدة مرموقة، منها منصب وزير الداخلية بجانب وزارة الصحة.

ربيعة، ومن العصر العباسي المتني، ومن العصر الحديث إبراهيم ناجي وأحمد شوقي وعلي محمود طه في مصر، وأما في سوريا فأحب شعر بدوي الجيل وعمر أبي ريشة، كذلك قرأت الكثير عن شعراء لبنان وأحببت شعرهم. وهنا لابد لنا من الإشارة إلى أن عبد الله الفيصل كان له احتكاك مباشر مع بعض شعراء لبنان، ومنهم بالتحديد الشاعر والأديب المعروف صلاح لبكي الذي كتب لعبد الله الفيصل مقدمة ديوانه (وحي الحرمان). ويعد الشاعر عبد الله الفيصل من سادة الشعر الشعبي أو النبطي في المملكة العربية السعودية، وإليه يعود الفضل الكبير في حماية هذا الشعر وتقريبه من نوق وفهم الجمهور، فقد جدد عبد الله الفيصل في استعمال الصور الشعرية، وهذا أضفى على هذا اللون من الشعر رونقا عصريا جديدا، وإن استعماله الصور الحديثة والانفعال بها ضمن رؤية جديدة قد قرب الألفاظ والمفردات من فهم القارئ وحبيها إلى نفسه.



الأمير واختبارات شهادة الدراسة الابتدائية

*** ولي
مجموعة من
المهام
الوزارية
والادارية،
وكان فيها
مكان الثقة
والتأييد.
* كان
الساعد
الأيمن
لوالده الملك
فيصل.**

كما اختارت اللجنة الأولمبية في تاريخ ١ محرم عام ١٤٢١هـ الأمير عبد الله الفيصل كأحد أبرز القادة الرياضيين على المستوى الوطني.

وأما عن سيرته في نظر أصدقائه وزملائه فيقول اللواء الشاعر علي زين العابدين: تشرفت بمعرفة الأمير عبد الله الفيصل في عام ١٣٥٢هـ حينما كان سموه في الحادية عشرة من عمره المديد إن شاء الله، وكنت في التاسعة من عمري.

ضممتنا مدرسة حارة الباب التحضيرية في الصف الثالث وكان مدير المدرسة في

كما يعتبر الأمير عبد الله الفيصل بحق أحد الرواد الأوائل لنهضة الرياضة في السعودية، فهو الذي رعاها ونظمها بتأسيس الإدارة العامة للرياضة والكشافة في عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م حين كان وزيراً للداخلية، إذ كان يحضر المباريات بنفسه، كما تولى رئاسة شرف الأندية الرياضية، وأسس الاتحاد السعودي لكرة القدم في عام ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٦م كما أسس المنتخب السعودي لكرة القدم، فضلاً عن رئاسته الاتحاد السعودي لكرة القدم واللجنة الأولمبية الأهلية السعودية. وفي عام ١٤٢١هـ صدر قرار سمو الرئيس العام لرعاية الشباب بإطلاق اسم الأمير عبد الله الفيصل على استاد جدة الرياضي، وأيضاً فالأمير عبد الله الفيصل رجل أعمال معروف، وعضو في كثير من الشركات، وله العديد من المؤسسات الهامة التي تمثل دعامة للاقتصاد السعودي.

يعتبر واحداً من أهم مؤسسي مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويشغل منصب رئيس مجلس أمنائها. نال الشاعر/ الأمير عبد الله الفيصل العديد من الأوسمة والجوائز، حيث منح الدكتوراه الفخرية في العلوم الإنسانية بقرار من مجلس أمناء «أكاديمية العلوم الثقافية» المنقردة من «مؤتمر الشعراء العالميين» الذي انعقد في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨١م.

وفاز بجائزة «سولتاراز» الثقافية الفرنسية، وهي الجائزة الدولية الكبرى للشعر الأجنبي التي تمنح كل عام لأحد كبار الشعراء غير الفرنسيين في العالم، كما حصل على اللوحة الألفية لمدينة باريس من السيد جاك شيراك عمدة باريس وقتذاك، في عام ١٩٨٥م الموافق ١٤٠٥هـ. وهي تمنح عادة لرؤساء الدول أو رؤساء الحكومات أو لرجال الفكر والإنجازات العلمية من جامعة السوربون.

كذلك فقد حصل على جائزة الدولة التقديرية بالملكة العربية السعودية لعام ١٤٠٥هـ. كذلك منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شاد الأمريكية عام ١٤٠٩هـ في مجال الأدب.

**** في وقت مسبكر اهتم
بالرياضة وأولاه اهتمامه
حتى بلغت ما هي عليه الآن.
** لعل الشعر يمثل نصف
دنياه، فقد أحبه،
ونأى به عن مناصب الدولة.**

ولم يكن لها منافس إلا مدرستان أهليتان هما الفلاح صاحبة الشهرة الواسعة التي خرجت كثيرا من رجال التولة.. والمدرسة الصولتية التي تنافس الفلاح، واستمر سمو الأمير عبد الله في الدراسات الخاصة حتى نبغ كعاداته واختاره جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - وزيرا للدخالية ثم أضاف إليه وزارة الصحة مما جعلنا نشعر بالفخر والاعتزاز بتولي زميلنا النابغة عبد الله الفيصل أمور الوزارةين.

ولقد ترك سموه العمل الحكومي كما تركناه تقاعدا ولكننا لم نترك الألب ولم يترك زميلنا الأمير وأصبحت له مجالس خاصة في داره تروى فيها الأشعار غنية طوة بوقعها القيثاري.. وأصبح بيت الأمير عبد الله ندوة للأدب ومقصدا للأدباء والشعراء والمفكرين.. وأصبحت داره مضيئة مفتوحة لكل زائر وطارق وقاصد.. أصبحت يده كالسحاب تظلل بالخير على العفاة والمعوزين فكم أعان فقيرا ورُبِّي يتيما وأغاث ولهى وأيامي.. ليس على داره حاجب يمنع أحدا.

وكان الملك عبد العزيز طيب الله ثراه يحب حفيده الأمير عبد الله الفيصل ويستأنس به، حتى سماه «نصف الدنيا» وكان إذا جلس في المجلس ويريد أن يستأنس يطلب إحضار نصف الدنيا، وإذا وصل الأمير عبد الله إلى المجلس تنفرج أسارير الملك عبد العزيز

ذلك العام فضيلة الشيخ عبد الله عبد الغني خياط، اختير بعد الشيخ مصطفى داغستاني، وكان سمو الأمير عبد الله الفيصل يصل المدرسة صباحا في سيارة ذات مقعدين لم يكن مثها في مكة المكرمة، بل لم يكن في مكة المكرمة سيارات إلا قلائل.. كان يصحبه صاحبان أحدهما (سعد) وهو حارسه و(مسعود العبد الله) خادمه.. وكان التواضع سمة للأمير عبد الله ميزة له فقد كان الصحابان زميلين لنا في نفس الفصل الدراسي صباحا مع بقية الزملاء وكان وسيم الوجه باسم الثغر عيانه تشعان بالنكاه.. أخلاقه بالغة السمو تواضعه الجم ينم عن طيب المنبت ورفعة التربية وسمو التهذيب.

ويستطرد زين العابدين قائلا: وكان سمو الأمير عبد الله هو الأول على الفصل طيلة السنوات الأربع التي قضيناها في المدرسة الابتدائية وتم التخرج عام ١٣٥٧هـ ونشرت الصحف خبر تخرجنا بالاسماء وكان الأول هو سمو الأمير عبد الله الفيصل حفظه الله.. افترق تلاميذ السنة الرابعة الابتدائية بعد نجاحهم، فمنهم من التحق بتحضير البعثات التي أسسها السيد طاهر الدباغ - رحمه الله - واسمها يدل دلالة واضحة على أهدافها وقد كنت أحد طلابها حتى تخرجت منها عام ١٣٦٣هـ، والتحق آخرون بالمعهد العلمي السعودي، وقد كان هو في المدرسة الثانوية الحكومية الوحيدة

عنه «إنه أطيب مني وأشجع ولكن حظي أوفر من حظه».

وكان - يرحمه الله - إذا اشتدت عليه الأمور خلا إلى ربه يصلي ويطلب قرآنه... وكانت له طريقة فريدة إذ يجتمع بوزرائه وكبار رجاله بعد طلوع الشمس لتدارس الأوضاع والمعاملات والبرقيات الواردة على النولة حتى إذا ما انتهوا انصرف كل واحد إلى عمله، وهو عالم بما أوكل إليه من مهام. ولم يكن يغرب عن ذهنه كبيرة ولا صغيرة من أكياس القهوة التي تدخل المطبخ في القصر وحتى محادثاته مع روزفلت وتشرشل.

ومما يذكر عن الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنه خرج ذات يوم إلى الصيد في أطراف الرياض بعد صلاة الفجر، حيث كان الصيد كثيرا في تلك الأيام وكان يذهب معه أصدقاؤه ومستشاروه ويعود في المساء. وذات مرة أمر بوضع طعام الغداء ويعد أن ينتهي الجميع أمر بإحضار النجاش الذي على المائدة فإذا به ١٥٠ نجاجة، فابتسم ضاحكا وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد صرفت للمسؤولين عن الطبخ ٣٠٠ نجاجة لم يقدم منها سوى ١٥٠ فقط.

وعند وفاته - رحمه الله - لم يترك وراءه مالا أو مزارع وقصورا سوى بعض الملابس التي بيعت في السوق وأدخل ثمنها بيت المال.

ولدى الأمير عبد الله الفيصل الكثير من التذكريات عن الملك عبد العزيز وعن والده الملك فيصل يرحمهما الله، فكان من أشد المعجبين بوالده الملك فيصل وكان حينما يتحدث عن خصاله يحدثك وكأنه يلقي عليك قصيدة عصماء.

والواقع أن عبد الله الفيصل يخزن الكثير من التجارب التي لها علاقة بالتاريخ المعاصر للمملكة العربية السعودية، وإذا شئنا الحقيقة فهو أحد صناع تاريخ المملكة الحديث وأساسته في بناء المؤسسات وفي بناء الفكر وفي بناء الحركة الرياضية لا يمكن أن تخفى عن أحد.

ويداعبه ويلطفه ويسأله عن أحواله وعن أحوال من حوله.

يقول الأمير عبد الله الفيصل في الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه -

لقد عشت في كنف وبيت الملك عبد العزيز - رحمه الله - خمس سنوات فقط ولكنني كنت قريبا منه، وحديثي عنه يحتاج إلى أيام طوال، لقد جمع الله في الملك عبد العزيز صفات كثيرة امتزجت في شخصيته بين شدة ولين وقوة وصرامة وكرم.

ولم يكن غريبا أن يقسو عليك حتى يعطيك ثقته بعد امتحان، ورحمته وخشيته على رعيته والمسلمين تظهر حتى في الأزمات، حيث كان يتحاشى المعارك والصراعات، كما كان كثير العفو حتى مع أكثر أعدائه شدة ومكرا، ومن ذلك حادثة «السبلة» التي تحاشى الدخول في معركتها مع فيصل الدويش حين أرسل إليه رسولا يقال له ابن عريير، فقام الدويش بخلق شنب ابن عريير وسلمه خمس رصاصات وقال له: هذا جوابي إلى عبد العزيز، فعندما بلغ الخبر الملك عبد العزيز ورأى مبعوثه ابن عريير وما أصابه نزل عن صهوة جواده وسجد لله قائلا: «اللهم إن تكن تعلم أنني لم أترك بابا للسلم إلا وطرقتة وأنهم رفضوا ذلك، أن تجعلها في وجوههم» واشتبك معهم في معركة لم تدم أكثر من عشرين دقيقة انتهزم العدو بعدها، فإذا بالدويش وقد أصيب فأتى الملك عبد العزيز يتشفع بعد ثلاثة أيام حيث أمر له الملك بخيام يسكن فيها مع نسائه. ثم تهيأ الملك عبد العزيز للسلام على فيصل الدويش الذي طلب من الملك عبد العزيز يده ليبايعه فقال له الملك: «يا فيصل ما نفعتك عهودك الأولى أنا صافح عنك، وما فات مات وأنت شيخ مطير وإن خنتني مرة أخرى فسيعارك الله بين يدي كما عرك الآن».

ولم يكن الملك عبد العزيز متكبرا أو مترفعا وليس بالغريب من خصائصه أن يتحدث عن غرمانه بكل خير، ومن ذلك عبد العزيز بن الرشيد الذي كان يقول



الأمير الشاعر مع رجال الأدب والثقافة عقب نجاح كلمات أغنية «من أجل عينيك»

الأمير عبد الله الفيصل . . شاعراً

لوالده الذي كان ضليعاً فيه. بدأ ثقافته الذاتية بالاطلاع الواسع على قراءة الأدب والتاريخ والسياسة. واتسم شعره بجمال الأسلوب ورونق العبارة وحسن السبك وصدق الكلمة. ومن أبرز الشعراء الذين تأثر بهم ونهل من معينهم الثر طريقة بن العبد، النابغة الذبياني، امرئ القيس، عنتر بن شداد، عمر بن أبي ربيعة، أبو الطيب المتنبي، ومن المحدثين إبراهيم ناجي، أحمد شوقي، علي محمود طه، وعمر أبو ريشة.

—عندما نتحدث عن الأمير الشاعر عبد الله الفيصل فإننا نتحدث عن قمة سامقة في دنيا الشعر العربي، وعن منارة تشع إبداعاً وجمالاً لا تخطئها عين الرائيين والباحثين في سجل هذا الشعر. وهو - بكل المقاييس - يعتبر إضافة ثرية في وجدان الأمة العربية، وإضاءة ريادية شامخة في المسيرة الأدبية لهذه الأمة. ولد الأمير الشاعر عبد الله الفيصل في عام ١٣٤١هـ. تأثر في بداية حياته بالشعر النبلي



بقلم : د. سعيد خيرى - المدينة المنورة

في روحه أمل يضى
وفي شبيبته غلاب
قد فارق الجهل العقيد
— ثم وهب للعلم اللباب —
ذاكم لعمري عُدة الـ
— وطن الكريم المُستطاب —

تزخر هذه القصيدة بالنداءات الحماسية المتدفقة
ناراً ووطنية. فهو يستحث شباب بلاده أن يطاول
الثرى حباً لوطنه وتطلعاً لا يعرف الضفاف والمدى.
هذا وقد اتسمت الأبيات بعفوية اللفظ وسهولته مع
الاحتفاظ بالتحليق فيه والإبداع.

وفي قصيدة أخرى يخاطب فيها الوطن ويسطر
محبه له، كتب بعنوان (نشيد الفداء) يقول: [٢]

افديك يا وطني إذا عزَّ الفدا
بأعز ما جادت به نعم الحياه
كل الوجود وما احتواه الى الفنا
إلا هواك يظل مرفوعاً لواء
يا مهد أجدادي
يا كنز أحفادي
يا ظل أمجادني

تبوأ الأمير الشاعر مناصب قيادية عديدة منذ
بداية العهد السعودي الميمون. فكان وزيراً للداخلية
ووزيراً للصحة في آن واحد ولفترة من الزمن. ترك
العمل الرسمي وتفرغ لأعماله الحرة، كما تفرغ للإبحار
في دنيا الأدب والشعر خاصة. فصدرت له دواوين
ثلاثة هي: (وحي الحرمان)، (حديث قلب)،
(ومشاعري). والأخير نبطي المنهج. هذا وللأمير
الشاعر منتدى أدبي يؤمه الشعراء السعوديون وغيرهم
من الأدباء العرب.

حصل الأمير الشاعر على الجائزة الدولية الكبرى
للشعر الأجنبي ومُنح الدكتوراة الفخرية في الدراسات
الإنسانية من سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة
الأمريكية. كما حصل على جائزة الدولة التقديرية من
المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٥م، وفي نفس العام
منح وسام باريس، وترجم شعره الى اللغة الفرنسية.

لقد تعددت الأغراض التي تناولها الشاعر في
رحلته الكبيرة في عالم الشعر. ولعل من هذه الأغراض
التي كتب فيها الشاعر وأجاد وطنياته التي خصت بلده
المملكة العربية السعودية والعالم العربي الرحب. فهو
يقول في قصيدة بعنوان (إلى شباب بلادي): [١]

مرحى فقد وضع الصواب
وهنا الى المجد الشُّباب
عَجَلانَ ينتهب الخطى
هيمان يستنفي المُنحَاب

**** شعر الأمير عبد الله الفيصل
إضافة ثرية في وجدان
الأمّة العربية.**

**** اعتمد الفيصل على الاطلاع
الذاتسي الواسع.**

**** ترجمت أشعاره الى الفرنسية
وأعجب بها جمهور الأدباء.**

**** أشعاره الوطنية تزخر
بالدعوات الحماسية المتدفقة،
وبالروح المالكية الوشابة.**

منك الشجاعة والكرم

فيك المروءة والشّـم

تعلو بعلياك الهـم

لتظلّ مرفوع العلم

وهذه القصيدة يتدفق الحماس فيها أيضاً،
وتفيض جذوة المحبة لكل نرة في تراب الوطن. فهو
يفدي بلاده بأعز ما وهبته الحياة، ويعلم للملأ أن حب
الوطن لا يدانيه حب مهما كان، وهو وحده العشق
الباقى أبداً. فما أعز مهد الأجداد وموئل الأحفاد الذي
يستمد منه المرء كلّ المعاني الرفيعة في الشجاعة

والكرم والشـم. فهنا يرق اللفظ وتتدفق المعاني سحراً
لا يعرف الشبيه.

وحق الشاعر في فضاءات عالمه العربي خارجاً
عن حدود وطنه وساحاً في سماءات الأرض العربية
الكبيرة. فقد كتب بعنوان (صنّاجة العرب) قصيدة
يتغنّى فيها بأمجاد العرب ويمدح فيها أمير الشعراء..
أحمد شوقي خالعه عليه ما خلّع على الأعشى،
فيقول: [٣]

اسدرة المنتهى أم كرمه العنب

قد كان شوقي بها صنّاجة العرب [٤]

شدا بها الشعر ألماناً معطرة

لسالف الدهر أو مستقبل الحقب

وكان من قبس الإلهام مقتبساً

نوراً يضيء به مَحْلُولُك الكُرب

أهدى إلى الشرق من مكتون حكمته

جواهر الحكمة الوهاجة ألهب

إني لأحسبه حياً فما برحت

أنغامه بيتنا شوقية النسب

يا مصر يا زينة الدنيا ومستنتها

ما كنت إلا ملاذ العلم والأدب

الذي يمرح في واديك منعطفاً

على الخصب ويروي غير مختضب

أم المضارة والتاريخ من قدم

كم سطرّت مجدها في رائع الكتب



الأمير في إحدى الندوات الثقافية بمصر

وانكر أمية وانكر مجد هاشمها

والمنعمين بني حمدان في حلب

من لا يعابون في حال إذا تسروا

ولا تُغيّرُ منهم سَوْرَةُ الْقَضَبِ

كانت بهم نولُ الإسلام في دَعَا

ومن عزائهم في معقل أشب[٦]

أيام قد بسطوا ظل الحضارة في الـ

نينا وجاوا لهذا الدهر بالعجب

فقارئ النصين يلمح - بعد ما أخذ بجمال الحرف
وروعة التكوين اللفظي والنصاعة التي سامت هامة
السُّبب في أبيات النصين المضيئة زهواً ونهاءً - يلاحظ
تشابه المبدعين في كتابة هذين النصين الأخذين
بمجامع القلوب - فكلما الشعارين استخدم نفس لفظ
«صنّاجة العرب» والبجر والقافية والمعاني.

شعر الوجدان وخفقة القلب في غزلياته غطت نطاقاً

في عين جالوت أو حطين مقبرة

لكل مفتصب بالإثم محتقب

من شاعر عربي كل غايته

أن يظفر العُربُ بالأمال والظلب

وكالعادة يبرز هنا بهاء اللفظ ونصاعة المقطع وقوة
الكلمة - والقصيدة بها زخم جمالي يغطي مساحات
واسعة لا حدود لها وقد أعطى أمير الشعراء ما
يستحقه من تمجيد هو أهل له، ولا يفوتنا أن نذكر
توارد خاطر والتشابه الزاهي بين قصيدة الأمير
الشاعر وقصيدة شاعر البادية السوداني محمد سعيد
العباسي التي يقول فيها: [٥]

يا شاعر الضاد يا صنّاجة العرب

إسلم لدولة أهل الفضل والأدب

واستقبل العمر لا تمدوك جدّة

تُبلي بها جدّة الأيام والمقب

فاصدرح بوحيك يا شوقي وزفّ لنا

شعراً يقوم مقام الجحفل العجب

في نعمة الله والتاريخ منك يدٌ

طولى وأمالُ شعب فيك لم تخب

يا فخر مصر بماضيها وحاضرها

وسعد مصر بهذا الشاعر الأرب

قم نكّر القوم بالماضين ما فعلوا

وانكر لهم كيف كانت دولة العرب

أنت الصيافة للقلب جِدْ مكتئب
وليس يُسعدُهُ بالوصل إلّاك
ماذا يضيرُك لو حققت أمنيّتي
فيسعد القلبُ - من شوق - لرؤياك

في قصيدته (عواطف حائرة) التي صدحت بها أم
كلثوم، كوكب الشرق، فزادتها خلوداً على خلودها،
برزت هنا قدرة الشاعر التي لا تدانيها قدرة في
تصوير خلجات نفسه وعاطفته وإحساسه. وأما
اختياره لبحر الوافر فكان موفقاً فيه لأنه ويتفعيلات
القادرة استطاع أن يصور ما أراده الشاعر من إبلاغ
لقلوب الناس. ووفق الشاعر أيضاً في اللفظ الذي
اختاره لصياغة هذه الأبيات. يقول في القصيدة: [٨]

أكاد أشكُ في نفسي لائي
أكادُ أشكُ فيك وأنت مني
يقول الناسُ إنك خُنت عهدي
ولم تحفظ هواي ولم تصني
وأنت منّي أجمعُها مشّت بي
إليك: خُطى الشُّباب المطمئن
كنّ صباي قد ردت رُؤاه
على جفني المسهّد أو كئي
وكم طافت عليّ ظلالُ شك
أقضتُ مضجعي واستعبتني

كبيراً في شعره. كتب الأمير الشاعر العديد من
القصائد التي أقلّ ما توصف به أنها باللغة الرقة
وصفاء الكلمة التي تصف نبضاً يتدفق عاطفة ويموج
بالإحساس. هذه القصائد أيضاً تنطق بالقدرة المذهلة
على تجسيد موضع الجمال الذي يسترعى العين
ويستحوذ على الإدراك والنظر. برع الشاعر في
عاطفياته الشعرية فأصبحت كل قصيدة لوحة قل أن
ترى في الكثير من القصيد. كيف لا. وكل بيت
يعانق السُّها ازدهاء وطلاوة وتمكناً. إننا نرى صدق
إحساس الشاعر وأصالته في كل بارقة بيت أو مقطع.
في شعر العاطفة للشاعر الأمير تلمس نصارة
العبارة. إنها تحمل المرء إلى مدارج يضيء فيها عمق
النبض وتدفق الشعور.

وفي قصيدته (هل تذكرين) مناجاة رائحة لحبيبة
قلبه التي شدّت خياله وجعلت كلماته تبدع وتصور
عاطفة جياشة وشعوراً زخّاراً بالإحساس. هذه
الجميلة قد تيمت قوافيه واستلفتت ناصية حرفه
وصيرته بحراً من روعة التصوير. تقول الأبيات: [٧]

هل تذكرين وداعينا مُصافحة
أودعت فيها كريم الأصل يَمناك
أو تذكرين بوادي وجّ وقفتنا
وقد أفاضت علينا الطُّهر عيناك
وحين غنت على الأغصان شادية
أنشودة الحبّ في ترديدنا الباكي

الأمير عبد الله الفيصل تفنى بأعجاز الأمة الإسلامية والعربية

سمراء يا حلم الطُفولة
يا مُنيعة النُفوس العليقة
كيف الوصول إلى حُما
كـ وليس لي في الأمر حيلة
إن كان في ذلّي رضا
كـ فهذه رُوحِي ذليقة
وسـ يـلـتـي قـلـبـي به
مـثـواك إن عـزّت وسـيلة
فلتـرحـمـي خـفـقـانـة
لك واسـمـي فيـه عـويـلة

وفي قصيدة رقيقة المعنى والمبنى وتعتمد على بيت
الشطر الواحد، يتذكر فيها الأمير الشاعر سويغات
هائلة قضاها ومن يحب على ضفة النيل الخالد - تلك
الهنيهات قد نقشت وجودها في كل ذرة من قلبه،
فخلدها بأجمل وأحلى المقاطع - يقول فيها: [١٠]

يا حبيبي أين أيام خوال
يوم كتبا بين سَغار الأيالي
ننهلُ الحب ونفني في الجمال
وعلى النيل مواعيدُ الوصال
لم يدُم لي غيرُ نكرى في خيالي

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الرائعة قد أداها

على أنني اغالطُ فيك سمي
وتبصرُ فيك غير الشك عيني
وما أنا بالصدق فيك قولا
ولكنني شقيتُ بحسن ظني
تُعذّبُ في لهيب الشك رُوحِي
وتشقى بالظنون وبالتمني

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اسم القصيدة عند
غنائها قد تغير إلى (ثورة الشك) لأن كلمة «الشك»
ترددت في أكثر من بيت وكانت هي المعنى الأكبر الذي
حملته مقاطع هذه القصيدة.

وفي قصيدته (سمراء) التي شدا بها العندليب
الأسمر عبد الحليم حافظ والتي أطربت القلوب في
المدى الممتد من الماء إلى الماء، والتي تميزت برشاقة
التفعيلة ورهافة البحر وخفة الجرس، ولأنها كذلك فقد
سهّل لحنها وموسقتها والتغني بها - الأمير الشاعر

يقول فيها: [٩]

بالله يا أُملي الحبيب ترُقُني
إِنِّي وَرَيْكَ فِي الْهَوَى مُخَنَّاك
فَرَنْتُ إِلَيَّ وَقَدْ تَأَلَّقَ لَحْظُهَا
أَفْسِيهِ مِنْ لَحْظِ رَنَا فُتَّاك
وَنَضَمْتُ عَنْ الْوَجْهِ الْوَسِيمِ وَتَمَتَّعْتُ
يَا رُومَهُ الظَّمَى عَلَيَّ رَوَاك
وَتَعَانَقَ الرُّوحَانِ فِي رَوْضِ الْهَوَى
فَتَحَلَّكْتُ حَتَّى غَبْتُ عَنْ إِدْرَاكِي

القارئ لهذه القصيدة يدرك قدرة الشاعر من الوهلة الأولى على كتابة أحلى الشعر الوجداني الذي يأخذ بمجامع الدواخل ويستبتي القارئ أو المستمع من الوريد إلى الوريد - والقصيدة حافلة بالاستعارات الموحية بالجمال والبلاغة في كل مرفأ حرف وناصية كلمة.

الأحزان التي عاشها الأمير الشاعر كانت مله القلب ومسرى الدماء فيه - يوجد العزير الذي كان يضيء في وجدانه محبة لا حدود لها - وتوجد اللحظات الفياضة بالألم والمضاضة التي مرت به في حياته - الشاعر لم يكتب أحزانه كلها شعراً ربما لأنه أثر أن لا يترك مرارتها تتعدى حدود نطاقه وتسكب الحنظل في حنايا قراء شعره.

مراثيه التي كتبها نضاًحة بالشجا والشجن ولعل أبرزها ما كتبه لوالده الملك فيصل - طيب الله ثراه - ولأن الملك فيصل كان إنساناً أحاطه المجد والإقدام

بغناء يفرح القلب الفنان السوداني الكبير العاقب محمد حسن - وقد أضافت هذه المنظومة مجداً في سجل قصائد الأمير الشاعر الملحة.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (في روضة الهوى) نجد شاعرنا الأمير محافظاً على تحليله الشائق وجزالة لفظه ونصاعة الكلمة المصورة لخلجات قلبه ورغيف وجدانه تجاه من أحب ليخذه بشعر رائع جميل، والذي يسترعي الانتباه اختياره السليم والموفق للبحر الشعري الذي يبرز ما أراد الشاعر أن يسطره بقصيده - تقول الأبيات: [١١]

مَا كُنْتُ أَوْمَنُ بِالْمَيُونِ وَفَعَلَهَا
حَتَّى دَهَنَنِي فِي الْهَوَى عَيْنَاكَ
الْمَسْنُ قَدْ وَاكَ حَقّاً عَرْشُهُ
فَتَحَكَّمِي فِي قَلْبٍ مِنْ يَهَوَاكَ
قَلْبِي كَمَا تَبْفِيهِنِ الْفُ صَبَابَةٌ
قَدْ مَلَّ كُلَّ خَرِيدَةٍ إِلَّاكَ



في شعر الأمير عبد الله الفيصل - أبطال الله عمرة
لقينا كيف يزهر الشعر ويحلق ويصير درة في
الداخل. إن مثل هذا الشعر قمين بأن ينضد عقداً
زاهياً يتقلده المرء ليزين عنقه. إنه الشعر الذي تهفو
القلوب للاحتفاظ به في شرايينها. إنه مصدر للمسرة
والبهجة والفرح خاصة وكل لحظاتها أضحت بحراً من
شقاء النفس والحرمان. وهكذا تبوأ الأمير الشاعر
مكانته الشامخة والسامقة في دنيا شعرنا العربي وفي
تراثه الخالد علماً تتطلع إليه النواظر والمآقي.

الهوامش :

- (١) عبد الله الفيصل: وحي الحرمان، جدة، دار
الاصفهان للطباعة، ١٤١١هـ - ١٩٨١م، ص ٤٨، ٤٩.
- (٢) عبد الله الفيصل: حديث قلب، جدة، دار
الاصفهان للطباعة، ١٣٩٣هـ، ص ٢٩.
- (٣) المصدر السابق، ص ١٩ - ٢٣.
- (٤) صنّاجة العرب لقب يقال للأعشى بن قيس لجودة
شعره، وخلعه الشاعر هنا على أمير الشعراء وهو أهل
له.
- (٥) محمد سعيد العباسي: ديوان العباسي، الخرطوم،
دار البلد، ١٩٩٩م، ص ١٦٠ - ١٦٢.
- (٦) المعقل الأشب: القوي المتن.
- (٧) عبد الله الفيصل: وحي الحرمان، ص ٢١ - ٢٢.
- (٨) المصدر السابق، ص ٥٤ - ٥٧.
- (٩) المصدر السابق، ص ٥٨ - ٥٩.
- (١٠) المصدر السابق، ص ١٠.
- (١١) المصدر السابق، ص ٧٦ - ٧٧.
- (١٢) عبد الله الفيصل، حديث قلب، ص ١٠ - ١٢.

والشجاعة من كل ناصية في شخصيته. ولأنه كان
رمزاً خالداً في ضمير أمته التي إن تنساه ذرة رمل
واحدة من تراثها. جاءت القصيدة لهذه الأسباب قمة
في الشموخ الإبداعي. يقول فيها: [١٢]

أيُّ نكرى تعود لي بعد عام
لم تزل فيه نازفات جراحی
أيُّ خطب مُروّع كنتُ أخشاه
هـ فلبلّ عزمي وفلّ سلاحي
أيُّ يوم ونعت فيه حبيبي

ثم أسلمتُ مهجتي للنواح
إنه يومٌ ميتتي قبل موتي
واختلاج الضياء في مصباحي
إنه يومٌ فيصل خرف فيه الـ
طود لله ساجداً، غير صاح
دفيصلي، يا مُهنّداً ما أحب الـ
غمَدَ يوماً، ولا ارتوى من طماح
كيف أرثيك يا أبي بالقوافي
وقوافي قاصرات الجناح
كيف أبكيك والخلود التقى فيـ
ك شهيداً مُجسّماً للفلاح
غيرُ ربي أرجوه مدني بالصَّب
ر ولقياك في الجنان القساح

وبعد، ففي هذه الرحلة القصيرة المبهجة والنضرة

الأمير الشاعر عبد الله الفيصل « وديوان .. وحي الحرمان »

يظل صاحبه رهين غريبتك، غربة نفسه في الأرض أو
غربة مؤاخاة لمن لا يعرف مدى الصدق في مؤاخاتهم
له!! لكم يجب أن يكون هذا المحروم محروماً.

وفي غزل الشاعر الأمير عبد الله الفيصل سمو
روحي يرقى بالحب الى آفاق سامية ويطرف عن كل
مادي محسوس، وفي قصيدته (هل تذكرين) تشاركه
الطبيعة في حبه وهيامه والشاعر يرى في الطبيعة
ذاتها مرآة لأحاسيسه ومشاعره، ويؤكد على نقاء هذا
الحب وأسمى ما فيه وهو العفاف:

هل تذكرين وداعينا مصافحة

أودعت فيها كريم الأصل يُعناك

أو تذكرين بوادي رَجْ وقفتنا

وقد أفاضت علينا الطُهرَ عيناك

وحين غنت على الأغصان شادية

أنشودة الحب في ترديدنا الباكي

أنت الحياة لقلب جدّ مكتئب

وليس يسعدده بالوصل إلّاك

فان نسيت وداداً كان يجمعنا

على العفاف فقلبي ليس ينساک

وأبي الشاعر أن يكون الحب عبودية وبهذه النظرة

« وحي الحرمان » ديوان شعري للشاعر عبد
الله الفيصل والديوان شعر وجداني وهو تعبير
مباشر عن مشاعر الإنسان من حب وكره
وحنين، وعذاب، وسعادة يمتاز بالانفعال
العاطفي وتوهج الذات وقد يكون موضوعاً
داخلياً صرفاً أو خارجياً، غير أن الشعر يعبر
عنه من خلال إحساسه به، فتصوير الطبيعة
ليس تصويراً مجرداً موضوعياً يعني الشاعر
به بأبعاد موضوعه المعقولة المحسوسة مادياً،
بل يرسمه بعد انفعال به ومن الألف الذي
يتبدى له إثارة وحساسية.

والشاعر الأمير عبد الله الفيصل ينكرنا بالشعراء
المهجرين حيث الشعر الوجداني الفنائي، وهو تعبير
صادق صاف عن خلجات النفس، وعن المواقف
والانفعالات الذاتية الخاصة، وفي تراثنا العربي نغمات
وجدانية ثرة، وكثيراً ما يسبق الشاعر الوجداني على
موضوعه شيئاً من ذاته، وهو يعمد الى التشخيص
فيجعل الطبيعة تشاركه أتراحه وأفراحه حتى يندمج
بها أو تندمج به في كل مؤد ٠٠ يقول الأستاذ صلاح
لبكي من خلال مقدمته لديوان الشاعر عبد الله
الفيصل: (ويأما أفجع هذا الحرمان الذي يحول المرء
وحقيقة ما يكنه له كإنسان ! ياما أوجعه!! يأتي إلا أن

عرض وتحليل : جاك صبري شماس

عضو اتحاد الكتاب العرب - سوريا

على قلب الحبيبة فتظهر مثاليته وتزيد عما هو مألوف
في الواقعية وذلك في قصيدته (حيرة):

إن تكن بالوهم تحيا بعدما

جدد منه البين فالوهم ذليل

ما ترانا سفحن أسمعنا

وكذاك اللمع بالوجد رسول

نحن صرعى لفتات ورؤى

وأمان ما إليهن سبيل

ومما لا شك فيه أن المرأة تبقى دائماً ملهمة
للشعراء ومفجرة للخيال وموقدة للمشاعر، أما عن
قصيدته (ثورة خيال) تتنّج المشاعر فتتناسب أبياته
العذبة كالناييب الثرة وعلى عادة الشعراء العشاق
العرب لم يستطع أن يصرح تصريحاً مباشراً عما يكنه
داخل أعماقه وذلك امتداد لطقوس عربية منذ القدم
فالمسر يكاد يمزق أوصال الشاعر ولكنه في حيرة من
أمره وكان لا بد له من الصبر شاء أم أبى ذلك قاله
سلطان السلاطين:

هل أداري الألم العاصف في قلبي بصبري؟

أم أبوح اليوم بالسسر وهل يجهل سري؟

لمست أدري هل أبوح الآن ويحي لست أدري؟

وفي قصيدته (نجوى) استرجاع للذكريات التي
مرت بحياته حين كان في زيارة (لمصر) وكان لا بد أن



عمق إنساني ينساب في شغاف قلبه رغم ما وجده من
صدود وإن كان يفصح عن مراده غير أنها لا تبادله
الشعور بشعور ورغم هذا الصد كانت قريحته تتوقد
فتتحول العاطفة إلى حمم من البراكين في قصيدته
(أراك):

أراك فما لعينك لاتراني

وأنت وصوتي فرسا رهان

وما أنا في هواك أضمت عمري

مقاربة على أمل التذاني

بعوت الشعر فيك فما عصاني

ولأن قياتك بعد المران

ويرسم الشاعر لوحة شعرية لكن الألوان في هذه
اللوحة تبعث في النفس الشجي واللوعة والحزن والقلق،
أنه الإعراض وما يخلفه من هواجس وعواطف
متصارعة داخل النفس، غير أن الشاعر على ما يبدو
كان مستسلماً لخياله الرومانسي فلم يقلع بالسيطرة

**** عبدة الله**

الفيض: شاعر

غنائي وجداني

أبدع فني

مبدعانه.

**** تركزني**

بالحب الى آفاق

سامية بعيدة

عن الحسية

والمادية.

يتواجد النيل في شعره

وبذلك تتداعى الأحلام

الجميلة وقد أراد الشاعر

أن يملأ الكون بهجة

وسروراً وقرحاً، فلم يبق

من الحب سوى شريط

الذكريات، وهذا الشريط

الذي يرسمه ذهنه يبقى

عزاء لشاعرنا. فلم يعد

هناك شيء سوى الحلم

الجميل:

وعلى النيل مواعيد الوصال

لم يدم لي غير ذكرى في خيالي

يا حبيبتي هذه الدنيا لنا

فاملا الدنيا بهاء وسنا

إنما سلواي ذكرى حبينا

أين يا ليلاي مني عشنا؟

ويخلق الشاعر في فضاء الإبداع ويفصح عن

تجاربه الحياتية في (عواطف حائرة) فالحيرة توجع

رأس صاحبها وقد انسابت المعاني انسياباً جميلاً

رائعاً وفق شاعرية غنائية ترق فيها الألفاظ وتتوقد فيها

الأحاسيس:

أكاد أشك في نفسي لاني

أكاد أشك فيك وأنت مني

فالشاعر يريد أن يمزق حبال الشك وما أقسى

الشك حين لا تحسم المعاناة ولا تظهر الكوامن كما

يجب فهو قلق وأسير لهذه الظلال القائمة:

يكذب فيك كل الناس قلبي

وتسمع فيك كل الناس أنني

وكم طافت علي ظلال شك

أقضت مضجعي واستعبدتني

وجرياً على عادة الفرسان الذين لم يهابوا سطوة

الموت ولم يكثرثوا بما تؤول إليه الأمور حيث الصمية

والشكيمة والاعتداد بالنفس غير أنهم عندما يقتحمون

رحاب المرأة يرفعون الراية البيضاء حيث تصرعهم

العيون التجلاء والجمال الساحر، وكما كان بودي ألا

يهزم عبد الله الشاعر في هذه المعركة الغزلية وذلك في

قصيدته (سمراء):

سمراء يا حلم الطفولة

يا منية النفس العليلة

**** إبداع الفيصل يسبح في فضاءات واسمة.**

**** الفيصل يمتلك ناصية الكلمة ومفاتيح الإبداع.**

**** شعر الفيصل يتعاطاه الخاصة بحميمية.. ويجده العامي قريباً الى نفسه.**

**** أجداد في اختصار الوزن المتسق مع الموضوع.**

المنهل

ولا تبعثي صرخة في الفضاء
ولا ترسلي مـنـجـمـ الـوجـع
ولكن عليك بحـفـظ الـوداد
وصوني عهد الفتى الألمي

كيف الوصول الى حـما
لك وليس لي في الأمر حيلة
ان كان في ذلي رضا
ك فـهـذه روعي ذليلة

ولم ينصرف الشاعر الى الهوى ويدع الوطن فقد
كان الوطن ومازال أتمن وأغلى وأسمى شيء في حياته
فهو يفتخر في وطنه ويشيد بشباب المملكة الذي تسلح
بالعلم وبكرامة تراب الوطن كما يهب روحه فداء
للسواعد الفتية وذلك في قوله من خلال قصيدته (الى
شباب بلادتي):

مرحى فقد وضع الصواب
وهفا الى المجد الشباب
قد فارق الجهل العقيم
ومش للعلم اللباب
قد راح يستهدى العلا
ويصارع الموج العباب
ذاكم لعمري عُدة الو
طن الكريم المستطاب
كرمتموني دائماً
فلكم حياتي يا شباب

رغم أن الشاعر قد مني بالهزيمة من قبل المحبوبة
التي لم تصن العهد فكانت ناكرة خادعة ورغم ما
وهبها من شبابها وحيويته ووجده، إلا أنه كشف قناع
الغدر وأما هذه الحالة التي لا تسر أراد الشاعر أن
يتظاهر بالانزعاء منها ربما ليخفف من وقع المصاب
عليه وربما يكون الكبرياء بعينه كما هو وارد في
قصيدته (أمل يخيب):

لا حبّ والغدر الخؤون يحوطه
ولي الغرام مع العبيب القادر
هي وردة ظمئى وقد رويتها
إذ قلّ عنها الفيث ماء نواظري
كم ذا بذلت صداقة ومحبة
وجنيت ما يجني فقيد بمائر
فارياً بنفسك أن تكون معنبا
وانظر الى الماضي بعين الساخر

ما أنبك أيتها الشاعر الأمير وأنت لا تطلب من
الحبيبة سوى الوفاء فالشاعر يرفض أن تنترف الحبيبة
الدموع ويرفض صراخها وتحببها وفي موقفه هذا
يتجلى الكبرياء والشمم والسمو يقول في قصيدته
(أطيلي الوقوف):

هو الداء يبعث في أضلعي
إذا ما نعتت فلأتفزعني

وهكذا تقينا في دوحة الشعر العربي السعودي،
أمد الله في عمر الشاعر عبد الله الفيصل، وهو أحد
عمالقة الشعر العربي وقد بلغت قصائد الديوان تسعاً
وثلاثين قصيدة وضم بين دفتيه مائة وتسعة وأربعين
صفحة، وقد رصد ريع الديوان لمؤسسة الملك فيصل
الخيرية.

من رواد الأدب السعودي الشاعر الأُمير / عبد الله الفيصل

وقوة التلازم بين الصدق النفسي والصدق الفني في الشعر عامة، وفي شعر عبد الله الفيصل خاصة هو الذي جعله ويجعله دائماً كزهرة أنثقت في غصنها الأخضر عطرة نضرة، فهي تلذعين ناظرها بحسنها، وجمال تكوينها وتنسيقها، وتماثل نفس مستنشقتها بعطرها وطيب فوحها، ولا تضن على مستزيد بعباء، ولا تحرم مستقصراً أو قاصراً من فيض بها، وما ذاك إلا لأنها استمدت كل مقومات حياتها، وعصارة بقائها من الأصول الضاربة بجذورها في أعماق أعماق قلب الشاعر الكبير فاسترسلت في جمال مستفيض وجادت بعباء لا ينتهي.

وكما لا يمكن تصور الشجرة خضراء زاهية بدون تربة تمدها بعناصر غذائها، وعوامل بقائها كذلك لا يمكن تصور الصدق الفني بدون الصدق النفسي.

وكما لا يمكن تصور البقاء لزهرة - مهما حسنت وجملت - منفصلة عن غصنها، كذلك لا يمكن تصور البقاء لعمل فني مجتهد من أصوله، ومنقطع عن جذوره، فمسيره - وإن حلا وزها حينا - إلى انتهاء، فهو يدخل التاريخ الأدبي أو سجل التاريخ الأدبي على أنه رمز من رموز مراحل الميعة، وحلقة من حلقاته الفارغة، لا من حيث كونه ذا قيمة فنية وأدبية ممتازة ومثل إن

لو أننا طرحنا سؤالاً قلنا: ما السبب الذي جعل شعر عبد الله الفيصل يحلو العيش في ظله، وتطيب الحياة إلى جواره، وينعم القلب بالإصغاء إليه، وتحلق النفس حين تستمع إليه في أجوائه السامقة، وسماواته الرفيعة السامية؟

لو أننا طرحنا هذا السؤال لكان الجواب على الفور - ولا إخال أحداً يعارضني فيه - لأنه من شاعر وجد نفسه، ووعي ذاته، وفهم رسالته، واعتز بعقله وفكره ووجدانه، فجمع بين الصديقين: النفسي والفني، ثم كان فطناً إلى ميزان ضبط العاطفة في الشعر بحيث لا تغلو فتفسد، ولا تقل فتجف، فلم يأت مأتى لا سبيل له في العقل، ولا نصير له من الوجدان والقلب، ولا مساغ له في الذوق، ولا حقيقة له في الواقع، وإنما كان على حد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وإن أشعر بيت أنت قائله

بيت يقال إذا أنشيت صقلاً

وإنما الشعر لب المرء يعرضه

على المجالس، إن كيساً وإن حقاً [١]

بقلم : د. محمود محمد أبدة

— مصر —

هو السر في إمتاع الخواص والعوام من غير أن يشعر الخواص بأى ابتذال أو سقوط أو هبوط في الإمتاع الفنى والعاطفى، إن لم يشعروا بأنه في الطبقة العليا من البيان، لأنه يجعل السهل نسق الصعب، والمتنع صوغ الممكن.

ومن غير أن يشعر العوام بأنه أعلى من فهمهم وإدراكهم، لأنه يرتفع بهم ولا ينزل إليهم، ويرقق ذوقهم ولا يتدنى إلى مستواهم، ويسمق بهم ويسمو الى علياء سماواته ولا ينحط الى غشاوة بصيرتهم، وغرارة جهلهم.

وهل أحد يسمع قوله: [٢]

يا حبيبى أين أيام الصفاء؟
يوم كنا كل صبح ومساء
في تلاقٍ، وعناقٍ، وهناء
إن رأيت البحر في كبد السماء
أو رأيت الطير يشدو بالغناء

يا حبيبى أين أيام خوال؟
يوم كنا بين سمار الليالى
ننهل الحب ونغنى في الجمال
وعلى النيل موعيد الوصال
لم يدم لي غير نكرى في خيالى



الأمير مع والده الملك فيصل — رحمه الله —

أردنا تشبيهه كزهرة من عمل الإبرة والخيوط، فهي ميتة لا حياة فيها، مهما راق منظرها، ورق مظهرها.

وقد عبر الأمير الشاعر أو أمير الشعر الوجدانى دون منازع عن ذلك في مقدمة ديوانه «وحى الحرمان» الرائع فقال: «في هذه المجموعة صورة من شعورى وإحساساتى المختلفة كما هى، لم يجعلها التزييق، ولم تلونها الأصباغ، لأننى أريد أن يكون شعرى «صورة طبق الأصل» لحياتى وصدى حقيقيا لشعورى وعواطفى وأمالى وخيالاتى وأنفعالاتى النفسية، وذلك هو الشعر» [٢].

وهذا بيان يحتاج الى عمل كلام طويل فهو يعنى أنه لا يقول الشعر، وإنما يصوغ نفسه ويصورها في كلام هو الشعر، فلا يرى الناظر في كل قصيدة من شعره إلا قطعة من الحس ونبضه من الوجدان تمثلت في أسمى صورة من صور البيان، ولا يرى في البيان لغة ملحنة، وإنما يراه ألحانا وأنغاماً لغوية تشع من كل جهة، وتتمد في كل نفس، وتمتد في كل زمن ولعل هذا

نوقظ الزريق أو نزجي شراعه

وتناجي ضفتيه في ضراعاه

تسعد القلب ولا تشفى التيامه

يا حبيبى لوعة الحب سعادته

تُرْهِد القلب فيسمو بالزهاده

ويرى حرمائه في الحب زاده

حين لا يبلغ في الحب مراده

يا حبيبى هذه الدنيا لنا

فاملا الكون بهاء وسنا

إنما سلواى نكـرى حـبنا

أين يالـيـلاي منى عـشـنـا؟

لم يدم في العـش إلا طـيـفـنا

وهل من أحد أيضا يسمع رسالته الى الحبيب

الأول والأخير بعنوان «كنا وكان» [٤] فيقول:

يا حبيبى أين تلك الأمسيات

يوم كنا من هوانا في سببات

يا حبيبى كيف ذاك الحب مات

عندما ببت به روح الحياة

يا حبيبى ذكريات الأمس تهفو

أبدا أصحو عليهن وأغفو

كلما ودعت طيفا لاح طيف

أترى قلبك بعد الهجر يصفو

يا حبيبى إن يكن طال جفانا

ونوى في زهرة العمر صبانا

فلنعش يا حب في نكـرى هوانا

ونقل عن حبنا كنا وكانا

ليتنا يا حب نحيا فيه ساعة

أقول: هل من أحد يسمع أو يقرأ شلوه بهذا الشعر، الجامع بين الأنغام المختلفة المؤلفة المتزنة بصواب المعنى، وبلاغة الأداء، وقوة التأثير، الآتية من إحساسه النافذ إلى تشكيلات اللغة الشاعرة، وكأنه قد وضع يده عليها، فهي تتبض بنبضه، وتحس بإحساسه وترفده بما شاء أنى شاء، ثم هو لا يقول ما قلناه أنفا: إن عبد الله الفيصل لا يقول الشعر وإنما يصوغ نفسه، ويصور إحساسه في بيان ناطق هو الشعر، على نحو أخذ جذب ساحر، يلمس أوتار القلوب، ويهن أعماق النفوس!!!

وهل من أحد يستطيع أن يفصل بين القصيدتين السابقتين، إذا وضعنا تحت عنوان واحد؟! إن البناء الموسيقي الذي اختاره الشاعر في هاتين القصيدتين، ليصب فيه خواطره ومشاعره والذي تمثل في شكل خماسيات في القصيدة الأولى، ورباعيات في القصيدة الثانية، لكل خماسية أو رباعية قافية مستقلة تستقبل

الأصالة والمعاصرة، الأصالة لأنها
النزلق إلى كل جديد مبتكر، والمعاصرة
لأنها الانعكاس الصادق لحركة الحياة،
والحياة في تطور دائم، والجديد آخر
مظاهرها، وإن تتبدد الحركة أو تُعَوَّقُ
عن السير قدما، وإن يواد الجديد في
مهده إلا إذا ولد ضعيفا، ومظاهر
الضعف كثيرة منها: عدم قدرته على
تلبية حاجات العقل والنفس والعاطفة
في أبعد مداها، لأنه طفق وجدان مغلق،
وحس أصم، وطبع مستوخم بارد.

ومنها: عدم القدرة وفقدان التوازن أمام الثقافة
القومية الأصيلة، والثقافات الأخرى الوافدة، فيظهر
ضعيفا متهاككا بين هاتين الثقافتين، فلا هو متصل
بميراثه وأدبه القومي اتصالا وثيقا يمكنه من الانطلاق
والتجاوب مع روح العصر، ولا هو بالغ قصده مهما
تزود بالثقافات الأجنبية التي شكلت تكوينه النفسي،
وكونت تركيبه الفكري، ومن ثم يعيش بوهم المكابرة
غريبا وإن بدا قريبا، وأجنبيا وإن بدا عربيا.

ومنها مصادرة الشاعر لإلهامات خياله، وسبحات
فكره ووجدانه، ووقوفه متبثلا في مجراب القديم،
ونسياهه تماما أن الشعر خبطة من خطفات الوجدان،
بلغة تخاطب النفس، وتصل إلى أعماقها، من طريق
تضاعف الإحساس بالمعنى، وتفيض بالدلالات المكثفة
من غير مشقة أو كلفة.

ومهما يكن من شيء فإن القوالب الشكلية التي

دفقة شعورية قوية وتتابع هذه
الخماسيات والرباعيات نوات القوافي
المتعددة، تتابع موجاته النفسية
المتجددة، وروحه المعذبة المترددة،
المتألمة، المتألمة، الألمة، يتبدد فيه كل
شيء، ويضيع منه كل معنى إذا قيمناه،
وجعلنا غاية السعي، ونهاية المطاف منه
أنه امتداد للأوزان المولدة، والقوافي
المنوعة التي ظهرت على يد رواد

التجديد في الأدب العربي أمثال بشار بن برد، وأبي
الغضائفي ومن جاء بعدهم وهذا حذوهم، وكان لهم في
المزج والمشطر والمريع والخمس والمسمط دور دفعهم
إلى ارتياده، وساقهم نحوه طبيعة العصر الذي عاشوا
أحداثه وتطلعاته وطموحاته.

ويتبدد فيه كل شيء، ويضيع منه كل معنى إذا
قلنا: إن شاعرنا قد تفرغ رصيد التجديد في الأدب
العربي، ثم صنع على مثاله، ونسج على منواله، لأن
(تكرار الشعراء القدامى لا يعطى قيمة حقيقية، ومجدا
أصيلا، ومجرد العودة إلى عصر خلا، أولى بأن تحسب
رجعة إلى حيث وقف الشوط بسلف مضوا) [٥].

ولأن هذا التقييم يصنف في حالة واحدة هي: إذا
كان الشعر موضوع الحكم والتقييم قد خلا من نبض
الحياة، وحس الحركة، وجمال التركيب، وجلال الفن،
ودقائق التحليل. ولأن قانون التطور سنة الحياة
ونظامها، والأدب الحي لا يحسب حسابه، ولا يكون
مسألة مطروحة للنظر والبحث إلا إذا كان جامعا بين

القصيدة

وكان ملتزماً يؤدي رسالته، ويقول كلمته، وهو حر طليق غير مقيد ولا مكبل، وهو شريف وعفيف وهو واضح وجلي غير غامض ولا خفي، وليس في ديوانه كله، ولا في شعره كله بيت واحد يدل على أنه خان مسئولية الكلمة، أو فرط في حق الأمة، أو خلط بين الحرية والإيجابية، أو مزج الجد بالهزل.

لم يكن أسلوبه الصافي إلا صورة لنفسه النقية الصافية، ولم تكن طهارة حب إلا صورة طهر شخصيته الممتازة، ونقاء قلبه الكبير، ولم تكن غزارة أسلوبه إلا صورة لفيض طبعه وتدفقه.

اشتهر بين الناس وفي الأوساط الأدبية والثقافية والعلمية بأنه شاعر الفؤاد المحروم، والوجدان المكوم لكثرة ما قال وحديث عن الذكريات والآلام والآفات ونسوا أنه شاعر واقعي النظرة والكلمة، إنساني الاتجاه، يعبر عن إحساسه، ويدافع الظروف والقوى المحدقة به من كل جانب، ويسعى إلى تغيير الأوضاع التي تسلب الحياة معناها الطيب الجميل، وتجعلها والعدم سواء، ولنستمع إليه في قصيدته (منطق الحق) [٧] التي تعد نبعا صافيا لأدب واقعي سليم، حيث يقول:

يشر نحن عاشقون مع النُّور
ر... ولكننا بلا مصباح
لا إضاء يزهو فنلثم خبيث
هـ... ولا قلبٌ مُشْفِق مسماح
لا ربيع يخضوضل الحب فيه
بل عدااء تسمى به كل راح

صب فيها شاعرنا خواطره (عمل ممتد مع الزمن يأتي فيه كل عصر بما هو أهله من الإبداع أو الزيادة أو المحاكاة... وهي صالحة لأداء المقاصد الشعرية، ومجارة الأمم في تطورها الذي يمتد مع الزمن، على حسب حالاتها من الشعور والفهم والقدرة على

الأداء... فقد كانت بضعة محور من أوزان الشعر كافية لأغراض الشعراء في الجاهلية: أشهرها الطويل وال الكامل والخفيف، ثم نشأت من أوزانها مجزوءات ومختصرات صالحة للفناء حين استحدثت الحاجة إليه في الحواضر العربية التي عرفت الفناء على إيقاع الآلات، ثم اتخذت من هذه البحور أسماطاً وموشحات وأهازيج تتعدد قوافيها مع اختلاف مواقعها، وتطول فيها الأشرطة أو تقصر مع التزام قواعد التريد فيها، واختار بعض الشعراء نظم المثاني أو المربوعات، وبعضهم نظم المقطوعات التي تجتمع في قصيد واحد متعدد القوافي، أو تتفرق وتتعدد بأوزانها مع توحيد الموضوع) [٦].

أما فيما يتعلق بالأسلوب المتميز، والأداء البارع، والألحان البيانية الجامعة بين لطف التعبير، وبقية التصوير في شعر «عبد الله الفيصل» فليس من شك في أنه أعني الشاعر كان حاضر النفس والقلب في كل كلمة قالها، ونفس رده، ومعنى أحسه، وذلك أهم عنصر يجب البحث عنه عند وضع أي شعر في الميزان، وتفهم الجليل الرائع فيه، وهو في الوقت ذاته الذي يجعل للشعر موضوع البحث والدرس مذاقا تدركه المعرفة ولا تحيط به الصفة.

كلنا أئم أبونا وحــــو

أمناء .. واللنا مجرد ساح

فقد جمع شاعرنا المعطاء في هذه القصيدة بين
الالتزام في أسمى معانيه، وأحفل ألوان عطائه،
الالتزام الذي يرسم صورة واضحة للعصر الذي
نعيشه، وما فيه من دين متروك وشرف مبتذل، وكرامة
مهانة، وقيم ضائعة، وإنحلال مستشر، وبين الوجدان
الذي يعذبه ويؤله كل ما يجري على مسرح الحياة من
صنوف المفاسد والمظالم.

ثم يتمنى - وما أصعب تحقيق أمنيته - أن ينتسب
الناس عامة الى المعنى الحقيقي لكلمة الإنسانية،
وينتسب المسلمون خاصة نسباً صحيحاً إلى دينهم
وتعاليمه وصدق الله العظيم حين يقول: [إن الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] (الرعد/١١).

ونلاحظ أن
أسلوب الشاعر في
كلا حاله الوجداني
الذاتي، والواقعي
الإنساني على حد
سواء، فلم يدع -
من حيث المعنى -
فضلة من التفريد،
ولم يترك فرصة أو
سبباً لمستزيد، إلا
من أوتي طليعة
تكافئه أو تزيد
عليه، فذلك فضل

أين من غيئنا غياهب جهل

كن بالأمس مثل هوج الرياح

أين من عصرنا السلام والام

ن ... وقد بات مصدر الأتراح

كلنا فيه نشتكى غيبة الصف

و .. ونهفو لعذب عيش قراح

كلنا مدلج بليل بهيم

لكننا نسير سير الأضامى

ليت هذا الوجود يسمى ويغنى

واحة للمصفاء والأفراح

منطق الحق شرعة الكل فيه

لا احتكام فيه لغير السماح

وحى أحكامه العادلة والرف

ق، وأمن الإمساء والإصباح

ليت هذا الوجود ينعم بالعقد

ل .. وبالمكرمات خضر المناهى

لا أنين المظلوم فيه شجى

بين خــــوف وذلة ونواح

أو لمعوج الضعيف تسكب هونا

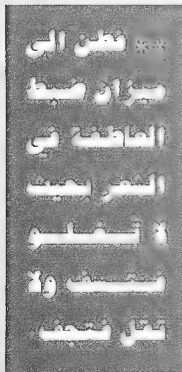
تحت أقدام جائر سفاح

ليس للبيض فيه فضل على السو

د بغير المجى وغير الصلاح

لا امتياز في العرق في الحجم في اللو

ن إذا كن في نفوس صحاح



قلبي كما تبغين ألف صبابة
 قبيد مل كل فـيريدة إلّاك
 بالله يا أملى الصبيـب ترفقي
 إنى وريك في الهوى مـفـنـاك
 فرئتُ اليّ وقد تالّق لحظها
 أفنديه من لحظ رنا فـتـاك
 ونضت عن الوجه الرسيم وتمتعت
 يا روحه الظمئى عليّ رواك
 وتعانق الروحان في روض الهوى
 فـثـمـلت حتى غبت عن إدراكي [١١]

الهوامش:

- (١) شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقي ص ٣٤٨، وانظر العمدة لابن رشيق ١١٤/١.
- (٢) انظر وحي الحرمان ص ١٩.
- (٣) السابق: ص ٥٢، ٥٣.
- (٤) السابق: ص ٦١، ٦٢، ٦٣.
- (٥) قيم جديدة للأب العربي القديم والمعاصر ص ١٨٥.
- (٦) اللغة الشاعرة للعقاد ص ١٦٢، ١٦٣.
- (٧) نشرت هذه القصيدة بجريدة المدينة بعد أن تسلم الشاعر وسام باريس من عمدة باريس بتاريخ ١٤٠٥/٥/٢هـ.
- (٨) ابن الرومي حياته من شعره للعقاد ص ٢٨٢.
- (٩) ديوان اسماعيل باشا صبري ص ١١٠.
- (١٠) وحي القلم ٢٢٦/٣، ٢٢٧.
- (١١) وحي الحرمان ص ٧٥، ٧٦، ٧٧.

وأخر ما وقع عليه نظري ممن تناولوا هذا المعنى هو قول أمير الشعر الوجداني دون منازع، الشاعر الأمير عبد الله الفيصل، وقد ختم به قصيدته «في روضة الهوى» وجاء به في بيت واحد، ولكن في رؤيا إبداعية على وضع أتم وأوفى، وحالة أبين وأبصر، ونقل فني شعري أوثق وأمكن فقال:

وتعانق الروحان في روض الهوى
 فـثـمـلت حتى غبت عن إدراكي

هذا وقد رأيت أن أختتم هذا المقال بتغريدة الشاعر في روضة الهوى، لتكون آخر عبق يشمه القارئ من طيب المعاني التي تصفى في ذهن الشاعر كما تصفى المرأى في عين مبصرة.

قد ساطت من أنت؟ قلت: أنا الذي
 قضيت عمري - منقفا - أهواك
 وأطعت عيني - في الفرام - وخافقي
 اقضى الليالي السود في نجواك
 أرنو إليك - على بعبادك - مسلما
 يرنو الحزين لساطع الأفلاك
 وأبث للنجم المسهّد لوعتي
 ياليتني - بعد النوى - ألقاك
 ما كنت أومن بالعيون وفعلها
 حتى دهنتي في الهوى عيناك
 الحسن قد ولاك حقاً عرشه
 فتحكمي في قلب من يهواك



الشيخ الطاهر بن عاشور

عليها شرائعه المبعوث بها رسله [١].

وتكرر هذه الدعوى المثبطة لعزيمة الايمان، ومنها قوله تعالى: [سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا، ولا حَرَمْنَا من شيء، كذلك كُتِبَ الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل: هل عندكم من علم فتُخْرِجُوهُ لَنَا، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ] (الانعام/ ١٤٨).

يقول الشيخ العلامة الطاهر بن عاشور: «هذه شبهة اهل العقول الافة الذين لا يفرقون بين تصرف الله تعالى بالخلق والتقدير وحفظ قوانين الوجود، وهو التصرف الذي نسميه بالمشيئة والارادة، وبين تصرفه بالامر والنهي، وهو الذي نسميه بالرضى وبالمحبة... فان اهل العقول السخيفة حين يتوهمون ذلك كانوا غير ملتفتين الا الى جانب غفلتهم، ومعرضين عن جانب مخالفتهم، فانهم حين يقولون: «لو شاء الله ما اشركنا» غافلون عن ان يقال لهم من جانب الرسول: لو شاء الله ما قلت لكن ان فعلكم ضلالا» [٢].

الهداية والضلالة

وردت آيات كثيرة تختلف في إسناد الهداية والضلالة إلى الله أو إلى العبد، فتوهم من لا يريد التفريق بين مواقع الدلالات أنها في جميع أوجه الخطاب القرآني مسندة إلى الله تعالى، ولكن ضرورة مسؤولية المكلف في اقتضاء الاختيار تستدعي، صدور القصد في تحصيل الهداية أو ضدها من العبد، مع كون الله تعالى هو الممد للعبد بوسائل تحصيلها، والمتفضل بزيادة الطافها، تبعاً لتوجه العبد بنيتة إلى الاهتمام وكذلك الأمر فيما يتعلق بالضلالة.

وقد مارس الكفار شبهة ان الانسان مجبر على اقتراف الكفر والعصيان، وغفلوا عن حق الله في مساطة العبد على فعله بمقتضى ما منحه من حرية التوجه بالعزم على الفعل أو الترك. فقال تعالى مصورا دعواهم الباطلة في ان عبادة الملائكة من مشيئة الله وقضائه: [وقالوا لو شاء الرحمن ما عبادناهم ما لهم بذلك من علم، إن هم إلا خُرُصُونَ] (الزخرف/ ٢٠)، فبنوا على ذلك خليطاً بين مشيئة الله بمعنى تعلق إرادته بوقوع شيء، وبين مشيئة التي قدرها في نظام العالم من إناطة المسببات بأسبابها.

فمشيئة الله بالمعنى الاول يدل عليها ما أقامه من نظام احوال العالم واهله، ومشيئته بالمعنى الثاني تدل



بقلم : د. عبد العزيز الخطابي - المغرب

الذين اهتدوا هدى) (مريم/ ٧٦)، ويمثل ذلك يقابله الصد في الضلالة، قال تعالى: {قل من كان في الضلالة فليمتد له الرحمن مداً} (مريم/ ٧٥)، وانظر كيف اقترنت هداية الله بإيمان العبد في قوله تعالى {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يُهَيِّئُ لَهُمْ} (يونس/ ٩).

وقد تكون الهداية ببيان السبيل الموصل إليها بخلق العقل، وإرسال النذر، وهذا في أكثر احوال ورودها في القرآن، لدفع توهم الاجبار، قال تعالى: {وأما شوق فهديناهم فاستجبوا لعلي الهدي} (فصلت/ ١٧)، فدل ذلك على أن الله يبين لهم معالم الايمان والحق بما غرسه في عقولهم من قدرة على التدبر، وبما أوصل اليهم من تعاليم على لسان رسولهم الذي كتبوه مختارين فاخذهم العذاب.

ويقابل الله بين المؤمنين والكافرين في هذا النوع من الهداية، فيقول تعالى: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم} والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} (محمد/ ٨)، ثم يحلل الله هذا الحكم الفارق بين المؤمنين والكافرين على حسب توجههم الى الهداء، {ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم} (محمد/ ٣)، فهو اقتران التكليف بالجزاء، إذ ليس كل الجزاء مقتصر على الحدوث في الاخرى، بل ان بعضه حاصل في الدنيا، ويمثل ذلك يفسر معنى الاضلال في قوله تعالى: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} (البقرة/ ٢٦)، ومن اظهر ما يدل على ذلك، قوله تعالى: {وهديناه

وإن حكمة الله البالغة اقتضت ان يجعل الانسان مختاراً، ولا يجبره على الإيمان؛ لانه لو حدث ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين، فالله تعالى لا يريد لعباده الكفر ولا يرضى به: {إن تكفروا فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكم، ولا تزد وأزدة وقد أخرى} (الزمر/ ٧).

ويعاود القرآن طرح هذه الشبهة ونقضها مما يؤكد تواردها على ألسنة جميع المكذبين من الامم السابقة، فقال تعالى: {وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا، ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين} (النحل/ ٢٥)، فهم يحسبون ان الله يتولى تحريك الناس لاعمالهم كما يحرك صاحب خيال الظل، ومحرك اللعب اشباحه وتمائيله، وذلك جهل منهم بالفرق بين تكوين المخلوقات، وبين ما يكسبونه بانفسهم، وبالفارق بين امر التكذيب، وامر التكليف [٢]، ويقول الكافرون في مقام فعل المعصية والاصرار عليها استجابة لشهواتهم وإغماطاً للحق غفي استجابة العقول للتكليف: {وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها أبائنا، والله امرنا بها، قل: إن الله لا يأمُر بالفحشاء، اتقولون على الله ما لا تعلمون} (الاعراف/ ٢٨)، وما جاء في بعض الآيات من إسناد الهداية أو الضلالة الى الله فهو على معان، منها: متابعة الله تعالى لما اختاره العبد، فان اختار الهداء يسر الله له سبيله، وأن اختار الضلال لم يجبره على ترك ما اختاره بقصده، الى ما أراد الله بأمره، من هذا النوع قوله تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم} (محمد/ ١٧)، وقوله تعالى: {وزيد الله

النَجسين) (البلد/٧٠)، وهناك آيات استندت الهداية ولوازمها، أو الضلالة وتوابعها إلى العبد على سبيل الاستقلال، لتؤكد صدورها من العبد اختياراً، وقد يرد ذلك في صورة اخبار أو إنشاء، قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾** (الانعام/ ١٠٤)، قال تعالى: **﴿فَمَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** (الانشقاق/ ٢٠)، وقال سبحانه: **﴿فَمَالَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾** (المدثر/ ٤٩)، وقال جل ذكره **﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾** (الكهف/ ٢٩)، وقال تعالى: **﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّٰ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا، وَمَا اُنْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾** (الزمر/ ٤١).

ودلت آيات كثيرة على حصول الضلالة بسبب توجه وامتناع القدرة الالهية عن التدخل بجبره على تركها، واكثر تلك الايات بـ «لو» الدالة على امتناع وقوع النتيجة، لامتناع حصول المقدمة، منها قوله تعالى: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى، وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** (السجدة/ ١٢)، فامتنت مشيئة الله في ان يجبر كل نفس على الاهتداء، ولكن لم يقع ذلك لحكمة الابتلاء بالتكليف، حتى يعاقب الضالون بجهنم جزاء وفاقاً، وفي هذا السياق البرهاني يقول تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً، أَفَلَا تَتُحَرِّهُمُ النَّاسُ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** (يونس/ ٩٩)، والمعنى المتحصل من هذا الشرط الممتنع: «لو شاء الله لجعل مدارك الناس مشتاقة إلى الخير، فكانوا سواء في قبول الهدى والنظر الصحيح، لكنه لم يشأ ذلك، فاقتضت حكمته ان خلق عقول الناس متأثرة ومنفصلة بمؤثرات التفاوت في ادراك الحقائق، فلم يتواطأ على الايمان[٤]»، أما قوله تعالى في الآية اللاحقة: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** (يونس/ ١٠٠)، فالاذن هنا اذن تكوين وتقدير، فهو خلق النفس مستعدة لقبول الحق والباطل،

والصلاح والفساد[٥]، فليس في الامر قهر على الطاعة، كما يتوهم من لا يقابل بين القدرة والعدل، وبين التقدير والتدبير، وقال تعالى في امتناع انتفاع المنسلخ من آياته بالعلم: **﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾** (الاعراف/ ١٧٦)، فلم ينفعه علمه؛ لانه لم يثبتته على الايمان، بل انحرف به إلى الفجور، لفساد قصده، وقال تعالى: **﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُم عَلَى الْهُدَىٰ، فَلَا تَكُونُ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾** (الانعام/ ٣٥)، ولكن الله لم يجمع الناس على الهداية، وان امرهم بذلك، لان عقولهم لم تتخيرها سيلا، واثرت السير في الضلالة.

وتنوع اسلوب الخطاب في الدلالة على امتناع جمع الناس على الهدى، يرد بصيغة الاستفهام في قوله تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَأْسَ الْذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعاً﴾** (الرعد/ ٣١)، يقول الطبري: «ان الله لو اراد ان يهدي الخلق كلهم الى جنته لهداهم، لكنه كلفهم؛ لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق»[٦].

ويقول الزمخشري: «أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله بمشيئة الاجلاء والقسر[٧]، يريد ان الله لم يرد ان يحكم في عبادته مشيئة القهر، فيما يتعلق بالتكليف».

وقد أنبأ القرآن بأن الناس كانوا في اول امرهم على الهدى؛ لانهم يساقون بالفطرة السليمة، ثم التبست عقولهم بالهوى، وانه سبحانه وتعالى لم يشأ ان يرغمهم على الايمان والطاعة، فقال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ، لَتَنَضَّي بِبَيْنِهِمْ فَيَسْأَلُ فَيَسْأَلُونَ﴾** (يونس/ ١٩).

أما ما ورد في القرآن من آيات يتوهم منها انها تدل على الجبر فانها محمولة على ان الله متصرف في

هذه الآيات يدرك موقف القرآن من قضية الإرادة الإنسانية، وإن يتسم بالانسجام التام، والتوازن الكامل بين وظيفة العقل الفردي، ونظام الفكر العام، على المستويين العقدي والحضاري، فإن الاعتقاد بحرية الإرادة الإنسانية في اختيار منهج الاعتقاد والسلوك، مع الإيمان بأنها منضبطة في حريتها بالمسؤولية الدينية والحضارية التي تستدعي أن يكون الاختيار وفق منهج الحق والصلاح، وشعور المتخير أنه محاسب على اختياره يربي العقول على الاستواء الفكري، ويضبط إرادة الإنسان فلا ينحرف بحريته، ويدافع عن خصوصية الإنسان بتأصيل مبدأ الحرية ورعايته من الضعف بتوجيه الشريعة وبيان الرسول، وحفظه من الطغيان بضابط الجزء الدنيوي والاخروي [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] (الزكاة/ ٧ - ٨)، وعندما أساء المسلمون فهم قضية الفعل الإنساني بالبالغة في تصور الحرية انشغلوا بما لا ينفع من المناهج والمباحث، وعندما انزلقوا في الجبرية صاروا ضعفاء منخذين في مختبرات العلم، وساحات الجهاد.

الهوامش :

- (١) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، تونس - الدار التونسية للنشر - ط ١٩٨٤م: ١٨٥/٢٥.
- (٢) م. ت: ١٤٦/٨.
- (٣) م. ت: ١٤٨/١٤.
- (٤) م. ت: ٢٩٢/١١.
- (٥) م. ت: ٢٩٤/١١.
- (٦) مجمع البيان، بيروت - دار الكتاب اللبناني: ١٩٥٧م: ٢٩٤/٢.
- (٧) الكشف: بيروت - دار الكتاب العربي ١٩٤٧م: ٥٣٠/٢.

خلقه، ومن ذلك أنه تصرف في الإرادة الانسانية ليتحقق مبدأ الاختيار، فهو حكم عام، تدخل فيه جزئية حرية العبد، كما تدخل فيه بقية المجريات الكونية، ومن تلك الآيات قوله تعالى: {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله} (الانسان/ ٢٠)، ويعمق في النظر نلاحظ أن هذه العبارة القرآنية دلت على المشيئتين، «ما تشاؤون» إرادة الإنسان في الاختيار، «إلا أن يشاء الله» إذن الله له في مباشرة ذلك، أما قوله تعالى: {من يشأ الله يضلله، ومن يشأ يهمله على صراط مستقيم} (الانعام/ ٢٩)، فمحمول على أول الآية، وهو قوله تعالى: {والذين كذبوا بآياتنا هم ويكفر في الظلمات} .. «فلأن انصراف قلوبهم إلى الكذب بالآيات واعراضهم عن الحق إعراض الصم والبكم والعمي، جعل غضب الله محيطاً بهم، ولطف مفارقاً لهم، وعلى الضد من ذلك حال المعتدين، فلا مناص من أن نقابل بين الآيات الواردة في سياق الدلالة على الهداية والضلالة، ونجمع بينها وبين الآيات الأخرى المتعلقة بالتكوين والتكليف والجزاء، حتى يكون تصور قضية حرية الإرادة سويًا لا يطفئ، فيوهم النقص من قدرة الباري، ولا يهون من حرية الاختيار؛ فيطعن في عدالة الله، ومن الدلائل البرهانية المؤكدة لذلك أن هذه المنظومة الاستدلالية الجامعة بين التكليف والجزاء ووصفي الهداية والضلال مدلول عليها في سياق قرآني واحد في بعض الآيات، منها قوله تعالى: {من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها، ولا تَزِدْوا زينةً ولا تَزِدْوا آخرة، وما كنا مُعَذِّبِينَ حتى نبعث رسولا * وإذا أُرْسِلنا أن نُهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليها القول فدمرناها تدميراً} (الاسراء/ ١٥ - ١٦)، وما بعدها من الآيات مصور للعقاب الدنيوي والاخروي جزاء على ضلال أولئك المترفين المعاندين، وما من شك في أن المتأمل في أمثال

شوق السماء بنوره

في منبع النور العظيم تفجرت
كُلُّ النجوم الساطعات توددا
تستقبلُ الأملأُ نورَ محمد
مطراً نقياً طاهراً مُتجددا
تستقبلُ الأملأُ أجملَ متعة
ومدارُ بهجتها الندى قد شدا
تستقبلُ الأملَ المغيث بلذة
ولغمُ نوره لن ولن تتسرددا
أعيادها بمحمد لا تنتهي
ما دام عشقُ محمد فيها بدا
خطواتهُ البيضا تبني للهدى
في كُلِّ شبر من عروجه مسجدا
نثر السماء لائلاً وجواهرأ
وعلى نثاره قد بدا ربُّ الهدى
سبعُ السماوات الضخام تفاخرت
فلأثها صارت لأحمد مصعدا
فلأثها من مسك أحمد واحدة
خضراء يفسلها الصباح مُفردا
يتجاوبُ القرطاسُ حين أخطه
في عشق أحمد بين حبري فرقدا

شق السماء بنوره فتجددا
ومضى شعاعاً لا ينافسه مدى
وطوى الظلام على البراق وقد رمى
في مسمع الدنيا وفي مهبها صدى
لم يترك الليل الطويل مكبلاً
إلا ونورُ الفجر يُطلقُ غدا
ويبتُ نجومُ الليل حين قدومه
وردأ يعانقُ في الهوى قطر الندى
لوقشتُ كُلَّ النجوم فلإننا
حتمأ ستلقى في هواها أحمدا
ما هذه الأضواء إلا ومضئ
من ذلك النور الكبير تزودا
من ذلك النور المسافر أبصرت
أضواء عشقي في الوريد محمدا
من ذلك النور المسافر أبصرت
كُلُّ القصائد عشقها المتوقدا
سُبْحان من أسرى يعبده والنجي
سطران قالا للنبي تعهدا
لن يبتُ الكفرُ الخبيثُ على فم
ويظلُّ نورُ الحق قينا سييدا

بك يلتقي الطيرُ الجميلُ رسائلًا
حمراء أشعلها الفراءُ تغردًا
نحو السماء عرّجت حتى أصبحت
كُلَّ الفضائل من عروّجك مقصدا
لعروّجك الميمون كُـلَّ مشاعري
طارَتْ إليك تقـرّياً وتوددا
طارَتْ إليك ملاحمُ الشُّقّاق في
خط من البرد الشديد توقّدا
فلديّ حاجات تبسّجُ بسرّها
وعلى يديك فلن تُهان وتُردا
لم تستلذّ هذي المشاعر في الدنا
إلا وكنت إلى المشاعر موددا
يا أيّها النعبُ النقيُّ ألا ترى
الكون أمسى في رداك عسجدا
أعلنتُ عشقك صارخاً ومُصرحاً
ما كان بحري في هواك تبيداً
ما كان إلا بسمة ودية
بك تعرفُ الإبحار حين تمرّدا
ما زال اسمُك والظودُ حروقه
وفجأً تبّنى أن يشيب ويخبّدا

من كان تحت سماء طه فلنّه
وجد المكارم فيه تجري سرودا
يا أيها المسكُ الكريم أفضْ على
هذي الليالي المظلمات لها غدا
لا يعرفُ القلمُ المنوَّخُ في الهوى
من عشق أحمد أن يُريح ويرقدا
بك تطردُ الأحزانُ كُلُّ همومها
وبك استقرَّ البحرُ حين تمرّدا
لك تخرجُ الأزهارُ كُلَّ جمالها
لخطاك قد ظلَّ الثرى مُتوددا
والثم كَفَكَ قد جرى ماء الهوى
وعليك بحرُه لم يزل متمددا
وتعودُ للبحر المحبُّ حرارةً
ما البحرُ في دنيا هواك تجمدا
لم ينحسرَ عطرُ وأنت يمينه
لم ينكسرَ غصنُ وأنت له ندى
لم تنحبِ شمسٌ وكان ظلُّومها
من نور وجهك دائماً متجددا
لم يحتفلَ فصلُ الربيع بوردة
حتى رأى فوق الجمال محمّدا

قصة إدريس (عليه السلام)

ورفعناه مكانا عليا:

يتحدث المفسرون عن المكان العلي الذي رفع إليه إدريس - عليه السلام - ويقولون إن إدريس رفع إلى السماء ولم يمت، كما رفع عيسى، فهو في السماء الرابعة كما في القصص النبوي الصحيح. وقال العوفي عن ابن عباس: (ورفعناه مكانا عليا) قال: رفع إلى السماء السادسة فمات بها، وهكذا قال الضحاك بن مزاحم، وقال الحسن وغيره في قوله - تعالى: (ورفعناه مكانا عليا) قال: الجنة.

وزاد الشوكاني - عما ورد في تفسير ابن كثير - أن الله رفعه إلى السماء الثانية، وقد روى البخاري في صحيحه من حديث الإسراء وفيه: ومنهم إدريس في الثانية وهو غلط من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر، والصحيح أنه في الرابعة. وقيل: إن المراد يرفعه مكانا عليا: ما أعطيه من شرف النبوة [١].

وأما عن أسباب رفعه فقد أورد بعض المفسرين كابن جرير الطبري وأبي اسحاق الثعلبي، والقرطبي وابن كثير وغيرهم. وكذا تناقلت كتب التاريخ والسير كابن سعد وكتب الألب كالنويري، وحكى ذلك النجار.

١ - قيل من أسباب رفع إدريس إلى السماء، قال وهب: [٢] كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم في زمانه، فعجبت الملائكة منه، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن الله في زيارته، فأذن له، فأتاه في صورة بنى آدم، وكان إدريس يصوم الدهر كله، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى الطعام،

فأبى أن ياكل، وفعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره، فقال له إدريس في الليلة الثالثة: إني أريد أن أعلم من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، استأذنت ربى أن أزورك وأن أصاحبك، فأذن لي في ذلك، فقال إدريس: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: اقبض روحي، فأوحى الله إليه (اقبض روحه)، ففعل، ثم ردها الله - تعالى - إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: فما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأنوق كرب الموت وغمه، فأكون له أشد استعدادا، ثم قال: لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترقضني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار، فأذن الله - تعالى - له في ذلك، فلما قرب من النار قال: لي إليك حاجة قال له: وما تريد؟ قال: تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأردها، ففعل، ثم قال له إدريس: فكما أريتني النار فأرني الجنة، فذهب إلى الجنة فاستفتح ففتحت له أبوابها، فأدخله الجنة، فقال له ملك الموت: أخرج منها لتعود إلى مقرك. فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله - تعالى - ملكا حكما بينهما، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله - تعالى - قال [كل نفس ذائقة الموت] وقد ذقته، وقال: (وإن منكم إلا واردها) وقد وربتها. وقال - تعالى: (وما هم منها بمخرجين) فلست أخرج. قال الله - تعالى - لملك الموت: دعه فإنه بإذني دخل الجنة، وبأمرى يخرج. فهو هناك. فتارة يعبد الله في السماء الرابعة، وتارة يتنعم في الجنة.

٢ - وقيل: وتتسب هذه الرواية إلى ابن عباس [٣] -



بقلم أ.د. عبد الباسط أحمد حمودة - مصر

فإنه قد مات، فواله ما بقي من أجل إدريس شيء.
فرجع الملك فوجده ميتاً.

٢ - وقيل من أسباب رفع إدريس - عليه السلام - إلى الجنة، أنه كان شديد الحرص على دخول الجنة، وكان قد رأى في الكتب أنه لا يدخلها أحد دون الموت، فبينما هو يسبح في عبادته إذ عرض له ملك الموت في صورة رجل في نهاية الجمال، فقال له إدريس: من أنت؟ قال: عبد من عبيد الله أعبدته كعبادتك، واصطحبها، فكان إدريس ياكل من رزق الله، وهو لا يطعم شيئاً، فسأله عن ذلك، فأخبره أنه ملك الموت؟ فقال له: جئت لقبض روحي؟ قال: لا، ولو أمرني الله بذلك ما أمهلته، ولكنه أمرني أن أصطحبك. فسأله إدريس أن يقبض روحه، فقال له: وما تريد بذلك وللموت كرب عظيم؟ قال: لعل الله - تعالى - يحييني فأكون أكثر في عبادته، فأمره الله بقبض روحه فقبضها، وأحياه الله - تعالى - لوقته.

ثم قال إدريس له بعد حين: هل تستطيع أن تقفني على جهنم؟ قال: ما حاجتك إلى ذلك، ولها من الأموال ما لا تطيق أن تنتظر إليه، وما لي سبيل إلى ذلك، ولكني أقفك على طريق مالك خازنها، والله أعلم بحاجتك، فاحتمله ووقفه على طريق مالك، فلما رآه كشر في وجهه، فكادت روحه تخرج، فأوحى الله - عز وجل - إلى مالك: وعزتي وجلالي لا يرى عبدي إدريس بعد كشرتك، سواء، ارجع إليه وقله على شفيع جهنم ليروى ما فيها، فوقفه مالك على شفيعها، ونظر إلى ما فيها من الأموال، فلولا أن ثبتته الله - تعالى - لصعق ثم أعاده

رضي الله عنه - وأكثر الناس أن إدريس - عليه السلام - سار ذات يوم فأصابه هجج الشمس، فقال: يارب إنني مشيت يوماً فتأذيت منها، فكيف من يحملها خمسمائة عام في يوم واحد، اللهم خفف عنه من ثقلها، واحمل عنه حرها، فلما أصبح الملك وجد خفة الشمس وخفة حرها ما لا يعرف: فقال: يارب، خلقتني لحمل الشمس، فما الذي قضيت في؟ فقال: أما إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك ثقلها وحرها، فنجبت، قال: يارب اجمع بيني وبينه، واجعل بيني وبينه خُلة، فآذن الله - تعالى - له، فأتى إدريس حتى إن إدريس ليسأله، فكان مما سأله أن قال: أخبرتك أنك أكرم الملائكة عند ملك الموت، وأمكنهم عنده، فاشفع لي إليه أن يؤخر أجلى فازداد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها. قال إدريس: قد علمت ذلك، ولكنه أطيب لنفسى، قال: نعم أنا مكلمه لك، فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك، ثم حمّله ملك الشمس على جناحه، فرفعه إلى السماء، ووضعوه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت، فقال: لي إليك حاجة، قال: أفعل كل شيء أستطيع، فقال له: صديق لي من بني آدم يتشفع بي إليك أن تؤخر أجله، فقال: ليس ذلك إلي، ولكن إن أحببت أعلمه أجله متى يموت فيتقدم في نفسه. قال: نعم. فنظر في ديوانه، فأخبره باسمه، فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، ثم قال: إنني لأجده يموت عند مطلع الشمس، قال: فإني أتيتك وتركتك هناك. قال: فانطلق

لشيء عجيب، أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة. فقلت كيف ذلك وهو في الأرض؟ فقبض روحه، فذلك قوله - تعالى: {ورفعناه مكانا عليا} - قال ابن حجر: (وهذا من الإسرايليات - والله أعلم بصحة ذلك).

وعلى الرغم من نقل عبد الوهاب النجار لكثير من أخبار إدريس - عليه السلام - ما جاء في رواية كعب الأحبار وغيره، بل إنه نقل من التوراة في قصة إدريس وغيره من الأنبياء إلا أنه يقول: (الاسلم تقويض علم ذلك إلى الله تعالى) ويقول في موضع آخر: (فانتم ترون أن ما جاء عن إدريس في ذلك الكتاب أخبار لم تؤيد بنقل صحيح ولم يعضدها نص قاطع، نشهد به على أن الله - تعالى - صنعه لعبده ونبيه إدريس - عليه الصلاة والسلام - وكلها أقوال مما قمشت [٧] وضم حبل الحاطب، فهي أقوال لا بأس بالاطلاع عليها، كما يطلع المرء على غيرها من السير).

وقد جاء في القصص النبوي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - النهي عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم، فقال (صلى الله عليه وسلم) [٨]: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (أما بالله وما أنزل) الآية).

وروى عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

قال ابن حجر: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه (صلى الله عليه وسلم) الزجر عن الأخذ عنهم والظفر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار.

إلى مكانه، فاحتمله ملك الموت إلى الأرض، فعبد الله حيناً، ثم قال لملك الموت: هل لك أن تخلني الجنة؛ لأرى ما أعد الله - تعالى - لأهل طاعته من النعيم؟ فقال: حاجتك إلى الله - تعالى - ولكني أحملك وأقف على طريق رضوان خازن الجنان، فسله حاجتك، ففعل ذلك، فلما رآه رضوان قال: من هذا؟ قال: إدريس نبي الله، يريد أن ينظر إلى نعيم الجنان، قال: ذلك إلى ربي، فأوحى الله - تعالى - إلى رضوان: أتى قد علمت ما يريد عبدى إدريس، وقد أمرت غصنا من أغصان شجرة طوبى أن يتدلى إليه فيلتف به ويدخل الجنة، فإذا دخل فاقعه في أعلى موضع، فلما دخلها إدريس ورأى ما فيها من النعيم، قال له رضوان: أخرج الآن، قال إدريس: أيدخل الجنة من يخرج منها؟ فحاجه في ذلك - فأرسل الله - تعالى - له ملك الموت، فقال له إدريس: ما حاجتك؟ إنك لن تسلط على قبض روحي مرتين، فإذهب، فرجع ملك الموت إلى ربه - عز وجل - وقال: إلهي قد علمت ما قال إدريس، قال الله - تعالى - إنه حاجك بكلامى، فذره في جنتى، فلذلك قوله تعالى: (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً).

نقل ذلك التورى وقال: هذا ما أورده الكسائى - رحمه الله - في كتاب المبتدأ [٤]. وقد علق كثير من العلماء على الروايات السابقة، فمن ذلك تعليق ابن كثير في تفسيره لقول الله - تعالى: {ورفعناه مكاناً علياً} فذكر أن كعباً روى أن الله أوحى إلى إدريس أتى أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم - إلى آخر الرواية - ثم قال ابن كثير: [٥] (هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرايليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم).

وقال ابن حجر [٦] بعد التعرض لبعض هذه الروايات مثل قول ملك الموت لصديق إدريس: (إن هذا

وستأتى - إن شاء الله - قصته في موضع آخر .

صورة إدريس - عليه السلام :

لم تقف على نصوص صحيحة تصف لنا صورة إدريس - عليه السلام - على النحو الذي جاء في وصف آدم - عليه السلام - عن طوله وحسنه وغير ذلك . ولكن نقلت بعض الآثار والأخبار عن صورة إدريس؛ فقليل إنه كان رجلاً آدم، تام القامة أجلس، حسن الوجه، كث اللحية، مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العينين أكحلهما، متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفكرة به عسبة، وإذا اغتاط احتد، يحرك سبأته إذا تكلم [١١] . والله أعلم .

الهوامش :

- (١) فتح القدير ج ٣ ص ٤٢٠ .
- (٢) قصص الأنبياء الطلبي ص ٢٩ ونهاية الأرب ج ١٣ ص ٤١
- (٣) الطلبي قصص الأنبياء ص ٢٩ .
- (٤) نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١٣ ص ٢٨ وما بعدها .
- (٥) ج ٣ ص ١٧٠ .
- (٦) فتح الباري ج ٦ ص ٣٧٥ .
- (٧) القمش : جمع الشيء من هنا وهناك .
- (٨) فتح الباري ج ٥ ص ٢٩١ وج ٦ ص ٤٩٨ .
- (٩) فتح الباري ج ٦ ص ٣٧٢ وما بعدها .
- (١٠) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٧ .
- (١١) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء ص ٤٢ .

إدريس وإلياس :

هل إدريس هو إلياس؟ كما سبق من كلام المفسرين والمحدثين وعلماء السير والمؤرخين أن إدريس - عليه السلام - من ذرية شيث بن آدم - عليهما السلام - . ولذلك ترجم البخاري - رحمه الله - في كتاب الأنبياء فقال [٩]: (باب ذكر إدريس - عليه السلام - وهو جد أبي نوح، ويقال جد نوح - عليهما السلام) وفي الباب الذي قبله ذكر (وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون - إلى - وتركتنا عليه في الآخرين) .

وعلى ذلك فإن إدريس الذي هو إلياس كان بعد نوح، وكان المصنف رجح عنده كون إدريس ليس من أجداد نوح . قال ابن حجر: (ولهذا لم يجزم به البخاري . وقد أخذ أبو بكر بن العربي من هذا أن إدريس لم يكن جداً لنوح، وإنما هو من بني إسرائيل، لأن إلياس قد ورد أنه من بني إسرائيل، واستدل على ذلك بقوله - عليه السلام - للنبي (صلى الله عليه وسلم): (مرحباً بالنبي الصالح والآخر الصالح) ولو كان من أجداده لقال له كما قال له آدم وإبراهيم: (والابن الصالح) وهو استدلال جيد، إلا أنه قد يجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطف) .

ونقل ابن كثير [١٠]: (قال قتادة ومحمد بن اسحاق: يقال إلياس هو إدريس، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق، عن عبيدة بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إلياس هو إدريس، وكذا قال الضحاك، وقال وهب بن منبه: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران بعثه الله - تعالى - في بني إسرائيل بعد حزقييل - عليهما السلام) .

نحو تفصيل مؤسساتنا الإسلامية

فى يوم لا تنفع فيه الفصاحة ولا البلاغة الإعلامية أو المؤتمراتية.

وقد كان على هذه المؤسسات «المختزلة» التي تزعم - وهي صادقة من الناحية القانونية - أنها تهدف لخدمة الإسلام.

كان عليها أن تسأل بالاحاح، وأن تذهب إلى أهل الذكر الذين لهم قلوب وعقول يفقهون بها .. قائلة لهم: كيف وقع هذا التناقض العجيب:

رجال بلا إمكانات ولا مواقع .. يصبحون أمة .. ومؤسسات تنكش حتى تصبح فرداً أو أفراداً ٢٠٠ وكيف تُفسر نجاح عدد من الشخصيات في مراحل تاريخنا المختلفة؟

- وفي المقابل: كيف نفسر فشل كثير من المؤسسات والهيئات والجامعات التي لا تريد - للأسف - أن تعترف بالفشل، ولا أن تعرف مواطن الداء؟

- وعند الوصول إلى اجابة صحيحة لهذا التناقض .. يبدأ القطار في السير فوق قضبانه الصحيحة!!

والأمر لا يحتاج إلى بحوث أكاديمية، فقلما تصل الأكاديمية الميتة الجافة إلى مشروعات نهضة .. لأنها محكومة بقوالب منهجية بعيدة عن الروح الإبداعية!!

- إنه يحتاج - فقط - لدراسة بعض المعابر والتحولات والنماذج الرفيعة التي نجحت في تغيير التاريخ .. وصناعة تحول بدرجة ما .. قد يؤدي - بعد وفاة صاحبه - بنصف قرن مثلاً - إلى تحول كبير .. ومثل هذا الأمر - كذلك - لا يحتاج لمؤتمرات، فمؤتمراتنا المعروفة التوصيات - سلفاً - يعرف

فى أحيان كثيرة يحتاج الأمر إلى العودة إلى البساطة لا إلى التركيب، وإلى الفطرة .. لا إلى الفلسفة وإني لأجندني مدفوعاً - الآن - لمخاطبة أمتي المسلمة، ومن يُسمون نخبها وصفوتها .. معتمداً على صوت الفطرة قائلاً لهذه النخب في مواقعها المختلفة: - افعلوا ما شئتم .. فلن تصلوا إلا إلى القليل - وسيسيبكم أعداؤكم .. وسيسيبكم التاريخ .. وقد أصبحتم في موقف الذين ينفقون أموالهم .. ثم تكون عليهم لا لهم.

- تذكروا الحقيقة: لقد نجح أفراد بسيطاء لم يركبوا كثيراً .. وربما ولا قليلاً - الدرجات الأولى في الطائرات .. ولم يعيشوا كثيراً .. وربما ولا قليلاً - في فنادق النجوم الخمسة!! ولم تفتح لهم صالات كبار الزوار!!

وأكثرهم - فيما أعلم وفيما عاشرت - عاشوا للعلم .. لكنه العلم الذي لم يرتبط بشهادة ولا موقع من مواقع الإدارة .. وإنما ارتبط بغايات أخروية .. وما كتبوا عن ضرورات الرقي الديني - تكنولوجياً أو غيرها - إلا وهم يربطون ذلك بالرقي الأزكي والابقى .. بالأخرة!!

- كانوا يبدون أمام الناس أفراداً، لكنهم في الحقيقة .. كانوا أمماً تتحرك: «إن إبراهيم كان أمة» بينما تبدو مؤسسات كبيرة الآن .. كأنها - فرد - أو عند التجوز - أفراد يتحركون، تكاد تُختزل المؤسسات في شخصهم التي نيطت بهم .. وسوف يسألون عنها



بقلم : د. عبد الحليم عويس مفكر إسلامي - استاذ الحضارة الإسلامية - مصر

وهماءً .. وتحت هذه المظلة - التي تمزج بين الوسيلة والغاية - أبداعوا وأخلصوا وتقدموا ..

وفي المقابل: عندما أضعنا الغايات وركزنا على الشهادات والمصالح الذاتية، وقصلنا الأمة عن روحها وقلبها .. وعيشنا بشوابتها، وقدمنا لها مركباً من المتناقضات، فشلنا في كل شيء .. وأصبح أصحاب الشهادات عبئاً على الدولة بدلاً من أن يكونوا قادة نهضتها وتقدمها .

ولابد من نبذ اليأس .. والأمل في بداية جديدة . وبين أيدينا مساجد ومراكز إسلامية وجامعات في داخل العالم الإسلامي وخارجه ينقصها تخطيط سليم لعودة الروح إليها .

- أجل: عودة الروح والقلب ...

إنها أجساد وعقول (مع بعض التجوز) .. لكنها - بالتاكيد - فرض عليها - بعوامل داخلية متصلة بعوامل خارجية - أن تكون بلا روح ولا قلب !!

- وكل من يحاول أن يحتفظ بالروح والقلب .. توضع أمامه العقبات .. فيضطر الى التخلي عن روحه وقلبه لكي يمشي مع المجموع .. مع القافلة التي تتجه (وهي راضية) نحو الانتصار !!

بين يدي الآن نص اتفاقية تعاون بين منظمين (أو رابطتين!!) دوليتين إسلاميتين رقيعتين ..!

وأقسم بالذي بعث جبريل إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) في (غار مُحْكَم) ومكنه من تربية طلائع خير أمة في (دار ابن الأرقم) .. أن هذه الاتفاقية مضي عليها - وأنا أكتب هذه السطور - تسع سنوات، وأن يبدأ واحداً من بنوينا البالغة أكثر من عشرين لم ينفذ .. والمؤسستان - والحمد لله - قائمتان ..

أعضاؤها المجلدون أن نتائج بحوثهم وقراراتهم محكوم عليها - سلفاً - بالإعدام!!

وإنما الأمر - كما أُلْعِتُ - يحتاج الى دراسة عقلية ووجدانية (فلا انفصال بين القلب والعقل في الرؤية الإسلامية) لفترات البعث الحضاري والتحول التاريخي، وأيضاً لطبيعة تكوين بعض القيادات الرائعة، وطبيعة الأساليب التي اعتمدت عليها .. ونمزج بين كل ذلك وبين أمرين خطيرين:

أولهما: التطور الكمي والكيفي العلمي والثقافي، حتى تحدث النقلة الى موقع العصر الذي نعمل في زمانه وفي محيط تحدياته وإبداعاته وعلى أرضه الفكرية.

وثانيهما: المعنى الدعوي والرسالي والروحي الذي لن نستطيع تحقيق الإقلاع إلا به .. لقد حصل عشرات الآلاف في عالمنا الإسلامي على رسائل ماجستير ودكتوراه في شتى التخصصات ..

ولقد أصبحت جامعاتنا تُخرج في كل سنة عشرات الآلاف من حملة ما يسمى بالشهادات العليا .. لكن ..

لكن .. انظر بعين مخلصه منصفة لهؤلاء، وقارن - حتى في محيط الأزهر والقروين والزيتونة - فكرهم ولغتهم الفصحى والروح التي تنبعث منهم - بما كان عليه أسلافهم، ممن انتسبوا الى هذه الجامعات فكانوا شموساً تتحرك على الأرض ..

وقارن بين خريجي جامعاتنا الأخرى ونظرائهم من اليابانيين أو اليهود - وسترى أن أهل الباطل قد أنكروا أنه لا علم يصنع التقدم بدون دعوة ورسالة وانتماء وهدف كبير .. حتى ولو كان باطلاً .. أو

والجولات والصلوات والاجتماعات على قدم وساق... والضمائر ساكنة مستريحة... والحمد لله على كل حال!!

- فهل نياس، ونقول: إن أمة الإسلام لن تنهض إطلاقاً بمؤسسات رسعية أو فوقية؟
- وإن أمتنا كُتِبَ عليها أن تعيش بالجهود المخلصة الفردية... حتى في عصر المؤسسات، عابرة القارات والمحيطات... والتي تحارب الإسلام وأمة - حرب إبادة جماعية؟!!

- هل نياس ونقول ذلك... أو نبدأ في طرح تصور آخر يصرخ في البرية... ونقول لهؤلاء المسؤولين (المخلصين منهم فقط) تعالوا الى حلول عملية وتصورات بسيطة فطرية (فدينكم دين السهولة والفطرة) وهيا تنقق على أن يصدق بعضنا بعضاً، وأن نُخَذِّلَ عن الإسلام ما استطعنا (مثل نعيم بن مسعود في حصار الخندق الذي يشبه الحصار المضروب علينا الآن).

وأحذركم من أن يحتقر بعضنا بعضاً، أو يستعلي بعضنا على بعض بمواقفه الرسمية (الدولية) الزائلة... والتي سيحاسب عليها ذات يوم حساباً عسيراً!

هيا نعمل على أن لا نحترق أي عمل صغير... حتى ولو كان مثقال ذرة من خير... فلو طلب داعية حر من داعية كبير مسئول عوناً في مشروع... فقليله أن يستجيب له... ولو بنسبة ضئيلة هزيلة جداً، وكأنه يشد أزره، ويدعو له... ويحترم إنسانيته!!

- هيا نعمل على وضع قواعد أخلاقية وإنسانية في محيطنا الدعوى الإسلامي، كما يتناصر أهل الباطل في العصر الحديث... يتناصرون عبر الإنترنت والبريد الإلكتروني والمؤتمرات والمؤسسات... فكانتهم خلية واحدة متكاملة... (خلية نحل) بينما نحن متناقضون... يهدم بعضنا بعضاً، ويصرخ بعضنا في

البرية بلا طائل... ويحترق بعضنا من الدجل والكسل!!

افعلوا ما شئتم... لكني أهدركم أن تكونوا سُذْجاً لدرجة أن تنتظروا خيراً من مؤسسات التعليم الحديث... مدرسية كانت أو أكاديمية... ولا تظنوا أنكم قادرون على الالتفاف حولها... فبينتها مادية عقيمة لا تنتج مبدعاً ولا منتجياً، ولا صاحب رسالة أو قضية... وعليكم أن تعملوا على انتشار ما يمكن انتشاره من ضحاياها الباحثين - فقط - عن الشهادات والوظائف!!

- وسوف تلاحظون أن كل من ارتفع من أبنائها كان بعوامل خارجية، فلما لأنه انتسب الى مدرسة ايمانية أو دعوة حركية...

- ولزيادة المعلومات نقتبس لكم بعض ما كتبه العلامة محمد إقبال... فصدقوه إن لم تصدقونا... يقول شاعر الإسلام العظيم:

«إن الشيباب المثقف فارغ الاكواب، ظمآن الشفتين، مصقول الوجه، مظلم الروح، مستنير العقل، كليل البصر، ضعيف اليقين، كثير اليأس، لم يشاهد في هذا العالم شيئاً، هؤلاء الشبان أشباه الرجال ولا رجال، ينكرون نفوسهم، ويؤمنون بغيرهم، بيني الأجانب من ترابهم الإسلامي كنائس وأدياراً، شباب ناعم، رخو رقيق في الشباب كالحرير، يموت الأمل في مهده في صدورهم، ولا يستطيعون أن يفكروا في الحرية».

إن المدرسة الحديثة قد نزعّت من الشباب العاطفة الدينية، فأصبحوا في خبر كان، إنهم أجهل الناس بنفوسهم، وأبعدهم عن شخصياتهم، شغفتهم الحضارة الغربية فيمدون أكفهم الى الأجانب ليتصدقوا عليهم بخبز شعير، ويبيعون أرواحهم في ذلك، إن المعلم لا يعرف قيمتهم، فلم يخبرهم بشرفهم، ولم يعرفهم

**** درهم من الفمل الحقيقي الجاد خير من قنطار من الكلمات المكسرة ** خزائن الجامعات والمراكز والمؤسسات التعليمية والاجتماعية ملأى بالقـــرارات والتوصيات .. ولا نحتاج الى مزيد.**

وهذه المكتبة تختار بعناية لتقدم أصول التصور الإسلامي لله والكون والإنسان والحياة .. ومدى خسارة البشرية بانحطاط المسلمين .. ومدى حاجة الحضارة الحديثة لعودة الإسلام بمنظومتها العقدية والقيمية، ومشروعه الإنساني اللاعنصري، وإمكانات البعث الحضاري الموجود لدى المسلمين!! ويمكن تشكيل لجنة مصغرة جداً لاختيار عناوين الكتب لهذه المكتبة .. ويمكن التفكير في دعم المكتبة ببعض الوسائل السمعية والبصرية التي أصبحت تدخل في نطاق (المكتبة الحديثة) . كانت كلمة صائبة جداً .. ونحن قرأتها شعرت بإخلاص كاتبها، وبأنه يبحث .. جاداً .. عن عمل حقيقي .

لقد رد على مشروع أرسل إليه بقوله:

بشخصيتهم، مؤمنون ولكن لا يعرفون سر الموت، ولا يؤمنون بأنه لا غالب إلا الله» .

ويرى محمد إقبال أن المدرسة هي المسؤولة عن هذا المسخ الخلقي، وهي التي نزلت بالشباب المسلم عن مقامه الرفيع الى المحل الوضع، يقول في بيت: «أشكو إليك يا رب! من ولاة التعليم الحديث وإنهم يربون فراخ الصقور تربية بغاث الطيور، وأشبال الأسود تربية الخروف» .

ومن أكبر أسباب هذا الضعف، الذل والتقدير الزائد للمادة والنظر الى الوظيفة والمرتب كفاية للتعليم، يقول إقبال في بيت: «إن ذلك العلم سم ناقع للأفراد الذين ليست لهم غاية، إلا حفتان من شعير (يعنى المرتب الذي يتقاضاه الموظف)!!

والطريق الوحيد - إذن - هو التخطيط الكبير للتواصل مع أعضاء هيئات التدريس في هذه الجامعات .

- والمؤسسات (الدولية الاسلامية) عليها عبء التواصل مع أكبر عدد من صناع العقول:

١ - عن طريق ندوات متخصصة في الفروع المعرفية (أو الاشتراك بعناصر في شتى الندوات وتقديم دعم محدود) .

٢ - عن طريق دعم عدد من الدوريات الصادرة عن بعض المؤسسات والهيئات العلمية .. شريطة أن تقبل نشر بحوث معمقة تحمل الرؤية الإسلامية .. (وهذا عملياً أفضل من التفكير في إصدار خاص) .

٣ - عن طريق دعم حركة نشر الكتب ذات المنظور الإسلامي في سائر العلوم (والدعم ولو بشراء مائة نسخة أفضل من تبني النشر مباشرة) .

٤ - عن طريق التفكير في إنشاء (مكتبة الباحث) وهي مكتبة في حدود مائة كتاب تقدم (مدعومة) أو (بخصم خاص) لأعضاء هيئات التدريس والدعاة،

والافتتاحيات التشجيعية، وعمليات الإعلام التي تستطيعها .

ولنتخيل أن هناك ثلاثين جامعة قبلت هذا العرض، فهذا سيكون من شأنه إخراج عدد لا يقل عن ستين دورية في السنة (المتوسط عددان في السنة) بلغات مختلفة . . وتستطيع مؤسسة المقر وضع بعض الضوابط والشروط ومنها البعد عن الأكاديميات الجافة، والجمع بين الجانبين الأكاديمي والإبداعي، والبعد عن الاستغراق في الماضي . . ومحاولة استشراف المستقبل والعيش في الحاضر وطرح

البدايل الحضارية . . العلمية والإنسانية . . وكذلك البعد عن الصراعات السياسية، والالتزام بالتصور الإسلامي المحكوم بالقرآن والسنة . . وتستطيع المؤسسة أن تفكر في مشروعات أخرى كثيرة . . لا تتولى هي تنفيذها بل تتولى الوقوف وراءها، والاتفاق مع الجامعات على تنفيذها . . وهنا يقع الانقلاب والتحول وتنتهي المركزية المختلة .

«فمثلاً» يمكن أن تخصص كل جامعة بتدعيم نوع من العلوم . . حسب محيطها العلمي والبني، مع اشتراكها في العلوم الأخرى . ويمكن تقسيم الجامعات إلى (مناطق جامعية) بحيث تقسم الجامعات الإفريقية مثلاً

«وكما ترون فإن المطلوب في هذه المرحلة هو العمل والتعاون والتنسيق لتنفيذ هاتين الاستراتيجيتين، لا إعداد المزيد من المشروعات والخطط مع التقدير لجهودكم ونتائج أعمالكم» .

وكلمات - كهذه - لا يكتبها إلا مخلص لأمة ودينه، باحث عن وسائل حقيقية للعمل والإنجاز والخروج من النفق المظلم .

- دعنا نفترض في أوراق صاحبنا هذا . .
- إن من بين المساحات التي يبذر بذوره في حقولها فدرالية تسمى «اتحاد جامعات العالم الإسلامي»

وعدد الأعضاء يصل إلى نحو ١٥٠ جامعة (لاحظ العدد مرة أخرى!!)

وهذه الجامعات تنتظر مساعدة المقر الأساسي للاتحاد المذكور . . (وهنا تبوؤ المركزية المختلة) . . والصواب أن يتجه الأمر إلى العكس، بحيث تتفق إدارة المقر مع هذه الجامعات على أن تتحول هي إلى مطابخ فعل حضاري . . وهي - فقط - تتولى تقديم بعض الدعم المادي والمعنوي والفكري . . وبالتالي تقنع هذه الجامعات، ولا سيما في بلاد الأقليات - على أن تصدر دوريات علمية، وهي تساعد - مثلاً - بالاشتراك في مائة أو خمسين نسخة بسعر تشجيعي . . وتساعدوا ببعض الاستكتابات

*** كثير من أبناء
الامة الاسلامية قدموا
للمستمر ما لم يستطع
هو الوصول اليه .**

*** المتناقضات في
الفكر والعمل هدمت
بعض ثوابت هذه
الامة .**

*** التواصل الفاعل
بين الجامعات، وبين
المؤسسات الدولية
ضرورة للتجويد
والتفصيل .**

ب - تبسيط اللغة العربية وتقديم قواعدها من خلال النصوص الأدبية.

ج - بناء ثقة المسلم في دينه وحضارته.

د - غرس روح الإقلاق والشعور بالمسؤولية نحو الإنسانية. (رسالة الشهادة على الناس والوسطية)

هـ - تعرية أشكال الغزو الصهيوني والتصيري من خلال التعريف بأعمدة الغزو الأساسية: التوراة - التلمود - البروتوكولات - الماسونية بجمعياتها - العولة - اللائكية - التصير بوسائل - الحركات المساعدة كالبهاية والقاديانية والحبشية - والقوميات للدينية التي تركز على الوثنيات القديمة كالآشورية والفرعونية والطورانية والفارسية. . . الخ.

ولنتذكر هنا أن الدين قد انهزم في الغرب ، فهو أرض فارغة، لكننا لا تجد القادرين على ملء الفراغ، وحسبنا أن نعلم أن بعض الكنائس تستعمل وسائل لا أخلاقية في جذب الرواد، وكثير من الكنائس تباع للمسلمين.

وعندما طلب مني التعاون مع جامعة روتردام الإسلامية (بهولندا) التي تعجز عن استيعاب المتقدمين لقلة الإمكانات. . . كنت أبتسم من قلة عدد طلابها بالنسبة للجامعات في بلدي مصر. . . لكن مدير الجامعة أطلعني على عدد طلاب الجامعات الدينية في هولندا، وبعضها يعمل منذ عشر سنوات. . . فالجامعة الدينية الكاثوليكية في أوترخت طلابها (٨٨ طالباً) ، والجامعة الكاثوليكية في نايميخن طلابها (١٢٤ طالباً) ، والكلية الدينية في تيلبورخي طلابها (١٤٢ طالباً) ، والجامعة الكاثوليكية في كامين طلابها (٢٠٩ طلاب) ، والجامعة الحرة بأمستردام تضم (٧٥ طالباً). وهم يعجبون لأن جامعة روتردام الإسلامية وصل عدد طلابها مع مطلع السنة الثالثة ٢٥٠ طالباً، وتخطط

الى خمس مناطق رئيسية، وتقسم الجامعات الأوربية الى ثلاث مناطق. . . والأمريكية الى عشر مناطق. . . والأسبوية الى عشر مناطق - مثلاً. . . وهكذا ، تكون ثمة (جامعة مركزية) في كل منطقة تتولى التنسيق في كل منطقة جامعية.

ويمكن تقسيم بعض المراكز الإسلامية النشطة والكبيرة الى مناطق أيضاً. فالقياس هنا ممكن وصحيح!!

وعلى المقر الرئيسي أن يعمل على المساعدة في تقريب شروط القبول والتخرج ومعادلة الشهادات.

«ومثل هذا يقال في نشر التراث الإسلامي والثقافة الإسلامية والتعريف بالإسلام والتصدي للأباطيل والشبهات الموجهة إليه وإلى المسلمين. . . فيطلب من كل جامعة أو مركز إسلامي أن يتبنى خطة يكون هو المسئول عن تنفيذها. . . وإن مقر الاتحاد يمكن أن يقدم العون - عند الاتفاق - في الحدود التي يمكن الاتفاق عليها، كتأمين عدد من الكتب، أو الدعم المالي (عن طريق الوساطة لدى القادرين) وتقديم المشورة والخبرة. . . والدعم الإعلامي والمعنوي. . . والمساعدة على تحقيق تبادل المعلومات مع الجامعات والمراكز الأخرى على أساس أن المركز الرئيسي هو «المنسق والميسر».

ويمكن عن طريق التعاون بين عدد من الجهات والقادرين، الاشتراك في مشروع (ألف كتاب إسلامي) بحيث تختار له خمس لغات هي: (العربية - الإنجليزية - الفرنسية - الأوردية - السواحلية). إنه مشروع طموح يحتاج الى مزيد من الدراسة والتفصيل. . . ومن خلال هذا المشروع يمكن استيعاب المجالات التالية:

أ - التعريف العصري بالإسلام.

* * الإسلام الذي لجأ إليه الكثيرون من الأوروبيين وآمنوا به طوعية يحتاج منا إلى البراعة والدقة في أسلوب العرض . * * سلوكيات المسلم المتناقضة مع مبادئ الدين تسيء كثيراً للدين نفسه .

في تقديم زبدة أطروحاتهم
فيما لا يزيد عن خمس ملازم
(٨٠ صفحة) ومعدل الصفحة
لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة .

مجردين هذه الأطروحات
من المقتضيات الأكاديمية ،
وصور الإسهاب التي لا يحتاج
إليها القارئ المثقف . . إلى
غير ذلك مما ييسر البحث على
القارئ المثقف .

والأمر الثاني : التعاون بين
المقر الرئيسي والجامعات . .
والباحثين . . وبعض هيئات
وزارات التشجيع العلمي

والدعوى . . لإخراج هذه البحوث الرصينة إلى
الناس . . وليس هذا التعاون بدءاً فأسلسل السلسل التي
تظهر في مصر مدعمة للناس تحت اسم (مهرجان
القراءة للجمعية) تتعاون على إصدارها نحو سبع
جهات . . والمشروع الذي كان يظهر في لبنان تحت
اسم (زمني علماء) كانت تتعاون فيه عدة جهات من
بينها مثلاً شركة الخطوط الفرنسية .

فهل يحرم علينا أن نحلم بصور من التعاون تخرج
كثيراً من الكتون المظورة للأمة التي يحاول تغيير
وعيا وتزييف ثقافتها كثيرون متعاونون على الهدم .

« وأيضاً . . :

- إن كثيراً من المؤتمرات قد تركت توصيات كثيرة ،
فلم لا تشكل لجنة مصغرة لدراسة هذه التوصيات
وتنظيمها واستخراج الممكن والمالح منها ، ووضع خطة
لتحريك هذه التوصيات في اتجاه الواقع ، ومن خلال
خطة تقوم بتكليف بعض المؤسسات والهيئات بتنفيذ

الوصول إلى ٥٠٠ طالب خلال
السنوات الثلاث القادمة بإذن
الله .

وهذا يجعل من دعم
الجامعات والمراكز الإسلامية
في أوروبا فرضاً لازماً . . وذلك
من خلال :

أ - تزويدها بالمكتبات
باللغات العربية والأوربية ،
ويكتب تعليم اللغة العربية ،
ب - تزويدها بأشرطة
الفيديو والكاسيت .

ج - تزويدها بالمعامل
الخاصة بتعليم اللغة العربية .

د - تزويدها بمعلم أو أكثر حسب القدرة .
هـ - تحريك فعاليتها الثقافية وفق الخطة التي
ألغنا إليها سلفاً .

أذكر الآن أمراً يستحق أن تفكر فيه هذه
المؤسسات - بشكل تعاوني - من خلال إدارة تنسيق
مركزية .

- إن هناك في عالمنا الإسلامي مأساة اسمها
« البحوث الأكاديمية » أطروحات الماجستير والدكتوراه
فأغلب هذه البحوث لم تظهر للنور . . ومهما قيل عن
نمطية كثير منها وتقليديته ، فمما لا شك فيه أنها أقوم
من كثير مما يظهر للأسواق دون ضوابط .

- وحيداً أن يظهر مشروع يتولى أمرين مهمين :
أولهما : تبسيط هذه الرسائل وغربلتها وتقليص
حجمها وإخراج جوهرها ونتائجها ، والجديد فيها
للباحثين والمجتمع ، ويتحقق ذلك عن طريق مناقشة
الجامعات الأعضاء بأن يتوجهوا إلى باحثيهم بالرغبة

قدر محدد من هذه التوصيات يناط بها، وتساعد على انجازه... وقد يقتضي ذلك التعاون بين أكثر من هيئة... المهم أن يكون هناك (دليل للتوصيات) التي أقرتها مؤتمرات ربع القرن الأخير في الحقول المختلفة التي تقود إلى السير العملي في طريق التقدم ولو بخطوات بطيئة وهادئة، ولعل هذا هو الذي منعه في هذه الورقة أن أقدم توصيات كثيرة.

•• نداء أخير :

ويبقى أمر أساس لابد من دراسته من قبل الهيئات الإسلامية والعربية الدولية... وإن تجاهله يحبط كثيراً من جهود التقدم والبناء... ففي المحيط الإسلامي - والعربي منه بخاصة - تجاوزت بعض النخب السياسية والفكرية كل الخطوط الحمراء، وأصبحت - سواء أدركت ذلك أم لم تدركه - تخدم الصهيونية والماسونية وبقية قوى الهدم للأمة الإسلامية.

وقد تكون هناك بعض الأخطاء الفردية - أو الأخطاء المدعمة خارجياً - لتبرير هذا السلوك الذي يحارب ثوابت الأمة ويريد اقتلاعها كلها تحت مسمى (تجفيف منابع)، ولذلك فهو يحارب الكتائب والمساجد والتعليم الإسلامي واللغة العربية، وينتصر للفرنكفونية والانجلوسكسونية، ويضطهد كل رجل يظهر التزامه بالصلاة أو العبادات وكل امرأة تبدي رغبة في الاحتشام والالتزام... ويعمد إلى تدمير البنى الأساسية التي لم يجرؤ الاستعمار على الاقتراب منها... ويوجه كل طاقاته التربوية والتعليمية والإعلامية والثقافية ضد الإسلام والعربية، وهو - بهذا - يقدم للاستعمار ما لم يحلم به، بل ما لم ينله طيلة فترات استعمارهم، كما أنه يحبط كل الجهود التي تبذلها الأمة بمؤسساتها جامعية أو ثقافية أو دعوية.

ولابد من الوصول إلى جسور للتواصل مع هؤلاء وتعميق العلاقة معهم، وجذبهم بعيداً عن هذه الخيانة الدينية والحضارية، وتبصيرهم بطرق - يقبلونها - بأخطار هذا التناقض مع سياق الأمة ومنهجها وثوابتها.

وإن الابتعاد عن هذا الأمر اعتماداً على أنه من المحظورات، أو على أنه قد يبدو تدخلاً في الشؤون الداخلية، أو تدخلاً في السياسات العليا... هذا الابتعاد يجعل قطارنا الحضاري يتأرجح في مكانه ويتأخر أكثر مما يتقدم... «فلن يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبني وغيرك يهدم».

- ونحن نطالب باستخدام وسائل مقبولة للتواصل والتفاهم والحوار... وسلوك قنوات محترمة من الجميع... أما الصمت المطلق، فهو رصيد يصب في خندق الإحباط، ويستفله خصوصاً الحضاريون الذين يسعون إلى شل فاعليتنا وتفكيك نسيجنا.

هذه خواطر •• ومقدمات ••

واعتقد أن الاستراتيجيات والإعلانات والبحوث والتوصيات والقرارات التي قدمت في نصف القرن المنصرم... تحتاج منا إلى تحريك وتفعيل... تحتاج إلى روح... تحتاج إلى دعوة ودعاة... تحتاج إلى إخراج لها من عالم التكيس... والكلم... والفوضى... - ولا تحتاج إلى مزيد من الأقوال... أكاديمية كانت أو إبداعية... فدرهم من الفعل الحقيقي خير من قنطار من الكلمات المكررة.

- لنستثمر ما عرفناه... ونحوه إلى برامج وأعمال... كما فعل أسلافنا الذين كانوا يكتفون بالقليل من القرآن الكريم... مع التدبر والعمل والتغيير... وبالله التوفيق.

الحنو والتمظهر الآخر

الدواوين والقصائد - كما كان لذات الشاعرة حضورها الأوفر في تشكيل العنوان أو اللوحات التي تتصدر الدواوين سواء برسوماتها أو بإضفاء بصماتها من خلال إيحائها للفنان بما ترغب في تجسيده كواقع شعري في لوحة زيتية تتصدر الديوان.

إن العنوان بالنسبة للشاعر هو عبارة عن إنجاز عملية معقدة - عند بعض - من الصعوبة الظفر بها لأن الإيقاع يلعب دورا كبيرا في تجسيد الصورة، ومن ورائها الحكمة التي يريد الشاعر نقلها وتبليغها إلى غيره، وكيف يتم التجاوب بينه وبين القاصد؟ فهو رسالة محملة بهجوم القاصد التي يضمها الديوان، لذا فهو يحتل موقعا متميزا إذ يتصدر اللوحة بالنسبة للفلاف، والصفحة بالنسبة للقاصدة، بوصفه نصا أصغر MICRO TEXTE ويقوم بوظائف ثلاث: إذ يحدد، يوحي، ويمنح النص الأكبر MACRO TEXTE قيمة، ويفتح شهية القراءة - La fonc- tion aperitive كما يقول ر. بارت [٢].

إن العنوان الذي يتصدر الديوان - بالخصوص - هو ما يميز الهوية ويعطى عنها من بعد، فعندما يصطدم بصرك بخط هذا العنوان «قصائد للحرز» وأخرى للحرز أيضا» [٣] لا يمكنك إلا أن تقول بأنها مقاربية أي أن تضعها في الدائرة الكبرى أولا ثم تقوم بنقلة إيقاعية فتحدد جغرافيتها بدقة ثم تضعها في الدائرة الكبرى أولا ثم تقوم بنقلة إيقاعية فتحدد جغرافيتها بدقة ثم تضعها في الدائرة الصغرى «الوطن الأم» بعد القراءة طبعاً لأن الخط المغربي نبهه البصري واحد. وبالتالي فالآخر - الخطاط - مغاربي يحمل - ربما - نفس الهموم والمتاعب والأهداف.

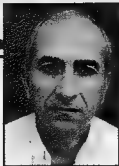
أما اللوحات الفنية التي تتصدر أغلفة الدواوين فهي تحمل في أجنحتها مؤولاتها الدلالية، فهي ناطقة

لطرح قضية العنوان وتمظهر الآخر من خلاله لا بد من التعرض لعنصر المكان لأنه هو الذي يحدد «الفضاء» وفي غياب لا يمكن إيجاده، هذا إذا أربنا تحديد المصطلحين بدقة - المكان والفضاء - ولكي لا نخلط بينهما.

إن المكان هو الذي يطر الفضاء وبهما معا يتحدد المجال إذ الفضاء أوسع من المجال ويونهما (المكان والفضاء) لا يمكن أن تحدث الحركة، والعلاقة بينهما تتحدد باستغلال المجال الذي يتمظهر فيه الآخر من خلال العنوان أو الرسم المرفق له.

في تفحصنا لدواوين الشعر الجزائري المعاصر لم نجد من الرعل الأول من اهتم بهذا العنصر واستغلاله حسبما يجب. وأقصد بالتحديد استغلال مساحة الصفحة وطريقة الإخراج وبروز الآخر إلا من خلال الحرف الطباعي الآلي.

ويعد الستينييات نجد من الشعراء من اهتم بإخراج الديوان ومنحه نبزا بصريا مميزا يعمل على استقطاب إدراك المتلقي وجذب بصره، وتفننوا في إبراز «كاليكرافيه» العنوان بطرق شتى وبخطوط عدة، لأن تير الصورة وبئر العنوان هما أول ما يصافح المتلقي ويصدم بصره، وأصبحنا بمثابة العلامة الدالة على شيء مجهول تقوم بتعريفه والإشارة إليه وهو «كالاسم للشيء» به يعرف ويفضله يتداول [٤] وهو مؤشر سيميائي ومفتاح للنص وأولي عناية فائقة من قبل الشعراء فكاتبوه بخط يدوي مميز، أو بأحرف طباعية لافتة للنظر تميزه عن «النص المتن». وكان للفنان - أقصد الآخر - الحظ الأوفر في كتابة عناوين



بقلم : عبد الرحمن تيرماسين

ماجستير في الأدب المغربي القديم - جامعة محمد خيضر - الجزائر

لوحة «العودة الى ثيزي راشد» [٩] التي تشغل حيزا ضيقا في وسط أسفل الصفحة كما يشغل المهاجر حيزا لا يتعدى مجالها الفضائي سريرا في غرفة محتشدة، فهي معادل إيقاعي للقصيدة التي يضمها الديوان، ومعادل درامي نقش جرحا عميقا في نفسية الشاعر، فصورتها القائمة اللون تجسد الفجعية التي راح ضحيتها عمال جزائريون من بينهم شقيق الشاعر. واللوحة مجهولة التوقيع لا تعرف هويتها إلا بعد السؤال، كالذين ماتوا تحت الردم لا يُعرفون إلا بعد التحقيق. فالأخر لا يتجلى ولو من خلال التوقيع المعهود عند كل الفنانين الذين يوقعون في الغالب لوحاتهم، وهو متضامن بالفعل مع المقمورين تحت الردم بل ومتحد معهم في الهجرة والغربة والهوية. هنا تكمن العلاقة الإيقاعية بين هوية اللوحة وهوية المغرب في الانتماء إلا للغربة والمنفى، واللوحة هي تطابق لما في «قصيدة الوصية».

أما إيقاعات «وحرسني الظل» [١٠] فإنها تختلف كل الاختلاف عن سابقتها فهي أقرب في حركتها الإيقاعية من «أغنيات النخيل» إذ تحتل موقعا متميزا في الغلاف ونبرها عالي الشدة وواضح يتجسد في الحرف الأمازيغي وفي اللون الأصفر الذي رافق المرء الأمازيغي عبر العصور، وفي قسمات الوجه وبريق العينين، وفي تشققات اللون الأسود الذي يمثل البيئة الجبلية التي انحدر منها الشاعر - وهي منتمية متحدية - هذه كلها عناصر تشكل حركة صراع قائم على الصدمة وإثارة الصدمة. قائل ما يصدمنا هو الحرف الأمازيغي الذي كان محرما ليس من التداول فقط، إنما من البروز. وما تثيره الصدمة هو خيانة الحبيبة لفتاها المهاجر - وبين لوحة «وحرسني الظل» وقصيدة «ثيزي راشد» تتأغم إيقاعي وتجسّد لآلام الضياع وانفجار لشحنات وجدانية.

بغير لفظ، ومشيرة بغير يد، «كالنصب» كما يقول الجاحظ. وتطبيق تمام الانطباق على ديوان «النصر للجزائر» الذي صممه الخطاط يوسف الاضرع واختار له الألوان الوطنية، أما «الحرف الضوء» [٤] و«الحن من قلبي» [٥] و«من عمق الجرح يا فلسطين» [٦] فإن نبرهم متميز ودال بالوانه الزاهية وسيراليته التي تميز معظم لوحات الفنان «الطاهر ومان». إن التمييز يبلغ درجة إيقاعية كبيرة وبقية في «أغنيات النخيل» [٧] إذ لا يكفى الإيقاع البصري بالدليل على أنها جزائرية فقط وإنما يغوص في عمق الدائرة الأصغر ليجسد هوية متميزة في واقعنا الجزائري خاصة والإسلامي عامة، فتنقلنا الحركة والصورة الإيقاعية الى غرداية، فمن لا يعرف «محمد ناصر» فإن إيقاع اللوحة يحدد ويمنح عنوان ولادته - إن صغ التعبير - ولا يكتفي بذلك فهو يوحى بخصوصيات الوسط الجغرافي والتراثي والثقافي والديني والاجتماعي والعمراني، فهو صدع ورجع بين اللوحة والقصائد والبيئة والمبدع لها (الأخر) والشاعر. في حين تتعري لوحة قصيدة «غرداية» [٨] من جميع مميزات الفنية التي جاءت متناقضة مع بيئتها أمام لوحة «أغنيات النخيل» التي تتزاحم فيها القباب والنخيل والألوان المتساقطة من أشعة الشمس. فالانسجام لم يحدث بين الآخر الذي لا يحمل أية فكرة عن مجتمع غرداية ولا عن هموم الشاعر ومعاناته فتمظهره تغلبت عليه الناحية المادية التي أزاحت أمامها كل القيم الفنية والأدبية التي سعى الشاعر من أجلها لتخليدها والتغني بها ونتج عن ذلك قطيعة تامة بين العنوان واللوحة المرفقة له والتي تجسد تمظهر الآخر... الشيء الذي خلق أزمة فنية بين الشاعر والآخر أساسها الصراع بين الروحي والمادي والصحية الملتقى المتقوق.

إن إيقاعات الألم والمنفى والهجرة القصرية وعذاب الغربة والعمل في الخنادق والأنفاق والمناجم تجسدها

فانتماؤها يتجذر من الداخل فكانت الصفصافة معادلا موضوعيا لجسد الأنثى فأسقطت أجزاء من أثوتها البارزة والفاتنة التي تعمل على إثارة الآخر على جذع الصفصافة ليتقلب عنصر التأنيث على عنصر الانتماء الأيديولوجي.

والسؤال المطروح على الشاعر هل هذه المزاوجة في اشتراك الآخر وتظهره من خلال انتمائه أو ما يحس به يخدم المعنى ويجمل النص؟ أم أن الشاعر تتنازع نزعتان:

أ - الانتماء لليمين.

ب - عدم التفريط في الآخر.

إن تعدد الآخر من خلال اللوحتين يفرض طرح السؤال بقوة، ولا أظن بأن المقصود في ذلك هو تجميل الديوان والمثنى فقط بل كسر لسيادة الذكور على الأعمال الفنية.

قديمًا كان العبور من الخط اليدوي إلى الخط الطباعي أمرًا يتطلبه العصر لظهور تقنية الطباعة الآلية وتوفيرها جهد كان يقوم به العديد من النساخ، أما الآن وبعد أن بلغت الحضارة الإنسانية ما بلغته من تقدم إعلامي تقني وفر كل الشروط والخصائص الجمالية التي يرغب فيها المبدع - أصبح يبحث عن طريقة العودة بالعبور من حيث انطلق لا لأنه يرفض تقنيات الحضارة وإنما لينقل بصر قارئه من وضع إلف الحرف الآلي وشكله الطباعي إلى وضع مغاير تمامًا أي أنه يغير له الإيقاع البصري الذي تعود عليه إلى إيقاع لم يلقه، إيقاع الحرف المخطوط بعناية ودقة، إيقاع سمعتي روعيت فيه مقاييس الجمالية في انعراجاته وامتداداته وانعراجاته في سمكه ورقته، ليشبع رغبة البصر في رؤية حركة الخط ويمتعها مثلما تتمتع النفس بالقراءة وحركة الصورة أي أنه يستحوذ على لحظتي المتعة: متعة الذهن بالقراءة، ومتعة البصر بالرؤية، وليقرن لذة الإشباع بين العين والأذن، فالعين

إن نبر الصورة يبقى هو العنصر الإيقاعي - المميز لهوية الديوان صفصافة «خضراء» تشرق من طهران» [١١] يشغل مكانها وفضاءها صورة «الإمام الخميني» ويكسوها اللون الأخضر كعنصر رجوع وصدى لكلمة خضراء: أما «قصائد مجاهدة» فاختار لها صاحبها لوحة من فن المنمنمات الإسلامية وتبقى بقية لوحات دواوين مصطفى محمد الغماري «عرس في مآثم الحجاج» قراءة في آية السيف» وغيرها توجي إلى القاري بما يوح به الشاعر، وتقوده عن غيره وتوضح انتماءها العقائدي والأيديولوجي. والوحيد من حافظ على تبوء البسمة مختلف دواوينه.

إن الآخر لا يتمظهر إلا من خلال ذاتية وعقيدة الشاعر مصطفى الغماري وانتمائه الأيديولوجي.

في الجيل الجديد من الشعراء من يتقن الفنون معا الشعر والرسم ك: عز الدين ميهوبي وعثمان ولوصيف، لكنهم يودون إشراك غيرهم في منح دواوينهم توقيعات ببصمات غير بصماتهم، لأنها أكثر جاذبية وإثارة، وأوقع في النفس، وتملأ فضاء الصفحة بكامله كما: «في البدء .. كان أوزاس» [١٢] و«اللجنة والغفران» [١٣] وقالت الوردية.

أما يوسف وغليسي فلم يكتف بلوحة واحدة لديوانه «أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار» - الأولى تغطي واجهة الديوان (رسم قروور) والثانية في الصفحة الموالية للغلاف (رسم فضيلة) لأن أوجاع الشاعر كانت أعظم من أوجاع الصفصافة في مواسم الإعصار. إذ هي نوع من الإسقاط - وإيقاعات أوجاعه أقوى وأعمق وأكثر حركة من إيقاعاتها - فأسند إلى الآخر هو السبيل للتخلص من حدة الآلام وتظهر الآخر في اللوحتين يتجلى في طبيعة الانتماء لكل من الرسام والرسم فالأول فضل إبراز الحرف العربي الذي يعتمد على الانحناءات وهي السمة البارزة في الفنون والفكر الإسلاميين، ويحمل في جنباته هالة القداسة المستمدة من الكتاب والدين. أما الثانية

**** النبر
البصري
المميز يعمل
على استقطاب
ادراك المتلقي
وجذب بصره.
** الخطوط
المُشَكَّلة
للمنوان
واللوحات
المختارة
بدقّة،
تضيف
ابداعاً
للابداع.
** العنوان:
رسالة مُحَمَّلة
بمفهوم
القصاص
التي يضمها
ديوان
الشاعر.**

الهادي، قصائد غجرية،
أجراس القرنفل، في
البدء كان أوراس، أوجاع
صفصافة في مواسم
الإعصار، السفر الشاق،
إن سبب اختيار
الشعراء لهذه الطريقة هو
«خدمة المعنى، والإفصاح
عنه من جهته تجميل
شكله» [١٤] وتعوّضا
لفصاحة اللسان بدقة
القلم، وجهازة الصوت
بسواد المداد [١٥] فجعل
الخط ووضوحه يسهل من
عملية القراءة ويقرب
العمل الأدبي من قارنه
وفي ذلك تعويض للإلقاء
واختيار للمواجهة
البصرية بدل المواجهة
السمعية، ومراعاة إيقاع
التناسب والتناسق بين
الحروف، كما يراعي في
إيقاع الوزن التجاور
والتجانس بين التفاعيل.
فتملأ بيعث الشعر بهجة
وحركة في النفس، يقوم
الخط بكسر الإيقاع
الساکن الذي يطغى على
المكان فيملاّه ديببا
وحركة، ومثال ذلك
قصيدة [١٦] «أه يا وطن
الأوطان» التي تملأ
الصفحة أي تشغل مجالا

والأذن لا تشبعان من البصر والخبر كما يقول المثل
العربي [*].
فالنظر إلى القصيدة وهي تحتل موقعا فوق
الصفحة أولى عناية فائقة لاستغلال المكان والفضاء
ليخرج القصيدة في حلة زاهية، ومن ثم يمنحه نسبته
ومنشأه كالقصاص التالية: قصيدة الزلزلة. حين،
انتصار، للشاعر يوسف وغليسي.
ومن شعراء الجزائر الذين أولوا عناية فائقة
لداوينهم وحرصوا أيما حرص لتخرج في حلة تصافح
المتلقي وتجعله يحس بحلاوة النغمة مقرونة بحلاوة
الخط الشاعر الدكتور أبو القاسم سعد الله في ديوانه
«النصر للجزائر» الطبعة الثانية، ميز بين المقدمة
والقصيدة الشعرية، اعتمد في الأولى الحرف الطباعي
وفي الثانية الخط اليدوي «النسخي» في جميع القصائد
مدعمة بلوحات يتصارع فيها الأبيض والأسود،
ومستوحاة من القصائد ذاتها، وذلك ليقدمها إلى
جمهوره في هيئة عمل فني يثير نشاطه العقلي،
ولتصبح هذه الإثارة عبارة عن مناجزة ذهنية لدى
القاري المتأمل. وتلك هي المتعة العقلية التي يسعى كل
شاعر أو مبدع في خلقها أو بثها في الآخر من خلال
عمله الفني. في هذه الحالة تصبح اللفظة الشعرية غير
مكتفية بنفسها مهما أوتيت من دلالة ومن قوة إحياء
لأنها تبحث عن انجاز زخرفي يرققها ليكمل جمالها
ويتم معناها.
لقد تنبأ الشاعر الجزائري مثله مثل اخوانه
الشعراء في المغرب والمشرق إلى هذه الظاهرة الفنية
التي تجعل من الديوان مجموعة من اللوحات الزخرفية
التي تجعل المتلقي يقف أمامها ملاحظا ومتأملا
ومتفحصا وناقدا في ذات الوقت، فظهرت سلسلة من
الداوين بأشكال خطية فنية رائعة من: الخط النسخي،
والرقعة والثلاث، ويخط فني آخر جديد تستعمله المجالات
الفنية بكثرة (كاريكاتوري) وهذه الداوين هي: «عرس
في ماتم الحجاج، قراءة في آية السيف، أغاني الزمن

*** اللوحات الفنية التي تصدر أغلفة الدواوين تصنيف إيقاعية مُشاهدة لايقاعية الكلمة المقروءة. * إيقاع الحرف المخطوط باليد بعناية ودقة يشبع رغبة البصر والنفس. * الزخرفة المحيطة بالنص أداة اتصال بين الماضى والمنهل**

في فضاءها كقصيدة أولاً، وكلوحة فنية ثانية، كقصيدة زينت بها اللوحة ثالثاً - أي أن هناك نوعاً من التداخل في الأشياء داخل المكان ليسفعل فضاءه بإبعاد ثلاثية:

أ - جمال الشكل والمضمون.

ب - جمال الصنعة والحكمة.

ج - المتعة والمناجزة العقلية [١٧].

بهذه الأبعاد

أصبحت القصيدة علامة ناطقة ومشيرة ومنتمة بفضل التأطير الزخرفي بخطوط تراثية جزائرية. وأيقون دال على الانفتاح على الموروث الثقافي وعلى الانتماء لوسط جغرافي محدد بالوطن «الجزائر». والصراع القائم بين الأسود والأبيض هو نفسه الصراع القائم بين الأطراف المتناحرة في الجزائر على سدة الحكم، همومه وعذاباته يتكبدتها الشعب والوطن. هو تأويل سيميائي لإيقاع يتناغم بين الشكل والمضمون.

إن الزخرفة المحيطة بالنص هي أداة اتصال وتواصل بين الماضي والحاضر كاللغة تماماً ولا فرق بين المستوى اللغوي وتركيبه والمستوى الزخرفي وتشكيله لأن الأول: هو «تشكيل زمني وتعبير صوتي» والثاني هو «تشكيل مكاني وتعبير بصري» كالعمارة [١٨] وهما معا يشكلان ما يمكن أن نتفق عليه ك «تعبير سمعي بصري» إن معظم الزخارف التي يضمها ديوان «أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار» لم تخرج عن إطارها التجريدي الذي يجسد طقوس الانتماء. فإيقاعاتها التجريدية تؤكد هويتها ضمن الدائرة الأكبر، دائرة الإسلام مثل: فاتحة الأوجاع، غربة وتعب، طلاق، مهاجر غريب في بلاد الأنصار، حلم من أوجاع الزمن الأموي.

إن الإيقاع في الفن التجريدي - الإسلامي خصوصاً - يتعانق مع إيقاع أصوات اللغة العربية كلاهما يعتمد على المشبك الثلاثي، فالكلام: اسم وفعل وحرف. والأشكال الأساسية ثلاثة: المثلث والمربع والدائرة. إن لم نقل الدائرة هي الأصل لأن الأشكال تستخرج منها و«كأن المشبك اللغوي هو المشبك الزخرفي» [١٩] فتدخل اللغة في بنائها وفق المنطق المعهود (الفعل + الفاعل + المفعول. أو المبتدأ + الخبر. أو المسند والمُسند إليه) كتقاطع الخطوط وتكرار الحروف في تشكيل شبكة زخرفية تخضع لقوانين فنية تعتمد على التناسق والتناسب في بناء مشبك زخرفي أو عمارة كالقصيدة - تماماً - التي تتوفر فيها شروط الحيوية والنماء التي تمنحها حركة إيقاعية تنبض بالحياة، فجمال اللغة لم يكتف به الشاعر المعاصر، ولم يشبع نهمه الإبداعي فراح يبحث عن شيء يتم القص الذي يشعر به فوجده في السمات الخطي وفي الشكل الزخرفي، وفي اللوحة المناسبة للقصيدة ليحدث تجاوباً عاطفياً سحرانياً ورمزياً بين المتأمل والعمل الإبداعي، والزخرفة والقصيدة، ليمنح

قصيدته بعدا فنيا وروحا تثير الدهشة وتهبها هالة من الفخامة والخلود.

إن القول بتجريدية الزخرفة لا يمنع أي شيء يزيد من العاطفة ويقوي الخيال، فوظيفتها لا تتعدى حدود التأطير، أو إعطاء قسط من الجمال الناتج عن التكرار، أو التقاطع والتعامد. إن مثل هذا القول هو اعتراف بوظيفتها الجمالية وخدمتها للمعنى والإفصاح عنه بتجميل شكله الذي يريح البصر ويمتع العين كال موسيقى تماما فهي لا تمثل أي شيء لكنها أشبه بالمشبك الصوتي تتداخل فيه الوحدات الصوتية والنغمات بعضها مع بعض وفق نظام داخلي خاص يمتع الأذن ويتربها و«يضع الرؤية في السمع» أضف لذلك أن هذه التجريدية هي وليدة الدين الإسلامي الذي حطم الأصنام وغير العقلية والمعتقدات وحول كل شيء إلى ما ورائي أو إلى تجريدي، ولذلك كان من الطبيعي أن يتخلل الفنان المسلم عن الفنون التي تجسد الجسد وتبرز مفاصله وأن يبتعد عن المظاهر التي تمنع الظلال ومن ثم جاء إيقاع صوره إيقاعا تجريديا سطحيا. لا يعني ذلك أن الفلسفة الإسلامية تمنع البحث في العمق والحجم وإنما تتجنب بعض العناصر التي في الطبيعة كصورة الحيوان والإنسان وصنع تمثال له. كان هذا هو المعتقد، وإلا لماذا لا نعثر على فنون تجسد مظاهر الطبيعة الحية وتمنحها الظلال والعمق؟ وبالرغم من ذلك فقد تبحر المسلمون في مسائل أكثر تعقيدا من فنون الرسم والشعر، فكان مثلا علم الفلك والرياضيات والكيمياء من العلوم التي غاصوا فيها وأتقنوا دراستها، إذن مظهر التجريد والاهتمام بالخط مرده ديني بحت، وخدمة للدين والكتاب المقدس «القرآن الكريم» ومن ثم انتقلت العدوى إلى الشعر وكتب اللغة، فأنطروها ووضعوا لها الهوامش.

إن التجريدية في الفن الإسلامي تمنحنا دائما إيقاعا دائريا، وإن لم يكن ذلك فطرزونيا كما في فن

المنمنمات، والقصاصد التي أشرت إليها في ديوان: «أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار» تؤكد ذلك.

إن مظهر الآخر يتجسد دائما في قالب الانتماء الذي يرفقه مراقب يتجلى في الضمير أو الدين ولو كان هذا الآخر منبثقا من الذات.

الهوامش:

- (١) محمد المجري الشكل والخطاب. المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء ط ١ - ١٩٩١ م ص ١٠٩.
- (٢) لحسن أحمامة. قراءة النص، بحث في شرط تدفق المحكي. دار الثقافة. المغرب ص ١٤١.
- (٣) رضا بن حميد. الخطاب الشعري. مجلة فصول. المجلد ١٥ عدد ٢ صيف ١٩٩٦ م ص ١٠٠.
- (٤) ديوان لآبي القاسم سعد الله.
- (٥) ديوان لآبي القاسم خمار.
- (٦) ديوان ل: محمد الأخضر عبد القادر السائحي.
- (٧) ديوان ل: محمد الأخضر عبد القادر السائحي.
- (٨) ديوان ل: محمد ناصر.
- (٩) قصيدة في هيئة ديوان للشاعر عثمان لوصيف.
- (١٠) ديوان ل: عمر أزراج.
- (١١) ديوان ل: عمر أزراج.
- (١٢) ديوان ل: مصطفى محمد الغماري.
- [*] قالت العرب: أربيع لا يشبعن من أربيع: عين من بصر وأذن من خير وأنتى من ذكر وأرض من مطر.
- (١٣) ديوان ل: عز الدين ميهوبي.
- (١٤) ديوان ل: أحمد شنة.
- (١٥) رشيد يحيى. شعرية النوع الأدبي. إفريقيا الشرق. ط ١ - ١٩٩٤ م ص ١٥٠.
- (١٦) نفسه ص ١٤٧.
- (١٧) يوسف وغليسي. أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار. دار الهدى الجزائر ط ١ - ١٩٩٥ م ص ٨٠.
- (١٨) د. الطاهر لدراع. بحث في خصائص الفنون الإسلامية وتطبيقاتها في فن العمارة. كلية العمارة. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر ١٩٩٩ م ص ٦.
- (١٩) نفسه ص ٩.



الآية

الباهرة

في

رحلة

الطائرة!!

روى بعض الأعراب عن أبي الشمقمق [١] شاعر التراب حكاية شديدة الإغراب ما طرقت سمع أذن قط في سالف العهد، قال: سمعت وأنا بالبصرة عن أوبة ابن المقفع [٢] من سفرة وفيرة، فقلت لنفسي: ستغني أبا الشمقمق بعد فقر مدقع، وتسعد بعد شقاء موجع إن لقيت ابن المقفع ذا الجاه الأرفع، والمال الأمرع، واللبن الألع! فرحلت إليه، وجثوت بين يديه وأنشدته مطلعاً مستعظفاً:

أنا في حال تعالي الله
رئيس أي حـال
ليس لي شيء إذا قـيل
لمن ذا؟ قـيل: ذا لي
ولقد أهزلت حـتى
معت الشمس خـيال
ولقد أفلسـت حـتى
حل أكلـي لمـيـال

فهز ابن المقفع رأسه، وصمت ملياً ثم قال لي: بل أنا الذي محت الشمس خيالي، وتصرم جل مالي، أتخال أنني جمعت في رحلتي كنوز قارون وخزائن فرعون؟! وإني لعلّي يقين أن ما تحقق خير من التبر والذهب يا أبا الشمقمق! قلت: فمن أين قدمت يا أبا محمد، وعهدي بك لا ترجع بخفي حنين صفر اليدين، ومثلك يسترضى ويعطى على فحولة بلاغته ورصانة صياغته؟! قال: قدمت من أعلى الفضاء حيث يبلغ الهواء في كبد السماء! قلت: ما كذب من رماك بالزندقة، أما أن ترعوي، وتغرف من منهل الحق وترتوي، وتقلع عن أساطيرك وأباطيلك، وقد وخطك [٣] الشيب! فضحك ابن المقفع حتى كاد يستلقي، ثم أخذ بتلابيب أطماري [٤]، وأقعدني في شرفة الدار،



بقلم : د. أحمد عطية السعدي - الأردن

قال : لهذه الطائرة محركات عاتية تحرك المراوح .
تحريك الفارس على السايح، فتدفع الهواء بقوة الى
الوراء فتدفع الطائرة الى الامام بسرعة عالية على
الدرج المعد، فإذا ازدادت قوة الدفع الهائلة تناقص
وزنها، وتعظم غيظها، فلا تلبث أن تهيج وتموج حتى
ترتفع مطقة في جو السماء، وهي كما ترى مصممة
كالطير لتغالب الهواء!

فلما صعدنا تغشانا الهلع، وتداخلنا الجزع،
وصحنا أين المفر والمزع؟ فما هدأت نفوسنا إلا
بالأقراص المهدئة وما قرأت عينتنا إلا بالمقاعد الوثيرة،
والنوافذ الصغيرة، وروائح الطعام المثيرة، فما هي إلا
دقائق معدودة، وإذا هي تمخر عباب الفضاء، وإذا نحن
كالملق بين الأرض والسماء، وإذا البيوت تحتنا كالدمى
الصغيرة، والطرق كالأفاعي الخطيرة، وإذا الجبال
الشاهقة كاشجار الحور السامقة، وإذا الحدائق الغناء
كخاتم في فلاة! ونحن نتسابق على النوافذ تسابق
الجوارح على القنفاذ!

ولما ذهب عنا الروع دنوت من الطيار ابن فرناس،
وعبثت بالأزرار والأجراس، فانتهرني وضربني على
يدي فتفقت، فقلت: حسبك قد زجرت وأوجعت!
قال : في هذه الأزرار تكمن الأخطار لمن لا يعرف
الأسرار. ألا ترى إلى صحننا الأبرار لا يتدخلون في
عمل الطيار!

قلت : ومن هؤلاء يا بن فرناس؟!

قال : هذان العجميان المشابهان هما «الأخوان
رايت» [V] وهما مساعدا الطيار ومكانهما كما ترى في
غرفة القيادة، لأتهما في الطيران من أهل الريادة -
وهذا الخواجا «ماجنان» ملاح من البرتغال مولع
بالأسفار والتجوال. وبجانبه الخواجا «فاسكودي
جاما» محب للإبحار طامع بالالتجار.

أما هذا العلامة ذو اللحية البيضاء فهو
«الإبريسي» وقد عهدت إليه أن يرسم خرائط جوية
للأرض بدوائر الطول والعرض.

وقال : سأقص عليك اعجب الأخبار على أن تكتم
عني، وأنت أعلم بقول الشاعر:
لا يكتم السر إلا كل ذي شرف
والسر عند كرام الناس مكتوم!

قلت : في قعر بئر معطلة، لا ترومها دلاء القافلة،
على أن تغديني وتطعمني وتسقيني!
قال : على الرحب والسعة. ثم أسر إلي حديثه،
فزعم أن عباس بن فرناس [هـ] دعاه الى ضيافته في
«قرطبة» مع عصابة من السادة الأعلام والصحب الكرام
ذوي النظر في تقويم الأقاليم والأنام، وأنه أعد لهم
مركبا عظيما ليطير بهم على الهواء دون زاد ولا ماء.
قال ابن المقفع: فتعجب من صنيع ابن فرناس كيف
يقوى هذا المركب العظيم على التحليق في الفضاء
واختراق الأجواء.

قال : فقال ابن فرناس - والصحب بين يديه
يستمعون اليه - لا عجب أبا محمد ، فما صنعت هذا إلا
بعد طول مران ومراس، فعمدت بأدنا الى تمثيل
السماء في بيتي بنجومها وغيومها، ورعدها وبروقها،
ثم كسوت نفسي بالريش، ومددت لي جناحين، وقذفت
نفسي من مثناة هذا الجامع الكبير فطرت في الجو.
وهناذا اليوم أستضيفكم أيها القوم في رحلة عبر هذه
الطائرة الجاثمة، فهل نصعد سلمها - فلما اقتربنا
وجلنا وعجبنا، وقلنا: سبحان العزيز العظيم، ما هذا إلا
مارد عظيم، أو طائر الر [٦] القديم!

قال ابن فرناس: ما أعجبك وما أعجلك يا أبا
محمد، تصدق أن الحيوان الأعجم ينطق ويتكلم في
كلية ودمنة، وتشك في هذه الطائرة، وأنت تراها رأي
العين!

قلت : لا تؤاخذني بما جهلت، ولا تلمني على ما
عجلت - فكيف إذن سيطير هذا المركب الكبير، ولو
جئنا بمائة ثور وبقرة لما حركته قيد أنملة!

«المتنبى» لا يقنع بما دون النجوم لكان هواً فاهتز طرباً وانتشى، فانتشأ في وصف هذه الرحلة المبهجة والطائرة المعجزة:

مـسـرـكـبٌ لـو سـلـف الـنـهـرُ بـه
كـان إـحـدى مـعـجـزات القـدـمـاء
نـصـفـه طـيـرٌ ونـصـفٌ بـشـرٌ
يا لـها إـحـدى أـعـاجـيب القـضـاء
رائـعٌ مـرتـفـعاً أو واقـفـاً
أنـفـس الشـجـعان قـبـل الجـنـاء
حـمل الفـولـاد ريشاً وجرى
فـي عـنـائـن لـه نار ومـاء
وجـناح غـيـر ذى قـبـامة
كـجـناح النـحل مـصـقـول سـواء
يـتـراعى كـوكـباً ذا ذنب
فـإذا جـد فـسـهـماً ذا مـضـاء
فـإذا جـاز الثـريا للثـرى
جـر كـالطـاووس ثـيل الفـيـلاء
يـمـلأ الأفاق صـوتـاً وصـدى
كـمـزيف الـهـنّ فـي الأرض العـراء
أرسلته الأرض عنها خبيراً
طـنّ فـي أذان سـكـان السـمـاء

فتمايل «المعلوف» نشوان، وريت على كتف «شوقي»، وتدفق سيل الجيشان، فغنى:

هـي طـيـرٌ مـن الجـمـاد كـأن الـهـنّ
فـي صـدرها تحـثُ خـيـولاً
حـمـمـت تـضـربُ الرـياح بـطـيـها
فـشـقّت الـى السـمـاء سـبـيـلاً
ثـم مـدت الـى النـجـوم جـناحـين
وـجـرتُ عـلى السـحـاب ذـيـلاً
غـرقتُ فـي الأصيل حـيـناً وعامتُ
بـعد حـين تـعلو قـلـيـلاً قـلـيـلاً!

وبيئنا نحن في متعة وإيناس أمرنا ابن فرناس
بربط الأحزمة! إذانا بالهبوط على مدرج قرطبة فهوت

وهذا «ابن جبير» الرّحال الخبير ذو الباع في
التطواف في البقاع.

وهذا الذي يليه «ابن بطوطة» الرّحال الأمين
صاحب الخلق والدين، الشغوف بجمع الأخبار بعزم
واقترار، ومهمته أن يرصد كل شاردة وواردة.

وأما هذا الفتى اليافع فهو «ابن ماجد»، ومهمته
أن يرشد الخواجا «فاسكو» وأن يرسم مخططاً للطرق
البحرية، ويطربنا ويشدو.

وأما هذان الولاهان المتاملان السارحان المتيمان
الوامقان الأنيقان فهما الشعاران: أحمد بن شوقي
المصري [٨] وفوزي بن عيسى المعلوف شاعر «الطيارة»
المعروف [٩]:

ثم التفت إليهم وأشار إليّ وقال: وأما هذا فابن
المقعع الذي «يحوك الكلام على حسب الأماني ويخيط
الألفاظ على قدود المعاني، يجتبي من الألفاظ أنوارها،
ومن المعاني ثمارها، ناظم سلك البلاغة وقائد زمام
البراعة، إذا أوجز أعجز، وإذا شاء أطال» فلما فرغ
ابن فرناس قلت: عرفت بهذه النخبة فابديت، فمرحى
مرحى رجال العلم والأدب، أنتم مصاصيح النجى،
ومنارات العلاء، وهذه الأجيال فشمروا وجدوا فإنما
الأمم عقول الرجال وسواعد الأبطال.

وبيئنا الطائرة تحلق فوق الجداول والخصائل إذ
رفع «شوقي» عقيرته [١٠] مفرداً كالبلابل:

تلك الطـبـيعة طـرـبنا يا ساري
حـتى أريك بـيـح صـنـع البـاري
الأرض حـولك والسـمـاء اهـتزتا
لـروائـع الأيـات والأثـار
ولـقد نـمـرُ عـلى الفـسـير نـخـالُهُ
والنـبت مـرأة زهتٌ بـلـطار
حلـو التـسلسـل مـوجّهٌ وخـزيرُهُ
كـسـامـل مـررتُ عـلى أوتار
يـنسـابُ فـي مـخـضلة مـبـيـطة
مـنـسـوجة مـن سـنـدس وتـضـار!

فقلت له: أنت عندي أمير الشعراء، ولولا أن

فقال : أنهزاً بالعلم أبا الشمقمق، ولولاه لكنت أحمق!

قلت : عفوا . قد دمت على ما قلت، فزديني من حديثك المشيع يا بن المقفع .

فأشاح بوجهه عني، وأشار إلى كتابه (كيلة ودمنة) وفتح على باب «الحمامة المطوقة» فإذا عنوان جديد جذاب يستولي على الأبواب قد حل مكانه، وإذا هو:

[الآية الباهرة في رحلة الطائفة]!!

الهوامش:

(١) أبو الشمقمق: مروان بن محمد، شاعر عباسي، عاش فقيراً محروماً، ت ١٨٠هـ .

(٢) ابن المقفع: أبو محمد عبد الله بن المقفع، فارسي الأصل، رمي بالزندقة، قتل سنة ١٤٢هـ .

(٣) وخطة الشيب: فشا فيه أو استوى سواده وبياضه، فهو وأخط ووخاط .

(٤) التلييب: ما في موضع اليب من الثياب (ج) تلايب، والطمر: الثوب البالي الخلق الجمع: أطمار .

(٥) عباس بن فرناس: مخترع أندلسي، وشاعر وفيلسوف، صنع الزجاج من الحجارة، وهو أول من طار في الجو، ت ٨٨٧م .

(٦) الرخ : طائر خرافي أسطوري بالغ في وصفه القدماء . (٧) الأخوان رايت: هما أورفيل رايت، ويلبر رايت، قاما ببلول رحلة طيران سنة ١٩٠٣م .

(٨) أحمد شوقي: شاعر مصري كبير عاش في قصر الضيوي، له ديوان «الشوقيات» لقب بشاعر الشعراء (ت ١٩٣٢م) .

(٩) فوزي الملوغ: شاعر لبناني مهاجر، لقب بشاعر «الطيارة» (ت ١٩٣٠م) وهو ابن عيسى أسكنر الملوغ واللغوي المعروف (ت ١٩٥٦م) .

(١٠) العقيرة: الصوت (ج) عقائر .

(١١) من القنيد وهو اللحم المجفف في الشمس .

(١٢) حومل امرأة أجاعت كلبتها حتى أكلت نجبها، كانت تربطها للحراسة بالليل، وتطردما بالنهار!

(١٣) إشارة إلى قول جرير: هذي الأرامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرملة الذكر!

رويداً رويداً تجرّ كالطاووس ذيل الخيلاء، وأستنتا تلهج بالتضرع والدعاء: بسم الله مجريها ومرساها .

قال أبو الشمقمق : فما فعل رفقة سفرنا لما انتهت الرحلة وحطت القافلة؟!

قال ابن المقفع : أما العلامة «الإدريسي» فأنزلته الطائفة في «صقلية» وصنف للملكها «روجر» سفرراً عن هذه الرحلة سماه: [نزهة المشتاق في اختراق الآفاق] .

واختار «ابن جبير» النزول في اسكندرية مصر ليدون ما عَنَ له من الخواطر والسوانح .

ونزل ابن بطوطة بفاس بأرض المغرب، وأملى فيها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) . وأما الخواجات فتأهوا في مجاهل الأرض، ولولا الدلائل «ابن ماجد» وكتابه (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) لظلوا تائهين إلى يوم يبعثون!

وأما «الأخوان رايت» فاحتالا على ابن فرناس حتى غافلاه فخطفوا الطائفة إلى أرض بعيدة ثانية، يقال لها أوروبا، فحزن ابن فرناس وعاش بائساً بين الناس .

قلت : وأما أنت يا أبا محمد؟! فماذا عن الهدايا واللحم المقدس [١١]؟!

قال : وأما أنا فسمعت بهذه الرحلة، لأنني استخرجت حديث «بيدبا» الفيلسوف و«ديشليم» الملك من خزائن الفرس لما هبط بنا الطائفة في المدائن، وكشفت لنا الخزائن .

قال أبو الشمقمق : ما عجبت من أحد كعجبي من ابن المقفع، فقد ظل يحدثني عن رحلته حتى طلع الصباح، وسكنت «شهرزاد» عن الكلام المباح، والجوع يميز أحشائي حتى غدوت: «أجوع من كلبة حومل» [١٢] وأضيع من «جرير» الأرملة [١٣]! فقلت معرضاً به وكتابه ورحلته:

ما جمع الناس لنديامهم

أنفع في البيت من الفيز

والخبيز باللحم إذا نلتُهُ

فلتت في أمن من التور!

منى الزكير

الهدايا للمعوقين والمرضى والأيتام وهذا الحنان وتلك الرعاية مرغويان... وهؤلاء البشر محتاجون للعطف والرعاية لكن لا يجب أن يكون ذلك هو جدول أعمال الجمعيات النسائية الوحيد.

إن هذا مجرد نموذج لبعض كتاباتها الصحفية وهي في بداية مشوارها الأدبي - أي عندما كانت طالبة في المرحلة الثانوية.

ومنى الزكير بالإضافة إلى ذلك التحرك الصحفي والمعالجات الاجتماعية عن طريق المقالة فقد خاضت ميدان القصة القصيرة، إذ صدرت لها في عام ١٩٩٨م مجموعة قصصية عنوانها (ظلال سحرية).

ومنى الزكير رغم ممارستها للعمل الصحفي المتمتج بالمجتمع على اختلاف فئاته ركزت على أن تكون قصص مجموعتها (ظلال سحرية) تدور في فلك المرأة واهتماماتها العاطفية ففي قصة حلم تتحدث عن أحلام طفولية وممارسات صغيرة ليست لها دعائم اجتماعية لأنها غريبة على المجتمع الخليجي الذي لا يزال يلتزم بالقيم والعادات الفاضلة.

مدت «دال» يدها وانتزعت سلسلة مطوية من صدرها، اختطفها «سبيكة» ضاحكة ثم قبضت عليها بيديها ووقفت صامدة تنفّس بقوة، وقد تصلبت رقبتها فبدت طويلة خميرية اللون، وجهها مستدير مكلل بشعر أسود وقد اتسعت عيناها فبدت كظبي نافر وظهر جمالها بصورة مخيفة، ذلك الجمال

تعتبر منى عبد العزيز الزكير من صحفيات الرعيل الأول بمنطقة الخليج العربي فهي من مواليد دولة الكويت عام ١٩٥٢م وبها تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي الى عام ١٩٧٧م حيث التحقت بكلية الاداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة.

وقد مارست العمل الصحفي منذ عام ١٩٧٥م حيث عملت محررة بجريدة السياسة وفي عام ١٩٧٦م انتقلت للعمل في جريدة القيس حيث التزمت بزاوية اسبوعية تعالج فيها قضايا اسبوعية نقدية، ثم انتقلت الى جريدة الانباء، ثم مجلة (أسرتي) لفترة ثم عاودت الى جريدة القيس... تعلق على ذلك ليلي محمد صالح:

إن انتقال منى بين صفحات الصحف المحلية المختلفة ربما يعود الى رغبتها في التجديد والتغيير في كل شيء [١].

ومن معالجتها الصحفية الاجتماعية مقالة تتحدث فيها عن دور الجمعيات النسائية بعنوان (قبل أن تطالب المرأة بالمساواة) نشر بجريدة القيس في يناير ١٩٧٦م جاء فيها:

لنأخذ الجمعيات النسائية مثلاً... ماذا قدمت لمساعدة المرأة بصفة عامة؟ هل أقامت حلقات توعية للأميات وندوات تعالج القضايا والمشاكل الاجتماعية المساسة؟ ماذا قدمت للمرأة الأمية في الخيمة وفي العشة؟ ماذا كان تصرفها حيال المرأة الجاهلة الفقيرة التي تعتبر مهمتها الكبرى هي مجرد إنجاب أكبر عدد من الأبناء؟ الجمعيات النسائية تقدم



بقلم : عبدالله بن أحمد السباط

الخُبر - المملكة العربية السعودية

الأطراف، المباني الجامعية تتراقص، ورؤوس الأشجار ترتعش، الطلقات مقدر لها ان ترتفع في الهواء للتخويف ولكن بعضها يطيش فتتساقط الجثث الشابة، طالبات السكن الداخلي هرعن الى النوافذ احتشدن في البلكنات، يعتصرن أيديهن بخوف، فلهن أخ أو خطيب أو صديق وهم الآن مع المتظاهرين المهروسين بهروات لا ترحم يصرخن يولولن يكيين بأصوات مرتفعة يخاطبن العساكر ويحاولن ان تصل أصواتهن رغم الضجة في ساحة المعركة الدامية حرام عليكم، خافوا الله يا ولاد الـ ١٠٠ [٤].

وفي قصة (الحياة بدونه) وصف كامل مفصل لممارسات الطالبات المغتربات في الخارج وعلاقاتهن بالآخرين وكأثنا تدق ناقوس الخطر وتقول: احرصوا على بناتكم واحفظوهن بين ظهرانيكم ولا تفرطوا فيهن بأي حال من الاحوال.

إن منى الذكير التي مارست الكتابة منذ عام ١٩٧٥م أي منذ ربع قرن لم تطور أدواتها الإبداعية فإن أسلوبها ولغتها وموضوعاتها لا تزال تدور في دوائر مكررة إلا أنها ما دامت قادرة على الصمود طيلة هذه المدة فهي قادرة على التطور والتطوير.

الهوامش :

- (١) أئب المرأة في الكويت من ٢٠٥٠.
- (٢) ظلال سحرية من ١٣.
- (٣) ظلال سحرية من ٣٣.
- (٤) ظلال سحرية من ٦١.

الوحشي وليد الطبيعة البكر البوهيمية الموشاة بألوان براق، كانت ترتدي ثوبا أحمر قانيا نصحتها أمها أن ترتديه أول أيام العادة الشهرية لاعتقاد قديم، كان يلتصق عند صدرها المتوثب ويلتف حول خصرها الناحل، وينساب طويلا متسعا إلى قدميها، كأن الحب قد كرسها ذلك اليوم أسطورة للعشق [٢]. وفي قصة الحرب تحاول ان تصف تلك الآثار

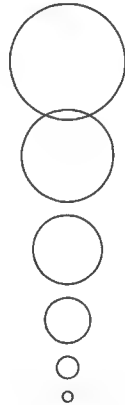
السينة التي يتجرعها المجتمع داخل البيوت:

أخيرا قررت ان تغاتحهم بالأمر، تريد السفرو... دهش الجميع، وارتسمت في أعينهم نظرة اتهام قالوا أين المشاركة الوجدانية، الكرامة العربية تتطلب الصمود العاطفي على أقل تقدير إن لم تكن المشاركة الفعلية في القتال... ارتجفت فزعا، هي تقاتل!! من؟ ولماذا؟ هكذا دون إعداد فكري مسبق، ودون استعداد نفسي، شيء مرفوض، وهي أصلا إنسانة مسالمة، تكره العنف... بكل اشكاله والحرب أقسى نوع منه [٣].

ومن خلال دراستها في الخارج، تعايش الحياة الجامعية وما يجري داخل أروقة الجامعات والأنشطة الطلابية ومطالبة الطلبة والطالبات بتحسين أوضاعهم واتخاذ الإضراب والمسيرات والهتافات وسيلة للتعبير والإصرار على المطالبة إلا أن ذلك يواجه بعنف.

البنات يتراكضن، الدموع تسيل والشعر تطايرت خصلاته مجنونة، صرخات ناعمة تهب بالفارسان الرحمة، ولكن الأوامر فوق الرحمة، طلقات المدافع ترج الفضاء الفسيح لساحة الجامعة مترامية

الإسلام والفنون الجميلة



(الحلقة الأولى)

❖ الأستاذ الدكتور محمد حمادة، من الأعلام المتميزة في طرح القضايا الإسلامية، وقضايا المجتمع، ما يتعلق به وما يرتبط به... كل ذلك من خلال رؤية إسلامية عميقة ناهضة تستقرى، ثوابت الدين المكون الأساسي لثوابت هذه الأمة.

ومجموع كتاباته ينتظم في عقد متماسك الحلقات، ليشكل منظومة حضارية، أو لنقل مقدمة لمنظومة حضارية متكاملة، يظل الجهد مبذولاً لأكمل حلقاتها من علمائنا الإجلاء، كل في مجال تخصصه.

الدكتور محمد حمادة ظل ويظل، بإذن الله تعالى، واحداً من علماء هذه الأمة الإجلاء، وواحداً من مفكرها، يصفى كل وقته وجهده من أجل الإحلاء من شأن كل القيم الرفيعة التي تميز بها هذه الأمة ذات الرسالة الخاتمة... وكتاباته ومخاضاته وندواته ولقاءاته كلها تشهد له بهذا.

الأستاذ الدكتور محمد حمادة منذ بضعة سنوات خلصت حصراً وأثر مجلته المنهل بعدد وافره من الدراسات والبحوث نشرت في صفحات المنهل على مدى السنوات الفائتة، وآخر سلسلة. وليست الأخيرة. كانت بعنوان (مع زعماء الإصلاح) وهي من (الدكتور عبد الرزاق السنهوري). ونشرت في ثماني حلقات متتاليات، آخرها في عدد رجب ١٤٢١ هـ.

وكانت المنهل قد سعدت بأجراء حوار صريح مع الدكتور حمادة، نشر في العدد (٥٧٥) العام ١٤٢٢ هـ.

ويبقى الود هو صولاً مع استاذنا الدكتور حمادة، وهذه سلسلة جديدة من دراساته وبحوثه المتميزة، تحمل فكره واستقراءه، واستنباطه، وهي بعنوان (الإسلام والفنون الجميلة).

والمنهل لا شك، سعيد بالدكتور حمادة، وسعيد بكل الاستاذة الافاضل الكرام الذين آتوه بعلمهم وفكرهم، وفضلهم.



بقلم المفكر الإسلامي : أ.د. محمد عمارة

- مصر -

الذين يتخنون من مسلك الغلظة لبعض الإسلاميين تجاه جماليات الحياة سبيلا للطعن على الإسلام. . . فالقضية، إذن، أكبر من أن تكون «خيارا خشنا» لبعض من الإسلاميين هم أحرار في سلوكهم، وإنما هي قد غدت واحدة من المطاعن التي يحاول نفر من خصوم المنهج الإسلامي استخدامها - ضمن مطاعن أخرى - لتشويه صورة منهج الإسلام في الفكر والحياة. . . الأمر الذي يكسب الحديث عن هذه القضية أهميته، ويجعل له مكانه الطبيعي في سياق الحديث عن معالم منهج الإسلام.

ويادىء ذى بدء، فإذا كانت «الحضارة» هي **جماع إبداع الأمة في عالمي «الفكر» و«الأشياء»**، أي في «الثقافة» التي تهذب الإنسان وترتقي به، وفي «التمدن» الذي يجسد ثمرات الفكر - في التطبيق - والتقنية - أشياء يستمتع بها الإنسان المتحضر. . . إذا كانت هذه هي «الحضارة» فإنها كإبداع بشري - في المنظور الإسلامي وفي التجربة الإسلامية، وثيقة الصلة بدين الإسلام، كوضع إلهي، نزل به الوحي على قلب رسول الله، عليه الصلاة والسلام.

ففي التجربة الحضارية الإسلامية، كان «الدين» هو الطاقة التي أثمرت، ضمن ثمراتها، توحيد الأمة، وقيام الدولة، والإبداع في كل ميادين العلوم والفنون

من الناس من يحسب أن هناك خصوصية بين الإسلام وبين الجمال، تدعو المسلمين إلى التجهم في النظرة إلى الحياة، وإدارة الظهر إلى ما في الكون من آيات البهجة والزينة والجمال. . . يحسبون ذلك، فيقولونه، أو يعبرون عنه بالسلوك المتجهم إزاء آيات الجمال والفنون والإبداعات الجمالية في هذه الحياة.

ولو كان هذا المسلك الخشن والغليظ والمتجهم، أثرا من آثار المحن التي يمتحن بها المسلمون في مرحلة الاستضعاف التي يعيشونها، ورد فعل للتحديات المعادية التي تفرض الهم والحزن على الوجدان الإسلامي الرهف، أو مظهر الغضب لحرمان الله المنتهكة، لكان ذلك مبررا ومفهوما. . . لكن أن يكون هذا التجهم، في نظر هذا الفريق من الإسلاميين، هو مما يقتضيه المنهج الإسلامي في الحياة، فذلك هو الذي يدعو إلى استجلاء منطوق ومفهوم **المنهج الإسلامي إزاء جماليات الحياة**.

وجدير بالتنبيه أن هؤلاء الذين يحسبون قيام علاقة التلازم بين التجهم ومخاصمة الأحاسيس الجمالية وبين منهج الإسلام، منهم الإسلاميون، الذين يحسبون - مخلصين - أن هذا هو الموقف الحق للإسلام الصحيح في هذا الموضوع، ومنهم الخصوم

والآداب، شرعية وعقلية وتجريبية، كما كان الدافع للفتوح على الموارث القديمة والحديثة للحضارات الأخرى، وإحيائها، وغربلتها، وعرضها على معايير الاسلام، واستلهاهم المتسق منها مع هذه المعايير، لتصبح جزءا من نسيج هذه الحضارة الاسلامية، التي وإن كانت إبداعا بشريا، إلا أنها قد اصطبغت بصبغة الاسلام الدين، كما كانت ثمرة للطاقة التي مثلها وأحدثها عندما تجسد في واقع المسلمين.

تلك هي العروة الوثقى بين دين الاسلام وبين حضارته، بما فيها من إبداع شمل مختلف الميادين .. الشرعية .. والعقلية .. والتجريبية .. والجمالية.

بل إننا لو تأملنا في مكان «الهجرة» في دعوة الاسلام ودولته وأمته، لرأيناها أكثر وأكبر من إنجاز لإنقاذ الدعوة من حصار «الشرك المكي» لأن الهجرة في حياة هذه الدعوة لم تقف عند الهجرة من مكة إلى المدينة - ومن قبلها الحبشة - وإنما كانت، أيضا، هجرة من «البداءة» إلى «الحضارة» من «البادية» إلى «الحاضرة»، من حياة «الأعراب»، التي تغلب عليها الغلظة ويسود فيها الجفاء، إلى حياة «العرب» الذين استقروا في «القرى» فغدا بإمكانهم أن يقيموا «مدنية» و«حضارة» في هذه «القرى» .. كانت إنجازا حضاريا، ينتقل بالجماعة البشرية من طور ترحال البداءة، الذي يستحيل معه قيام «التراكم» في

الإبداع - الثقافي والتدني - إلى طور الاستقرار والحضور في «القرى» الحاضرة، الأمر الذي يتيح لإبداعات الانسان أن «تتراكم»، فتعلو بناء حضاريا مناسباً للجهود الإبداعية المبذولة فيه.

تلك هي «المكانة الحضارية» للهجرة في حياة دعوة الاسلام، في عصر صدر الاسلام .. وتلك هي بدايات خيوط العروة الوثقى بين الاسلام الدين - الوضع الإلهي - وبين الحضارة الاسلامية - الإبداع الاسلامي لأمة الاسلام.

وفي ضوء هذه «الحقيقة الحضارية»، نفهم اصطفااء الله، سبحانه وتعالى، «مكة» أم القرى - وحاضرة الحواضر - مهبطا للوحي بالدين الجديد .. ونفهم مغزى كون «يثرب» - المدينة - وهي ثانية القرى والحواضر - هي دار الهجرة وعاصمة الدولة ومنازل الدعوة .. بل ونفهم سر استمساك القرى والحواضر الثلاث - المدينة ومكة والطائف - بالاسلام، يوم ارتدت عنه، أو عن وحدة دولته، البوادي بمن فيها من الأعراب، عندما زلزلت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، قلوب هؤلاء البدو والأعراب؟! .. نفهم جميع ذلك في ضوء العلاقة العضوية بين هذا الدين وبين الإبداع الحضاري للانسان الذي تدين بهذا الدين.

بل ونفهم أن هذه العلاقة بين «الدين» وبين «الحاضرة» ومن ثم «الحضارة»، ليست خصيصة إسلامية، وإنما هي سنة من سنن الله في كل

بالتجهيز لإزاعها، ولا بمخاصمة إبداعاتها الجمالية بحال من الأحوال.

ثم .. إن «الجمال»، الذي يظن بعض من الناس مخاصمة الاسلام إياه، هو - إذا نحن تأملناه - بعض من آيات الله، سبحانه وتعالى، التي أبدعها في هذا الكون، وأودعها فيه .. إنه بعض من صنع الله وإبداعه، سبحانه، سواء وسفره للانسان، طالبا من الانسان أن ينظر فيه، ويستجلي أسرارها، ويستقبل تأثيراته، ويستمتع بمشاعره ويعتبر بعبرته {وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم آيات لقوم يؤمنون}[٤] .. إنها آيات خلق الله، يأمر الانسان أن ينظر فيها .

وأينما يمشي الانسان بصره أو بصيرته أو عقله أو قلبه، فإنه واجد آيات الله التي خلقها «زينة» للوجود، ودعا الى النظر فيها .. {إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزَيْنَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ}[٥] .. {وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[٦] .. {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيْنَاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ

الشَّارِعِ وَالرَّسَالَاتِ .. فَكَمَا اصْطَفَى اللَّهُ حَاضِرَةَ مَكَّةَ، لَتَبْدَأَ مِنْهَا الدَّعْوَةَ، قَائِلًا لِرَسُولِهِ: {... وَلَتَنْتَرِ أُمُّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}[٧] .. أنبأنا في قرآنه الكريم، أن هذا الاصطفاء إنما كان اطرادا لسنة إلهية .. {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمِهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}[٨] .. فأمم القرى، وحاضرة الحواضر كانت دائما هي موطن الرسل والرسالات، وذلك للعلاقة العضوية بين «الدين» و«الحضارة» على امتداد تاريخ الانسان .

ولأن هذا هو دور «الهجرة» في دعوة الاسلام وأمتة ودولته، لأن هذه هي وظيفتها الحضارية - الانتقال بالانسان - الأعرابي - من غلظة البادية وتجهم خشونتها - الى مدنية الحاضرة وتنقف - تهذب - عقول أبنائها - لأن هذا هو دورها، وهذه هي وظيفتها الحضارية، كان المسلمون يستعظمون ويستنكرون رجوع المهاجر عن «المدنية» وانقلابه الى «البادية» مرة أخرى، حتى لقد سماوا هذا الانقلاب «ردة» .. وقرأنا في مصادر السنة ذلك السؤال الاستنكارى الذى سألته أحد الولاة لمن عاد فتعرب - رجع أعرابيا بعد هجرته «أرتددت على عقيبك تعربت؟!»[٩] ..

تلك هي بدايات الخيوط بين الاسلام الدين وبين الحضارة .. وهى بدايات لا ترشحها كى يوحى

شیطان رجیم . إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب
مبین[۷] . . {أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بیناهما وزیناهما ومالها من فروع}[۸] .

فهذه «الزينة» - التي هي آيات إبداع الله،
سبحانه وتعالى، هي «زينة - جمال» يدعو الله
الانسان الى النظر فيها . . بل ويقول لنا إن خلقها
ليس «للحفظ» فقط، ولا «للمنفعة» وحدها . . وإنما
«للزينة» التي أبدعها الله لينظر فيها الانسان
ويستمتع بما فيها من جمال .

ومثل ذلك حديث القرآن الكريم عن آيات خلق
الله التي أبدعها لنا في صورة «الحيوان» المسخر
للانسان . . فليست «المنفعة» المادية وحدها هي
الغاية من هذا الخلق والتسخير، وإنما «الجمال»
و«الزينة» أيضا غايات يتغياها الانسان في هذا
الخلق الذي خلقه الله . . {والأنعام خلقها لكم فيها
دفعه ومنافع ومنها تكونون . ولكم فيها جمال حين
تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرحوف
رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة،
ويخلق ما لا تعلمون}[۹] .

فليست «المنفعة المادية» فقط هي غاية خلقها
وتسخيرها للانسان، إذ «الجمال والزينة» كذلك
«منفعة» محققة لازمة، أيضا، للانسان! .

والبحار، التي سخرها خالقها للانسان . . لا
تقف مناقعها عند المنافع المادية - اللحم الطرى،

وسبل الاتصال - وإنما ابتغاء «الحلية» . . والزينة . .
والجمال، أيضا، من مناقعها . . {وهو الذي سخر
البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلمكم تشكرون}[۱۰] .

وعندما يشير الله سبحانه الى بعض من نعمه
وآياته . . نرى قرآنه الكريم يلفت النظر الى ما ينزل
من السماء من ماء تمتلئ به الأودية فيحیی الأرض
ويزینها للناظرین . . وإلى ما يستخرجه الانسان،
بالتار، من حلى الزينة والجمال، المستخرجة من
معادن الأرض . . ففي الزرع: طعام، وزينة، وفي
الذهب والفضة: نقد، وحلية وجمال يتجمل به
الانسان . . {أنزل من السماء ماء فمسالت أودية
بقدرها فاحتمل السيل زيدا راييا ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية أو متاع زید مثله، كذلك يضرب
الله الحق والباطل، فلما الزید فیذهب جفاء وأما ما
ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله
الأمثال}[۱۱] .

إن هذا الجمال وتلك الزينة . . هي آيات الله،
أبدعها وبثها في هذا الكون، وأمر الانسان أن ينظر
فيها . . إذن، فالنظر في هذا الجمال، والاستقبال
لآيات الزينة، وفتح قنوات الاحساس الانساني على
صنع الله هذا، هو امتثال لأمر الله، سبحانه وتعالى
(انظروا إلى ثمره إذا أنثر وينعه) . . {أفلم ينظروا

عندما قال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» [١٤].

٢- البحث صلة -

الهوامش:

(١) الأتمام: ٩٢.

(٢) القصص: ٥٩.

(٣) رواء البخارى ومسلم والنسائى.

(٤) الأتمام: ٩٩.

(٥) الصفات: ٦، ٧.

(٦) فصلت: ١٢.

(٧) الحجر: ١٦-١٨.

(٨) ق: ٦.

(٩) النحل: ٥-٨ (وفى الحديث الشريف عن الخيل:

«الخيول معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة، وهى

لرجل أجر، ولرجل ستر وجمال، وعلى رجل وزر. فأما

الذى هى له أجر فرجل يتخذها يعدها فى سبيل الله..

وأما التى هى له ستر وجمال، فرجل يتخذها تكريما

وتجسلا ولا ينسى حق بطونها وظهورها وعسرهما

ويسرها. وأما التى هى عليه وزر فرجل يتخذها بنفا

وأثرا ورءا ويظرا»- رواء مسلم والإمام أحمد.

(١٠) النحل: ١٤.

(١١) الرعد: ١٧.

(١٢) الأعراف: ١٧٩.

(١٣) الضحى: ١١.

(١٤) رواء الترمذى.

الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ٠٠ [٠٠ وهذا

النظر، فى هذه الآيات، هو سبيل من سبيل الاستدلال

على وجود الله، وعلى كمال قدرته ويديع صنعتة ٠٠

وما تعطيل النظر فى آيات الجمال هذه- باصطناع

الخصومة بين الاسلام وبين جماليات الحياة- إلا

تعطيل للدليل على وجود الصانع المبدع لهذه الآيات.

ويستوى مع هذا التعطيل للنظر- بقمع أدواته

وسد قنواته وإهمال ملكاته- «النظر» المجرد من

«الإحساس» بنيات الجمال المودعة فى هذه

المخلوقات! ٠ فالذين لا يرون فى المحيط الذى

يعيشون فيه غير «المنافع المادية»، ولا ترى بصائرهم

آيات الجمال فى هذا المحيط، لا شك أنهم معنيون

وموصوفون بقول الله سبحانه [لهم قلوب لا يفقهون

بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون

بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم

الغافلون] [١٢].

كذلك فإن تنمية الإحساس الجمالى لدى

الإنسان المؤمن هى تنمية للملكات والطاقات التى

أنعم بها عليه الله ٠٠ وفى ذلك الشكر لله الذى أنعم

بها ٠٠ وإن فى استخدام هذه الملكات سبيلا

للاستمتاع بما خلق الله فى هذا الكون من آيات

الزينة والجمال الشكر لله على نعمة خلقه لهذه الزينة

ولهذا الجمال ٠٠ وصدق الله العظيم إذ يقول: {وأما

بنعمة ربك فحدث} [١٣] ٠٠ وصدق رسوله الكريم

ولاية البلد الأمين

بالرخاء والخبير والأمن والأمان والعدل والإحسان. ورضيته العامة والخاصة ولم يزل عليهما حتى عزل عنهما بوشاية واش وكانت مدة ولايته نحواً من سبع سنوات وكان رضي الله عنه يقيم أكثر أوقاته بالمدينة المنورة مهد الهدى والإيمان.

سبق القول في الحلقة الخامسة بأن الأمير قيس بن مخزومة المطليبي تولى إمارة البلدة المحرمة نائباً عن أمير الحرمين الشريفين هشام بن اسماعيل المخزومي وخلفه عليها الأمير نافع بن علقة الكناني رحمة الله عليهم اجمعين.

وكان يتوب عنه في إمارة البلدة المقدسة أمراء منهم:

- الأمير محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق البكري التيمي القرشي رضي الله عنه كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام وقد وهم من قال بامارته في أيام خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز لأن ذلك غير وارد وقد نوه عن ذلك الإمام الفاسي في شفاء الغرام وتابعه العلامة ابن ظهيرة القرشي رحمة الله عليه في كتابه الجامع اللطيف، ولم أظفر بخبر يحدد مدة ولايته.

ومن تولى نائباً في هذه الفترة:

- الأمير عروة بن عياض بن عدى بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف بن قصي الخياري القرشي رحمة الله عليه. وكان نائباً عن أمير الحرمين الشريفين سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. ولم أقف

ويعد عزل الأمير هشام المخزومي عن ولاية الحرمين الشريفين خلفه عليهما:

- الأمير الصالح التقي الورع سيدنا عمر بن عبد العزيز الأموي القرشي رضي الله عنه حسبما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام. وكان مبدأ ولايته في سنة ٨٦ للهجرة الشريفة كما ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه وذكر الإمام ابن الأثير في الكامل أن بداية ولايته كانت في سنة ٨٧ من الهجرة ودرج عليه الإمام الفاسي في شفاء الغرام ونص بذلك الإمام أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه، وسيدنا عمر بن عبد العزيز غنى عن التعريف وهو خامس الخلفاء الراشدين حيث إنه قد تولى خلافة المسلمين فيما بعد كما هو معروف وكان رضي الله عنه عالماً تقياً نقياً ورعاً عابداً مسدداً في ولايته وإثاء ولايته نعم أهل الحرمين الشريفين



بقلم : السيد ضياء محمد عطار - المدينة المنورة

قد تركتم الجهاد في سبيل الله تعالى . ولم أقف على
خبر يحدد مدة ولايته .

وممن تولى نائباً:

- الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم
الأموي القرشي رحمة الله عليه . وكان نائباً عن أمير
الحرمين الشريفين سيدنا عمر بن عبد العزيز . وذكر
الامام الفاسي في شفاء الغرام ولايته لأبيه أمير
المؤمنين عبد الملك بن مروان رحمة الله عليهم وإذا
صح هذا الخبر أي ولايته لأبيه لا في ولاية سيدنا
عمر بن عبد العزيز فإن هذه تكون الولاية الثالثة له .
وقد ناقشت ذلك في جلاء العينين . وكان انتهاء ولايته
في سنة ٩٣ للهجرة وقد خلفه عليها :

- الأمير خالد بن عبد الله بن يزيد القسري
الجلبي رحمة الله عليه . وذلك في النصف الثاني من
سنة ٩٣ للهجرة المباركة تقديراً . وأتت ولايته للبلد
الأمين بإشارة من الأمير الحجاج بن يوسف الثقفي
للخليفة بذلك وبدأ الأمير خالد القسري بالقبض على
الامام التابعي الجليل سعيد بن جبير رضي الله
عنه . ومن أوليات الأمير خالد بن عبد الله القسري
بمكة شرفها الله إدارة الصفوف حول البيت الحرام
وهو حدث لم يسبق له مثيل وكانوا من قبل يصلون

على خبر يحدد مدة ولايته على البلد الحرام .
وممن تولى له نائباً:

- الأمير عبد الله بن قيس بن مخزومة بن المطلب
بن عبد مناف المطلب القرشي رحمة الله عليه . كما
ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام . وقد ترجم له
العلامة ابن قدامة المقدسي في كتابه التبيين في
انساب القرشيين وذكر أنه كان من الفضلاء النجباء
غير أنه ذكر ولايته للحجاج بن يوسف على المدينة
المنورة . وترجم له الامام السخاوي في التحفة
اللطيفة وذكر توليه لقضاء المدينة المنورة ولم يشر الى
ولايته للبلد الحرام . ولم أقف على خبر يحدد مدة
ولايته للبلد الأمين في هذه الفترة .

**وممن تولى نائباً عن سيدنا عمر بن عبد العزيز
امارة البلد الحرام:**

- الأمير عثمان بن عبد الله بن عبد الله بن
سراقة العدوي القرشي رحمة الله عليه وكانت ولايته
في خلافة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك كما ذكره
الامام الفاسي في شفاء الغرام . وكان رحمة الله
عليه سيداً وجيهاً مسموع الكلمة وهو جد بني سراقة
واليه تنسب سلالة سراقة . ويذكر أنه خطب بمكة
شرفها الله يوماً وهو واليها قائلاً: يا أهل مكة ما لكم

في واجهة الكعبة المشرفة مما يلي الباب. وكان هذا العمل بدعة ولكن لم يعترض عليه أحد من العلماء في عصره ولا أنكروا فعله بل وأيده الامام عطاء بن أبي رباح أحد أئمة التابعين رضى الله عنهم أجمعين وهو من آثاره الحمودة ومن أولياته أيضاً توقيته ساعة من النهار بعد صلاة العصر ليطوف النساء وحدهن بالبيت العتيق ولا يشاركهن الرجال في هذه الساعة. وله أعمال أخرى وقد لبث في ولاية البلد الحرام نحواً من ثلاث سنوات ثم عزل عنها في سنة ٩٦ للهجرة الشريفة وخلفه عليها:

- الأمير طلحة بن داود الحضرمي رحمة الله عليه،

وذلك في أواسط سنة ٩٦ من الهجرة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وذكر الإمام أحمد البلاذري في كتابه أنساب الأشراف أنه هو الذي تولى القبض على سلفه الأمير خالد بن عبد الله القسري وتولى ضربه. غير أنه لم يستمر طويلاً حتى عزل عنها فكانت مدة ولايته لا تزيد عن بضعة أشهر وخلفه عليها:

- الأمير عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص الأموي القرشي رحمة الله عليه.

وذلك في مستهل سنة ٩٧ من الهجرة المباركة. وكان رجلاً وجيهاً سيداً أحد أشراف قريش في

زمانه وليث في اماره الاباطح المكية مسدداً مستقراً بحسن السيرة وجميل السيرة أثناء خلافة أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ثم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز ثم أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ثم عزل. وهي الولاية الأخيرة له. وذكر الامام الفاسي في شفاء الغرام أنه تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان غير أنه لم يحدد لها زمناً. وقد خلفه في هذه الفترة على البلد الحرام:

- الأمير عبد الرحمن بن الفضل بن قيس بن خالد الشيباني القرشي رحمة الله عليه وكانت امارته في سنة ١٠٣ للهجرة المباركة كما ذكره الامام الفاسي في شفاء الغرام وكان اليه اماره المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلوات وازكى التحية منذ سنة ١٠١ من الهجرة الشريفة. وفي سنة ١٠٣ من الهجرة ضمت اليه اماره الديار الحرمية. فكان أميراً للحرمين الشريفين ولم يزل عليهما حتى عزل عنهما معا في سنة ١٠٤ للهجرة فكانت مدة ولايته للبلد الأمين نحواً من سنة واحدة وذكر الإمام أبو عمرو خليفة بن خياط ما يخالف ذلك ولكن خبره لا يخلو من ضعف ومن بعد عزله خلفه عليها:

- الأمير عبد الواحد بن عبد الله بن كعب بن عمير النصري رحمة الله عليه.

وكان اليه اماره الحرمين الشريفين معاً. وكان

- الأمير يوسف بن محمد بن يوسف بن الحكم

الثقفي رحمة الله عليه.

في سنة ١٢٥ للهجرة المباركة وكان إليه امارة
المرمين الشريفين وهو الذي تولى القبض على
سلفه الماضي ذكره. ولم يزل على ولايته حتى قتل
الخليفة الوليد بن يزيد فعزل عنهما وخلفه في امارة
المرمين الشريفين:

- الأمير عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن

مروان الأموي القرشي. رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٢٦ من الهجرة المباركة وكان
رجلا فاضلا عالما جليلا عاقلا نبيلاً ورث الأخلاق
الحميدة عن أبيه سيدنا عمر بن عبد العزيز وكان
جميل السيرة محمود السريرة وظل في ولايته
للمرمين الشريفين التي عزل عنها في سنة ١٢٩ من
الهجرة. وكان إليه الطائف أيضاً وكانت مدة ولايته
نحواً من ثلاث سنوات وقد توفي رحمة الله عليه في
سنة ١٤٧ من الهجرة وراثه أحد الشعراء فقال:

قد كسى الدهر بجدي فعثر

اذ ثوى عبد العزيز بن عمر

وكان من عبد مناف كلها

بمكان السمع منها والبصر

كما ترجم له الامام القاسي في كتابه العقد

الثلثين.

- للبحث صلة -

ابتداء ولايته في شهر ربيع الأول من سنة ١٠٤ من

الهجرة المباركة. وكان رجلاً باراً صالحاً حسن
السيرة محمود السريرة تابعى ثقة ولم يأت الى أهل
المرمين الشريفين وال أحب اليهم منه. وكانت مدة
ولايته نحواً من سنتين ويضعة أشهر وبعده خلفه
عليهما:

- الأمير ابراهيم بن هشام بن اسماعيل بن

هشام المخزومي رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٠٦ من الهجرة المباركة وحج
بالناس في أكثر سنى ولايته ودام عليهما حتى سنة
١١٤ للهجرة فكانت مدة ولايته نحواً من ثمانى
سنوات اقليلاً.

وقد خلفه على البلد الأمين.

- الأمير محمد بن هشام بن اسماعيل بن هشام

المخزومي رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١١٤ من الهجرة ثم ضمت له
امارة المدينة الشريفة في سنة ١١٧ من الهجرة.
وحج بالناس في سنى ولايته كلها ما عدا سنة ١١٧
من الهجرة حسبما ذكره العلامة نجم الدين بن فهد
الهاشمى في اتحاف الورى باخبار أم القرى ثم عزل
عنهما في سنة ١٢٥ من الهجرة وقبض عليه وعلى
أخيه الأمير ابراهيم وقيداً وضرباً حتى قُتلا بسجن
بالعراق ضرباً في سنة ١٢٦ من الهجرة. وخلفه:

وقفات مع التعريب في المملكة العربية السعودية

تهدف إلى تحديد الوضع اللغوي القائم في المملكة، كما أنه لم يسبق القيام بدراسات تقييم لأساليب وتطبيقات التعريب القائمة بهدف توضيح الصورة ومن ثم التطوير والتحسين.

ومما لا شك فيه أن دراسة الوضع اللغوي القائم في المملكة أمر ليس باليسير في ظل وجود الازدواجية اللغوية - أي وجود العامية والفصحى - في المملكة وفي بقية دول العالم العربي. ويزيد ذلك الموضوع تعقيدا أن العامية بدورها تنقسم إلى لهجات متعددة تختلف من منطقة إلى أخرى.

ويعرف فيرجسون الازدواجية اللغوية بأنها «وجود لغة ذات قيمة أدبية ودينية عليا - الفصحى - إلى جانب لهجة لها قاعدة شعبية عريضة ومستخدمة في التخاطب - أي العامية أو الدارجة». وهناك اتفاق بين الباحثين باتسون وستكتيتش (بدوي) على وجود هذه الازدواجية في كل أنحاء العالم العربي.

كما ذكرنا في الحلقات الماضية، هناك

تحمس شديد للتعريب في المملكة العربية

السعودية سواء فيما يتعلق بتدريس العلوم

الطبيعية باللغة العربية، أو فيما يتعلق

باستخدام الكلمات المعربة بدلا من الوافدة،

وذلك ايمانا بدور المملكة في خدمة الإسلام

والحفاظ على اللغة العربية، وكونها موطن

العرب الأول ورمز هويتهم الثقافية والحضارية.

وكما ذكرنا من قبل فإن التعريب كأي

استراتيجية لغوية أو برنامج تخطيط لغوي يحتاج

إلى آليات علمية مدروسة تمكنه من تحقيق الآمال

المرجوة منه. كما أنه لا بد من دراسة العوامل

الحقيقية المؤثرة في الاستخدام اللغوي في واقع

المجتمع لكي يحقق التعريب الهدف المنشود.

ومع الأسف لم يسبق عمل أي دراسات ميدانية



بقلم : د. سعد بن هادي القحطاني

مدير مركز اللغة الانجليزية بمعهد الادارة العامة بالرياض

«التلفزيون» وكلمة «تكنولوجيا» تستخدم على نطاق

واسع بدلا من «تقنية»، وهكذا .

والتعريب خيار لا مناص منه انطلاقا من أن

التعليم باللغة الأم أي العربية - هو الخيار الأمثل

لاستيعاب دقائق العلوم والتقنيات ومن ثم للحاق

بركب التقدم العلمي . فدراسة العلوم باللغة الأجنبية

لا يمكن الطالب من استيعاب كل دقائقها

وتفاصيلها، ذلك الاستيعاب الذي يمكن صاحبه من

الإبداع والاختراع وليس التلقي فقط، فالحاجز

اللغوي سيبقى دائما حجر عثرة في طريق الإبداع،

والأبحاث التي تدعم هذه النظرية كثيرة . فقد أشار

كل من سليمان ١٩٨١م، وحافظ ١٩٨٥م، وقاسمي

١٩٨٧م، وحجازي ١٩٩٩م الى أن الطلاب العرب

يستوعبون العلوم الطبيعية بشكل أفضل عندما يتم

تدريسها باللغة العربية . كما أشاروا الى أن الإبداع

في العلوم الحديثة لا يتم من خلال استيعاب دقائقها

باللغة الأم، وهذا لا يتأتى عندما تدرس هذه العلوم

بلغة أجنبية .

ويشير سليمان إلى أن مصر على سبيل المثال

بل هناك اتفاق على وجود ثلاث مستويات لهذه

الازدواجية - أي الفصحى، والعامية، ومستوى وسيط

بين ذلك وهو ما يعرف بلغة المثقفين أو لغة

الصحافة . وتعرف أيضا «العربية الوسيطة»

(Modern Standard Arabic) . وهناك

اختلافات بين العربية الوسيطة والفصحى لا مجال

هنا لذكرها، وتم التطرق لها في أبحاث كثيرة (انظر

بدوي ١٩٨٦م) .

وبذلك يتبين أن الوضع اللغوي في المملكة يبدو

أكثر تعقيدا، فالى جانب الفصحى، توجد العامية،

ولغة الصحافة، ولهجات محلية كثيرة تتباين فيما

بينها . وذلك يجعل مهمة من يريد دراسة الوضع

اللغوي في المملكة دراسة علمية دقيقة - يجعلها مهمة

صعبة، ولكنها ليست مستحيلة .

وفي الواقع هناك احساس لدى التربويين

والمعنيين بمسيرة التعريب بأن المجتمع عازف عن

استخدام الكلمات المعربة التي تنتجها المجامع

اللغوية، وتفضيل الكلمات الوافدة بدلا منها، فمثلا

كلمة «الرائي» لم تلق انتشارا كما هي كلمة

تشير أيضا الى ضرورة التنسيق والتقييم في جميع المراحل التي تسلكها السياسة اللغوية، مما يتطلب جهوداً تنظيمية وتنسيقية ذات كفاءة عالية.

ويشير هوجن ١٩٨٣م الى أن مرحلة التطبيق بالذات تحتاج الى جهود غير عادية من قبل المنظمات والأفراد وذلك من أجل ضمان الإنتشار المطلوب للتغيير اللغوي المطروح، ولكي يتحقق التغيير على مستوى اللغة المكتوبة لابد من إنتاج العديد من الكتب، والنشرات، ومن خلال الصحافة والكتب المدرسية. وهذا ما لم يتم استثماره بعد في نشاطات التعريب القائمة في المملكة.

والملاحظ أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة تتجاوز الى حد ما عن استخدام الكلمات المعربة في الوقت الذي تدعو فيه سياسة الإعلام الى وجوب المحافظة على سلامة اللغة العربية. وفي الصحف أيضا هناك تناقض بين سياسة التحرير والممارسة الصحفية. فسياسة التحرير تحتم «خدمة الثقافة الإسلامية واللغة العربية» بينما يتم نشر العديد من المواد بالعامية سواء في الصفحات الشعبية أم في الصفحات الأخرى، فضلا عن عدم إلزام الكتاب باستخدام الكلمات المعربة بدلا من الوافدة.

كما أن سياسة التعليم العالي تؤكد على أن

لم تنتج الا ١٪ مما تنتجه استراليا في مجال البحوث الطبية، علما بأن تدريس الطب في مصر يتم باللغة الإنجليزية منذ ما يقارب ١٠٠ سنة (أنظر حجازي ١٩٩٩م ص ٦).

كما يشير القرشي (١٩٨٢م) في رسالته للدكتوراه حول إمكانية تدريس العلوم باللغة العربية، الى وجود «ظلال للمعاني» في كل لغة، ولا يستطيع المتعلم معرفة هذه الدلالات الدقيقة للمعاني الا عندما يكون من أصحاب اللغة الأصليين. وعليه فإن المتعلم بلغة غير لغته الأم لا يدرك هذه الأبعاد الدقيقة للمعاني، مما يحول دون الاستيعاب الكامل لدقائق النظريات العلمية ومن ثم الإبداع فيها، وليس التلقي فقط (أنظر القرشي ١٩٨٢م).

كما يشير القرشي أيضا الى أن تدريس الطالب بلغته الأم يتيح مجالا واسعا لحرية النقاش وطرح الأسئلة على الاستاذ، حيث إن المتعلم بغير لغته يحجم أحيانا عن طرح الأسئلة والمشاركة في النقاش بشكل مثمر، نظرا لوجود الحاجز اللغوي (القرشي ص ٢٤٠).

وتشير أيستمان ١٩٨٣م، الى أنه لابد من وضع السياسات اللغوية وفق الإطار النظري لبرامج التخطيط اللغوي، ثم مراجعتها قبل تطبيقها، كما

ويلاحظ أن هناك بعض التربويين ممن يعارض إنشاء هذا المجمع لما عرف عن قلة فاعلية المجمع اللغوية المماثلة في العالم العربي، ولعدم مواكبتها للمتغيرات الحديثة في مجال العلوم والتقنية. ولكنه من نافلة القول إن فكرة إنشاء مجمع لغوي في المملكة ستدفع التعريب إلى دائرة الإهتمام على الأقل، وإذا ما تم استثمار القدرات العلمية السعودية في مجال علوم اللغة، والعلوم التخصصية الأخرى إلى جانب الأدباء والمهتمين، ووضع آليات عمل جديدة تختلف عن الآليات التقليدية المتبعة في المجمع الأخرى فإن ذلك سيجعل المجمع قادرا على تحقيق نقلة نوعية في مسيرة التعريب. كما أنه لن يتحقق النجاح المطلوب للتعريب بدون القرار السياسي الذي يجعل استخدام الكلمات العربية مطلبا أساسيا في وسائل الإعلام والتعليم.

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أنه يمكن الاستفادة من تقنيات الحاسب الآلي في مجال التعريب كتغيير الكلمات الوافدة بالمصطلحات العربية آليا في الصحف والمجلات قبل الطبع. وبناء برامج آلية من هذا النوع أمر يمكن تحقيقه إذا تضافرت الجهود وصدقت النيات. كما يمكن الاستفادة من بنوك المعلومات الآلية ومن شبكة الإنترنت في متابعة المتغيرات اليومية في مجال المصطلحات.

اللغة العربية هي لغة التدريس الجامعي، ويمكن استخدام لغة أخرى «عند الضرورة»، أي أن اللغة العربية هي الأصل في التعليم الجامعي. والملاحظ أن كل التخصصات العلمية الحيوية تدرس بالانجليزية، بل وبعض المواد في العلوم الإنسانية الأخرى. كما أنه لا يوجد آلية لاستخدام المصطلحات العربية بدلا من الوافدة في التعليم الجامعي.

أما من حيث التنسيق والتكامل بين جهود التعريب في المملكة فلا يوجد تنسيق فعال بين هذه النشاطات. فمثلا مركز التعريب في جامعة الملك عبد العزيز ليس لديه أية آلية للتنسيق مع المراكز الأخرى مثل باسم أو الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس.

كما أنه لا يوجد تنسيق بين هذه المراكز ومجامع اللغة العربية المنتشرة في العالم العربي. وبالتالي فإن جهود التعريب مبعثرة ولا تصب في اتجاه واحد مما يفقدها قيمتها، ويجعل التعريب غير قادر على تحقيق الهدف المطلوب.

وكما هو معروف لا يوجد حتى الآن مجمع لغوي في المملكة العربية السعودية، وإن كانت هناك جهود حثيثة قائمة الآن لإنشاء مجمع لغوي في المملكة.

مرآة الاسلام

تأليف

الدكتور طه حسين

المنهل

٨٢



د. طه حسين



غلاف الكتاب

في حديثي عن كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) الذي ألفه الأستاذ الكبير محمد عرفة رداً على آراء طه حسين التي ألقاها حول الأسلوب القرآني، كشفت مدى الخطأ الأليم الذي تورط فيه الدكتور دون جودة نظر، وكان عليّ بعد أن يدت شبهات الدكتور بما ذكره الأستاذ عرفة من نقد حاسم أن أنصف الدكتور أمام القراء فأذكر أنه كتب مؤلفاً رائعاً تحت عنوان (مرآة الإسلام) هدم به كل ما ذكره من قبل، وهو بهذا الكتاب قد رجع عن أخطاء تابع فيها المستشرقين، وكأنه فيما بعد عرف عن يقين فداحة هذه الأخطاء. فكتب كتابه الرائع (مرآة الإسلام) ليبراً من خطأ وقع فيه في عهد شبابه الأول. وهذا ما يحمده له كل الحمد، والدكتور طه حسين أسلوب مشرق مطواع. وتأثير نفاذ على القارئ فإذا تحدث عن القرآن في مرآة الإسلام حديث المؤمن الصادق، فقد سدّ مسدداً كبيراً لا يتاح لغيره، لأن ذبوع اسمه، وجودة أسلوبه قد كسب للفكرة الإسلامية أناساً لا يقرعون كتب العلماء، بل يعدونها نقولاً وأقوالاً متشابهة، فإذا حدثهم الدكتور عما يقوله هؤلاء العلماء بنفاذه ونفوذه فقد فتح المجال لعقول كثيرة كانت تصم أذانها عن قولة الحق، وأن لها أن تسمع!

بدأ الدكتور كتابه بحديث عن حياة العرب في الجاهلية، العرب في سائر ربوعها بالجزيرة واليمن والشام والعراق وعن علاقاتها بما جاورها من الأمم والممالك، فنفي القول الزاعم بانقطاع العرب عما حولهم. وأثبت علاقاتهم بالحضارات المجاورة باستثناء قوم قلة في صحراء نجد، وقد صور الحياة العربية قبل البعثة المحمدية تصويراً صادقاً جعله تهديداً لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونشأته وجهاده البطولي في نشر دين الله سبحانه وتعالى، وموقفه من أهل الكتاب في الجزيرة العربية من يهود



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

ويجعلونها لله أندادا، ويتخذونها عنده شفعا، والتي لا تجيبهم إن دعوا، ولا تسمع لهم إن تحدثوا إليها، ولا تنفعهم، ولا تضرهم ولا تغني عنهم من الله شيئا، إن أراد بهم سوءا، ولا تمسك عنهم رحمة الله، إن أراد بهم رحمة، وإنما هي أشياء صنعوها بأيديهم، أو صنعت لهم من قبل بأيدي الرجال، ثم خلعوا عليها ما ليس لها من القوة والباس والسلطان).

وبهذا الإيضاح المبين بطلت فرية تأثير اليهود في القسم المدني من الكتاب العزيز إذ كيف يكون الأخبار جهلاء، والعامة أميين، ثم تكون لديهم ثقافة رفيعة كثافة القرآن الكريم.

فإذا انتقل صاحب (مرآة الإسلام) الى القسم الثاني من كتابه فإننا نجد يتحدث عن القرآن الكريم وعن السنة المطهرة التي ثبتت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ثبوتا قاطعا أو راجحا حديث المؤمن الواثق، وحديثه عن الأسلوب القرآني ينفي كل ما ذكره من قبل عن الاقتضاب وانقطاع الحجة والتهويل، وقد ألم الدكتور بحيرة العرب أمام هذا البيان المعجز، وتخطبهم في القول بأنه سحر أو سجع كسجع الكهنة، وعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، أو بآية واحدة من مثله، وإصرارهم على المقترحات العامة كأن ينشئ للعرب نهرا، أو تكون له جنة من نخيل وعنب، أو أن يأتي باله والملائكة قبلا، أو أن يسقط السماء عليهم كسفا، أو أن يرقى في السماء ليأتيهم بكتاب يقرؤنه! كل ذلك قالوه وادعوه فلم يجدوا ردا أحكم من قول الله على لسان نبيه «هل كنت إلا بشرا رسولا»!

وللقارئ أن يتذكر كل ما نقلناه عن الدكتور مما هو منكر في كتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم) مما لا حاجة بنا الى تكراره الآن فهو مرزول بغيض مما نتلو بعد ذلك ما جاء في كتاب (مرآة الإسلام) عن الأسلوب القرآني ليجد الرد المالحق، والدفع الصادع

ونصارى! وموضع الملاحظة في هذه الناحية، أن الدكتور في محاضراته السابقة كان قد زعم لليهود حضارة وثقافة ظهر تأثيرها في القرآن الكريم، أما في كتابه (مرآة الإسلام) فقد قال ما نصه [١]:

(وكانت كثرة اليهود في الحجاز أمية كالعرب، لا يقرأ ولا يكتب منهم إلا أحبارهم، وكان هؤلاء الأحبار أقرب الى الجهل منهم الى العلم، وقليل منهم من كان يحسن العلم بدينه، فكيف بسائر اليهود) وإن فالحقول بتأثير اليهود في الأسلوب المدني للقرآن الكريم قد أصبح باطلا منكرأ لدى الدكتور إذ كيف يستطيع هؤلاء الجهلة أن يعدوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بثقافة رفيعة، وحالهم هي تلك!

وما ذكره الدكتور عن اليهود في النص الموجز السابق، قد وجد تفصيله البارع، حين تحدث الدكتور عن نزول القرآن الكريم، إذ ينفي كل أثر لاتصال ثقافي بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واليهود، ويقول في بيان واضح [٢]:

«نزل القرآن الكريم على لسان رجل من قريش لم يتعلم قط كتابة ولا قرأ حسابا، ولم يجلس قط، الى أحبار اليهود ولا رهبان النصارى، ولا أصحاب الفلسفة، وإنما هو رجل «عربي أمي» كأكثر العرب لا يعلم من أمر الدنيا إلا مثل ما كان أوساط العرب يعلمون، وهو مع ذلك يجادل اليهود في التوراة، ويجادل النصارى في الإنجيل، ويصفهم بأنهم يكذبون على موسى، ويقولون على المسيح غير الحق، ويحرفون ما عندهم عن التوراة والإنجيل، كل ذلك وهو لا يقرأ التوراة والإنجيل، وإنما ينسج الله جلت قدرته نبا الحق بما في كليهما، وهو لم يأت لنسخ التوراة والإنجيل، وإنما جاء مصدقا لما بين يديه منهما، ومضيفا إليهما ما أمره الله أن يضيف من العلم والدين، وهو يحاج المشركين في آلهتهم، تلك التي كانوا يعبدونها،

لكل ما قيل من إرجاف، يجد ذلك جلياً واضحاً في قول الدكتور عن الأسلوب القرآني [٣].

ولكن للقرآن الكريم وجهاً آخر من وجوه الإعجاز لم يستطع العرب أن يحاكيوه أيام النبي (صلي الله عليه وسلم) ولا بعده، ذلك هو نظم القرآن أي أسلوبه في أداء المعاني التي أراد الله أن تؤدي للناس، لم يؤد إليهم هذه المعاني شعراً كما قدمنا، ولم يؤدها إليهم نثراً، وإنما أدأها على مذهب مقصور عليه، وفي أسلوب خاص به لم يسبق إليه، ولم يلحق فيه، ليس شعراً لأنه لا يتقيد بأوزان الشعر وقوافيه، وليس نثراً لأنه لا يطلق إطلاق النثر، ولا يقيد بهذه القيود التي عرفها الكتاب في الإسلام وإنما هو آيات مفصلة لها مزاجها الخاص في الاتصال والانفصال، وفي الطول وفي القصر، وفيما يظهر من الائتلاف والاختلاف، تتلو بعض السور فإذا أنت مضطر عند قراءتها إلى الأناة والتمهل، لأنها فصلت في ريث ومهل لأداء معان تحتاج إلى البسط والريث، كالتشريع أيضاً ووصف ما كان يُثار بين المسلمين والمشركين من الحروب والوقائع، وتتلو بعض سورته الأخرى فإذا أنت مضطر إلى شيء من السرعة لأنها تؤدي معاني تحتاج أدائها إلى القوة والعنف، قد فصلت آياتها قصاراً ملتزمة الفواصل، تقرؤها فكأنك تتحدر من عل، وذلك حين يخوف الله عباده ويشد في تخويفهم فيأخذهم من جميع أقطارهم، ويقطع عليهم طريق الحجاج.

هذا نمط الأسلوب القرآني كما قرره الدكتور أخيراً في مرآة الإسلام، فبطل إذن الخلاف الموهوم بين القسم المكي والمدني الذي ادعاه من قبل، وأدرك خطأه فعدل عنه؛ وقد أراد التمثيل لما يقول هنا بسورتين مكيّتين تختلفان أسلوباً، ومعنى ذلك أن الاختلاف ليس اختلاف بيئة مكية أو مدنية، ولكنه اختلاف سياق ومناسبة، وللقارئ أن يتأمل بصدد ذلك ما حكاه الدكتور حين قال [٤]:

«وربما يقص - القرآن - من أنباء الرسل، فيمضي القصص في هدوء ومهل لأنه يتجه إلى إثارة التفكير

والاعتبار والتروية فيما جرى على الأمم من قبل، والحذر من أن يجري عليهم مثله، ثم يقص في سورة أخرى نفس الأنباء فتقصر الآيات وتسرّع، وتتسق الفواصل وتتجسم، وتتكرر عبارات بعينها في آخر كل قصة لأنه يتجه إلى الإرباب والإثارة والإحاطة بالسامعين والقارئ، واعجالهم عن التفكير والتدبر، كأنما أخذتهم من كل مكان ريع عاصفة، لا يجدون منها مهرباً، ولا يرون لأنفسهم عنها مصرفاً، فهي تصب عليهم العبر والمثالات صبا، أو كأنهم يمتطون من السماء صخوراً متتابعة، فهم لا يملكون إلا أن يذعنوا لما يصب عليهم، لا يجدون من الوقت ولا من القوة ما يتيح لهم رجوع الجواب أو الجدال في بعض ما يصب عليهم، وإنما هي الآيات تتتابع قصاراً أشد القصير، متسقة أروع الاتساق، والعبر القاصمة تستنبط منها في سرعة سريع. وهم لا يكادون يفرغون من قصة حتى تتبعها قصة أخرى تأتي في إثرها في سرعة خاطفة. وقوة مذهلة، وأقرأ إن شئت سورتين كسورة الشعراء وسورة القصص فستجد السرعة كل السرعة، والقوة كل القوة في السورة الأولى، وستجد الأناة والمهل في السورة الثانية، ولكل ستجد الروعة في السورتين جميعاً تروع أولاهما بما اختصت به من هذه السرعة، وتروع الأخرى بما امتازت به من الأناة، وذلك في القرآن كثيرة وسواء قرأت السور السريعة أو السور المتأنية فسترى من جمال اللفظ وروعة الأسلوب واتساق النظام ما يسحرك ويبهرك، ويملك عليك أمرك كله فإذا أنت خاشع لما تسمع أو تقرأ، معجب به، مستزبد منه، حتى حين يستأثر بك العناد، وتتكلف ما تتكلف من إظهار الإصرار والاستكبار والإعراض والإباء.

نقلت هذا النص على طوله لأنه يعصف بكل ما أملاه الدكتور طه حسين على الطلاب بشأن الأسلوب القرآني من قبل، والرجل بهذا قد انتهى إلى صخرة اليقين بعد التذبذب والاضطراب، وهو من ناحية أخرى يتحدث حديث الموقن المثبت، وقد كان من قبل في شك

العربية وفي غيرها أيضا مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولو ذهبت أصف فنون الإعجاز في القرآن، وملاسة كل مذهب من مذاهب القول فيه لما فرغت من هذا الحديث.

هذا بعض ما أردت الإشارة إليه في كتاب (مرآة الإسلام) ليكون صبحا مشرقا أتى بعد ليل جالك، فيبدد ظلامه.

ثم توالى صحف الكتاب الجليل تتحدث عن تعاليم الإسلام وأثرها في رفعة شأن المسلمين حتى صاروا سادة العالم في أخلاقهم ومثلهم، كما ألم الدكتور بأحداث مؤسفة أعقبت قتل الخليفتين عثمان وعلى أسفا على ما كان، وقد جره ذلك إلى الكلام عن الأحزاب السياسية في الإسلام وأسباب وجودها، منتقلا إلى الحديث عن الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية، وما كان من اشتغال المسلمين في عصور الاحتطاط بالقشور دون اللباب مما أدى إلى تسلط الاستعمار الغربي على أكثر بلاد الإسلام، أملا أن تتحقق النهضة الإسلامية على قدمين، هما إحياء التراث العربي القديم في أزهى عصوره، والانتفاع بما لدى الغرب من حضارة علمية تساعد على التقدم التام في فروع المعرفة الإنسانية.

إن كتاب (مرآة الإسلام) هو أصنق الكتب التاريخية التي ألفها الدكتور طه حسين، وهو حبيب إلى القراء لسهولة أسلوبه، ووضوح مراميه، وما أنعم الله به على مؤلفه الكبير من حلاوة في الصياغة، وجمال في العرض، وتدفق في المعاني السهلة ذات المرمى السديد.

الهوامش:

- (١) مرآة الإسلام ص ٨.
- (٢) مرآة الإسلام ص ١٤٥.
- (٣) مرآة الإسلام ص ١٤٩.
- (٤) مرآة الإسلام ص ١٥٠.
- (٥) مرآة الإسلام ص ١٨٩.
- (٦) مرآة الإسلام ص ١٩٢.

من أمره فأوصله الشك الملح إلى اليقين الأكيد، فلا ملام.

وحديث المعاني المتقطعة والسور المكية، لم يعد له أثر لدى الدكتور طه حسين، حيث نظر من جديد إلى الأسلوب القرآني فوجد فيه من التماسك والالتئام بين معانيه ما يجعل منه وحدة موضوعية تملأ روحها الكتاب المبين، بحيث تنطق كل فقرة من فقراته بهذه الوحدة الموضوعية إذ هي حلقة في سلسلتها المتناسكة مهما اختلفت السور وتعددت الموضوعات، وهذا ما وضع بجلاء في قول الدكتور طه حسين بعد أن سرد المعاني المتصلة في سورة آل عمران وهي من السور الطوال بل هي أطول سورة بعد سورة البقرة التي خصها بتحليل يشير إلى ارتباط معانيها، منتهيا إلى أن القرآن «كله من عند الله وهو وحدة في روحه وفي إعجازه مهما اختلف تنزيل سوره، ومهما اختلف موضوعات السور ومذاهب القول فيها، يقول الدكتور طه حسين [٥]:

«اختلاف مذاهب القول في القرآن الكريم دليل قوى من دلائل الإعجاز، وللقرآن وحدته من حيث أنه يدعو دائما إلى أصول معينه، إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، ونبذ الشرك على اختلاف صورته، والإيمان بالرسول الذين جاؤا قبل محمد (صلى الله عليه وسلم)، وما أنزل عليهم من الكتب، والإيمان بالبعث، وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الأولى، وما يكون فيها من حياة ونعيم، لمن أجابوا دعوة الله سبحانه وتعالى، ومن عذاب وجحيم لمن أعرضوا عن هذه الدعوة، ونفروا منها، واستكبروا على الله ورسوله، ثم هو يأمر الناس بأن يقيموا حياتهم على هذه الأسس، حياتهم فيما بينهم حيث يبرعون من الرذائل كلها، كبارها وصغارها، وحياتهم الظاهرة فيما يكون بينهم وبين الناس فلا يظلمون ولا يستغلون.

ثم انتهى هذا الحديث إلى قوله [٦]:

وهذا التنوع في مذاهب القول بتنوع الموضوعات والمقامات هو الذي يسميه أصحاب البيان في اللغة

عبرات من مقلة الجرح

برغم الأسى والحزن تندى حـدائقه
تؤرقه الذكرى فتعلو حرائقه
به تعبث الأيام، لكن صـبـبـه
الى حـضـنه يندو وحـبـبا يعانقه
تفـارقـه الأحـزان في نشوة المنى
وليست جنود البأس ترضى تفـارقـه
يراقصه الإصباح في ضحكة السنا
تعلله الأطياف، والليل خـانقـه

ويصفو لـقـوم لا يـصـافـونه الهوى
ويـعـطـي ٠٠ لمن يعطي وحـقـد يلاحقه؟
أيبـدون من حلو الحـديث بشـاشـة
ويخفون بالأحشاء ما الجفن ناطقه؟
يريدون أن يشـدو ويخـشـشـون صـبـقه
ويغشاهم صـمت، أترضى حـقـائقـه؟
ومن للفـتـى المـظـلوم إن سـاء دهره
تحـركـه الأنثى ويرقى مـراهمـه
سـيـبـقى مـدى الأيام بدرأ تحوطه
نجوم تـراعت كـالظلال تسـابـقه

ومن أشـمـس الأيام أن يُرغم الفـتـى
على صـحـبة الأذناب كـيـما توافقه
وربُّ أخى نبـل أضـلـl

ومن كان ذا صدق فليس بصاحب
ومن كان ذا كذب فتشجى نوايقه
وهل كل من أثنى عليه بصانع
وهل كل من قد مال للشعر حائقه؟

له صاحب لما أتاه مسيب شراً
تسمر مذهباً وشلت نوايقه
ومن كان محسباً عدواً أتى له
ببائره بالحب، والصنفوع أبغى
فليت الذي يأتي من الخير قد أتى
ليكشف مستوراً، وتعلو بوارقه
أفي وحشة الدنيا أشد على الفتى
قريب يعابيه، بعيد يصانقه؟
ستلقى كريم النفس يهمني محبة
على كل جرءاء، وبالخير طارقه
فلا يصطفى وجهها يرويه بالندى
ووجهها يماريه فجفت مهارفه
هو البؤس في أي الزمان لقيتته
فما جدت الأحياء، جدت طرائقه

ألا أيها الشاكى وفي القلب عبيرة
تريك الذي يهواك أو من تفارقته
يموت الذي يحيى على لقمة الأذى
وينساق في ذل وتبذو بوائقه
ولا بد للأحرار من وخزة الأسى
تروضهم للمجد، صعب مشارقته

حوار مع الأستاذ الدكتور جابر عصفور

شهدت انهيار المنظومة المغلقة، ومن ثم لم يعد للقرن الجديد سوى تأكيد التعددية... والمضي بنزعة التنوع البشري الخلاق إلى مداه، وقد لاحظنا بدايات هذه النزعة في العقدين الأخيرين في القرن العشرين.

وأظن أن الملمح الثالث لثقافة القرن الحالي سيرتبط بالتقدم التكنولوجي المذهل وما أفضى إليه من تنوير جذري متصاعد في أدوات الاتصال... وما سمعناه في نهاية القرن العشرين من أن كوكبنا قد تحول إلى قرية كونية صغيرة، وأن ذلك ليس سوى بداية إرهاب لما ستكون عليه ثقافة القرن الذي سيحول استخدام الإنترنت وغيره من المخترعات الموازية إلى استخدام شعبي وإن يمضي وقت طويل حتى يحدث للإنترنت ما حدث للترانزستور، الأمر الذي سيغير جذرياً من العلاقات بين المبدعين في مختلف أنحاء العالم... خصوصاً عندما يتطور شكل الكتاب المسموع والكتاب المرئي، ويصبح الإنترنت وسيلة ميسورة للجميع، وإذا كنا قد عرفنا أن التمرد على العولة في أحداث سياتل الأخيرة كان يتم بأدوات اتصال



الدكتور جابر عصفور ناقده

حضوره البارز في الواقع

الثقافي العربي... وذلك

عبر مؤلفات عديدة

أشهرها مفهوم الشعر،

ومحنة التنوير، آفاق

العصر.

ناقشنا معه عبر حوارنا

مستقبل الثقافة العربية وكيف

يمكنها أن تصل للعالمية.

*** ما هي ملامح الثقافة في القرن الجديد؟**

** لعل أهم ملمح في الثقافة في القرن الجديد أنها ستكون ثقافة السلام... لسبب بسيط مؤداه أن البشرية خسرت في القرن العشرين أكثر من مائة مليون قتيل في الحروب الدامية، فضلاً عن أن التقدم العلمي المذهل الذي انعكس على إنتاج السلاح سيجعل القادة والحكام يفكرون مئات المرات قبل أن يشعلوا نيران حرب جديدة.

أما الملمح الثاني لثقافة القرن الجديد فيرتبط بالتعددية والتنوع وأظن أن نهايات القرن الماضي



حاوره : مصطفى فوده

- عضو اتحاد كتاب مصر -

بالأدب العربي وإبداعاته في وسائل الإعلام العالمية.
ثالثاً : تدفق تيارات من الدراسات النقدية التي
تكشف عن القيم الأساسية في الأدب العربي، وتبرز
الأبعاد المتميزة لهذه القيم.

*** يرى البعض أننا نعيش فترة
انحطاط مثل عصر الماليك..
وتحصر مهمة المثقف في كونه
شاهداً على عصر هذه المرحلة..
ما تعليقكم على ذلك؟**

****** أنا مختلف مع هذا الرأي
لأننا نعيش مرحلة تحول.. ومراحل
التحول دائماً تختلط فيها الأضداد.
ومرحلة التحول هذه.. إذا استعنا
بالشعر يجتمع فيها الرمادي
والوردي، الحلم والكابوس، الشعور
بالانتصار، والشعور بالهزيمة.. هي
المرحلة التي تجتمع فيها النقاؤس.
من أجل ذلك لا تستطيع أن
تصف هذه المرحلة بأنها مرحلة
هزيمة مطلقة، أو مرحلة نصر مطلق،
لأنها تجمع بين الاثنين، وأما عصر
الانحطاط فله صفة واحدة.

| * وكيف ذلك ؟

****** لو نظرت لعصرنا بسلبيات
الى جانب ايجابياته نجد عصرأ
متقدماً جداً على زمن الماليك على
كل المستويات .. صحيح أن به
مجموعة من السلبيات.. لكن به

متقدمة منها الإنترنت، فإن هذا الجهاز الجديد
بمنظومته الاتصالية المختلفة سوف يسهم في تغيير
هذه الصورة.. وأظن أن الملمح الأخير يرتبط
بذلك.. وأعني به تحطيم المواجز التقليدية بين
الثقافات.. خصوصاً بعد أن تصل الترجمة
الإلكترونية الى الدرجة التي نتوقعها لها من التقدم.

*** سؤال يطرح نفسه مع د. جابر
عصفور.. متى وكيف يصل أدبنا
الى العالمية؟**

****** أدبنا العربي أصبح له مكانة
عالية خصوصاً بعد حصول نجيب
محمفوظ على جائزة نوبل.. والمؤكد أن
هذه الجائزة فتحت كثيراً من الأبواب
المغلقة وشجعت على تزايد حركة
الترجمة.. ويكفي أن أقول إنني منذ
عشرين عاماً.. كنت أمر على
المكتبات في العواصم الأوروبية ونادراً
ما أجد إبداعات لنا مترجمة.. ولكن
الصورة الآن قد تغيرت، فوجد
عشرات من الترجمات لعدد من
الكتاب العرب ولكن هذا لا يعني أن
أدبنا أصبح مقروءاً عالمياً، لأنه إلى
الآن لا تزال المكانة العالمية للأدب
العربي هامشية ومحدودة.. ولكي
تتسع هذه المكانة فلابد من متغيرات
كثيرة:

أولها: حركة ترجمة ضخمة على
مستوى العالم كله.

ثانيها: حركة تعريف نقدي واسعة

**** لنا في حاجة
الى نظرية نقدية
عربية.. وقريباً
يصل أدبنا للعالمية..
** وسائل الاتصال
المديشة تحطم
المواجز التقليدية
بين الثقافات
المختلفة.
** الشعر تنازل عن
عرشه وحلت مكانه
السرديات.**

**** الحروب سادت
قرناً كاملاً،
وينبغي أن يسود
السلام في هذا
القرن.**

**** التمول من
المنظومة المغلقة
الى منظومة
التعددية ضرورة
لضمان حياة افضل.**

**** انفتاح
الثقافات
وانديامها في
بعضها صيغة من
شيخ التمايش
الأمم.**

**** لكي يكون
أدبنا متروفاً لدى
الأفريين ينبغي
الاهتمام بالترجمة
ذات الأسماء
الجديدة.**

**** العمل النقدي
يصل على نقل
المجتمع من القهر
الى الحرية، ومن
التخلف الى
التقدم.**

مجموعة أيضاً من
الإنجازات الهائلة التي
لا يمكن لأحد أن
ينكرها.

*** ماذا عن العمل
النقدي بالنسبة
لجابر عصفور؟**

**** العمل النقدي**
منه مثل العمل الفكري
والإبداعي يجب أن يعمل
على نقل المجتمع من
القهر الى الحرية ومن
التخلف الى التقدم ومن
الظلم إلى العدل ومن
الإطلام الى الاستتارة.

*** يقال إن هناك
منطقة آمنة يتحرك
خلالها الناقد.. ما
المقصود بذلك؟**

**** مع اعترافنا
بأهمية حركة النقد
المنطلقة في كل مجال،
لكن لا يوجد في مجال
الأعمال الأدبية منطقة
آمنة.. لو أن النقد
حقيقي والناقد حقيقي
فليس هناك منطقة آمنة
لأن كل ممارسة نقدية
هي إعادة إنتاج جديدة
وقراءة جديدة وإذا كانت
قراءة جديدة لتأكيد هذه**

القيم التي أتكلم عنها في التحليل النهائي فهي غير
آمنة، لابد أن نصطدم في مجتمعات مثل مجتمعاتنا
بقوى تقف ضدك، إن النص الأدبي له أكثر من ألف
وجه يتحدى الناقد ويكاد يقول له: كل قراءة ستكشف
جانباً جديداً مني.. فعندما أكتب عن أمل دنقل مثلاً
حتى بعد استقراره في السياق الشعري.. فهو لا
يمثل منطقة آمنة فمن الممكن أن أدخل من خلاله في
قضايا مثل الحرية، العقل أدخل في التمرد على
السلطان.. ففي الأدب تحديداً لا توجد منطقة آمنة
بحكم أن طبيعته تمرد على الضرورة وتأكيد معنى
التقدم المتصل للإنسان، وإذا لم يكن هناك ما يسمى
بالفعل بالمنطقة الآمنة فهناك هروب من المسؤولية
النقدية.

*** كيف يرى الدكتور جابر عصفور
نقائنا الذين استخلصوا النماذج
الإحصائية بتطرف ومغالطة؟**

**** الناقد الذي يحول النقد الى عملية إحصائية
فقط لا يكون ناقداً، لأنه من الناحية الكلاسيكية ما
يسمى بالنقد التطبيقي يتضمن ثلاث عمليات
متداخلة تحليل، تفسير، تقييم، ولو دخلت
الإحصائيات فقط يمكن أن تضيء جانباً من جوانب
التحليل، لكن لا معنى مطلقاً لمقالة نقدية يقول
صاحبها إن الشاعر استخدم الفعل المضارع عدداً
محدد من المرات، فما دلالة ذلك كله وما وظيفته؟
هذا هو الأهم.**

**الأمر الثاني أحياناً ما يلجأ الناقد على سبيل
التظاهر بالموضوعة الى استخدام مصطلحات جديدة
براقة.**

*** هناك من ينادى بنظرية نقدية
غربية بدلا من السير وراء النظريات
النقدية الغربية.. كيف ترى ذلك؟**

**** لا توجد نظرية نقدية غربية ولا توجد نظرية**

**** الرواية أقدر على التقاط تفاصيل حياتنا من الشعر ***

فعشقى للشعر يبدأ منذ
الطفولة باعتباره الفن
الأول الذى تفتحت عليه
الأذن والعين والملكات
الخاصة، واستمر هذا
أقرب لقلبي من بقية
الفنون الأخرى، ورغم هذا
العشق فالناقد لابد أن يكون

موضوعياً، والذي حدث ببساطة شديدة
أن هناك تغييرات حدثت على مجتمعنا العربي بداية
بإجهاض المشروع القومى، حيث لم يكن في تلك
الفترة منافس للشعر في كونه فن العربية الأول، أما
الآن فالشاعر هبط لمكانة متواضعة أصبح رجلا
عادياً يعيش في حياة معقدة ويحاول أن يقدم
مشاعره تجاه هذا العالم المملوء بالمشاكل... ثم إن
هناك أدواراً كان يقوم بها الشاعر أصبح لا يقوم
بها، مثل الدعاية التى أخذتها منه وسائل الإعلام.

ولم يبق للشعراء إلا الدور الذاتى... هذا بدوره
أضاف حالة من حالات الغموض الذى حال بينه وبين
الشعبية الجماهيرية... فيصبح القراء أكثر ضيقاً
مما كانوا عليه من قبل... بمعنى آخر أن حياتنا
التي أصبحت تحتاج الى ادراك أعمق... والرواية
من وجهة نظرى أقدر على التقاط تفاصيل حياتنا...
لأن المجتمعات العربية لم تدخل الزمن الديمقراطى
بكل معنى الكلمة، فنحن نتكلم عن الديمقراطية أكثر
مما نعيشها فنحن نعيش في مرحلة رمادية، وهذا
مما يجعلنى أقول إننا نعيش في زمن الرواية،
والشعر اضطر أن ينزل عن مكانته بوصفه الفن
الأول الى فن مثل بقية الفنون وليس له تأثير
الماضى.

نقدية عربية، لسبب بسيط
هو أن نظريات العلم لا
تتنسب إلى قوميات
سياسية ولا تنتسب إلى
ديانات. وكما لا توجد
نظرية إنجليزية في النقد،
ولا نظرية نقدية فرنسية، ولا
نظرية هندية... فلن تكون هناك
نظرية عربية.

ولكن يمكن أن يكون هناك إنجاز عربي

في مجال النظرية ويتضافر مع غيره من
الإنجازات... ولكن بما يعنى أن النظرية ذات صفة
قومية... فالنظرية تتجاوز الأديان والقوميات، والدليل
على ذلك بسيط... موجود في تاريخ النظريات
النقدية والأدبية، إن كل نظرية هي من صنع
مجموعات من النقاد ينسبون إلى أقطار متعددة
وقوميات متعددة ومن النظريات الحديثة النظرية
البنوية، وإذا تأملنا أو راجعنا أسماء النقاد الذين
أسسوا هذه النظرية فلن نستطيع أن ننسبهم الى
بلد واحد أو قومية واحدة أو دين واحد.

النظرية تنتسب إلى مبادئها الفكرية الفاعلة
وتتميز بدرجة كبيرة من العمومية والتجربة والتجريد
تجعلها قابلة للتطبيق على عشرات الآداب المختلفة
والقوميات أو اللغات، والا ما كانت نظرية... وما
يقال عن البنوية يقال عن غيرها من النظريات
النقدية على امتداد التاريخ الى اليوم.

*** يرى جابر عصفور أننا نعيش في
زمن الرواية وليسنا في زمن
الشعر... ما المقصود من ذلك؟**

**** هذا ليس معناه التقليل من قيمة الشعر...**



بمناسبة اليوم الوطني

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل ومنسوبيها يتشرفون
برفع أسمى آيات التهاني وأجمل عبارات الأمنى إلى مقام

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي

الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وبهذه المناسبة العزيزة نبتهل إلى المولى سبحانه أن يحفظ لبلادنا الغالية دينها وعزها وأمنها في ظل
قيادة خادم الحرمين الشريفين ورعايه حكومته الرشيدة وأن تعود هذه الذكرى العاطرة عاماً بعد عام
وببلادنا في تقدم وأزدهار.

في البلاد والعمارة .. في التقاليد
والأعراف في ثقافة وحضارة
الناس، الساحة يستقر
السلام ويهدم اللوحة



اليابان لأول مرة الشرق وبلاد الشمس المشرقة





اليابان لأول مرة الشرق وبلاد الشمس المشرقة

اليه من سمة دخول وتذاكر سفر الى تلك البلاد - ولقد كنت قد زرت عدداً من دول الشرق الأقصى مثل ماليزيا وسنغافورة وأندونيسيا وكوريا وغيرها أما اليابان فقد كانت الزيارة الأولى - وفي مطار الرياض كان اللقاء برفاق الرحلة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة الملك سعود ووزارة المالية ووزارة الشؤون الإسلامية ووزارة الإعلام ولقد سعدت بصحبة هذه النخبة من الأصدقاء مع أنني سبق معرفة بعضهم والبعض كان التقائي بهم لأول مرة وكان الجميع على جانب من الخلق والود .. ولا شك أن الفائدة والمتعة في الترحال بمعية هؤلاء لا نظير لها مما أبقى لهذه الرحلة أثراً في النفس .. وبعد جلسة في قاعة المطار كان الأخوة في قسم العلاقات العامة بجامعة الإمام يغفروننا بلطفهم وحسن تعاملهم وإنجاز لوازم السفر حتى حان موعد الإقلاع من مطار الرياض وصعد الجميع الى الطائرة التي أقلت بنا متجهة الى طوكيو عن طريق «مانيلا» على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم وفي سماء بلادنا كان الطيران مريحاً لهدوء الرياح وسكون الجو، وبعد تعليمات الطيران قدم الطعام لجميع المسافرين وبعد الإنتهاء من تناوله أطفئت أنوار الطائرة فاسترخى كل واحد منا في كرسيه، بعضهم استغرق في النوم وبعضهم في

استائر أدب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً وعُني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ ومازالت الرحلات الى يومنا هذا مصدراً للتعرف على أحوال الأمم وثقافات الشعوب، ولقد زرت الكثير من البلدان في الشرق والغرب، ونشرت بالنهل هذه المجلة المرموقة والرائدة صفحات شتى من أدب الرحلات.

ويسعدني اليوم نشر هذه الرحلة الى اليابان فقد كانت تحدثني نفسي بزيارة هذه البلاد منذ أمد ولم تتحقق هذه الأمنية ولم يصدق العزم إلا في هذا الوقت ابتداءً من يوم الخميس ١٤٢٢/٢/٩ هـ حيث كان السفر من مطار الرياض في الساعة العاشرة مساءً على متن إحدى طائرات الخطوط السعودية استجابة لدعوة وجهتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للمشاركة في أعمال ندوة العلاقات الثقافية السعودية اليابانية (الواقع وأفاق المستقبل) في المعهد العربي الإسلامي في طوكيو وذلك بمناسبة افتتاح مبانيه الجديدة واستئناف نشاطه العلمي حيث يأتي هذا الحفل إيفاداً بمرحلة جديدة في نشاط المعهد وللقيام بالواجبات المنوطة به ليحقق الأهداف النبيلة التي أنشئ من أجلها .. وقد نعي لهذه الندوة عدد من الباحثين والمثقفين السعوديين وبعد ترتيب ما نحتاج

بقلم : عبدالله بن حمد الحقييل

الأمين العام الأسبق لدائرة الملك عبدالعزيز - السعودية



- المشاركين في الندوة أثناء زيارتهم للسفارة السعودية في اليابان.



- في قاعة المعهد العربي في طوكيو.



- في أحد شوارع طوكيو.

القراءة .. وللأسف فأنا من النوع الذي لا
ينام في الطائرة، فتناولت مجموعة من
الصحف والمجلات مرزداً قول الشاعر
العربي امرء القيس في مناجاته لليل:
ألا أيها الليل الطويل ألا انتجلي
بصبح وما الإصباح منك بأمل

ثم طلب منا قائد الطائرة سرعة ربط
الأحزمة لوجود مطبات هوائية وعواصف
ورياح فنحن بين طيات الغيوم والسحب ولا
غرو فنحن نتجه الى الشرق الأقصى وهناك
عواصف تجتاح الكثير من البلدان وخاصة
اليابان .. وهكذا بقينا محلقين في الجو
طوال الليل ومضت الطائرة تشق أجواء
الفضاء في هدوء مهيب تلهب في الذهن
الخيالات الكثيرة ومررت شتى الخواطر في
ذهني وعاد بي الخيال متذكراً عالم الطيران
بمحاسنه ومساوئه.

الرحلات ممتعة ومثيرة ومفيدة
والاستمتاع بقراءتها لا شك يضيف جديداً،
ولقد قال أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي محقق
لديباجته فاغترب تتجدد
فلإني رأيت الشمس زيتت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بمرمد

وبعد عبور المحيط الهادي بدأ انيثاق
اشعاع الفجر ونهضنا لتأدية صلاة الفجر



الإمام ثم ربطنا الحزام وعدلنا المقاعد استعداداً للهبوط في مطار مانيلا . . وأمام سلم الطائرة كان في انتظارنا مندوب الخطوط السعودية . . وناولناه تذاكر السفر وانطلق نحو الخطوط الجوية اليابانية لاستكمال إجراءات السفر نحو طوكيو وتجولنا في ربوع المطار مردداً قول الشاعر:

**مع في البلاد إذا أردت تعلماً
إن السياحة في البلاد تعقيد**



- مجموعة الندوة في المركز الاسلامي في طوكيو.

ولكم يشعر المرء بالراحة والسكينة بعد ذلك مردداً قول الله تعالى {سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين}، وأخذت أشاهد هذا الكون العظيم من ثقب نافذة الطائرة والذي هو من آيات الله وأتذكر المغامرين من الرحالة كابن جبير وابن بطوطة وابن فضلان والسيرافي وماركو بولو وفاسكو داجاما ثم شاهدت الجزر الفلبينية وكما هو معروف فالفلبين يضم سبعة آلاف جزيرة وهذه الجزر أخذت اسمها من الملك فيليب الثاني أحد ملوك اسبانيا الذين دخلوها مع البرتغاليين الذين ارتادوا هذه المناطق وأقاموا فيها واستقر الاسبان فيها ولذلك لا تزال اللغة الاسبانية لغة الكثير من السكان وقد نقلوا الديانة المسيحية الى هذه الجزر ولقد سبق المسلمون الإسبان الى هذه البلاد ونقلوا الإسلام الى هذه الديار وخاصة المناطق الجنوبية وخصوصاً جزيرة «مندانو» وبينما كنت مستمتعاً بمشاهدة هذه الجزر أضيت الإشارة الحمراء الخاصة بربط الأحزمة إشارة الى مرور عاصفة على المحيط الهندي والتفت الى صديقي الدكتور/ عبد الملك الشلهوب قائلاً له ما هذه العواصف والمطبات الهوائية فوق «المحيط الهندي» المعروف بهدوئه، أم لكوننا نجتاز خط الاستواء ثم اندمجنا في أحاديث جغرافية وتاريخية وإعلامية خاصة وهو استاذ الإعلام بجامعة

ويعد قضاء برهة من الوقت حيث أمضينا فترة من الراحة غادرنا مانيلا على متن إحدى الطائرات العملاقة اليابانية وبها أكثر من أربعمئة راكب من مختلف الأجناس ومواصلين الرحلة طوال ست ساعات وأخذ الزملاء في الحديث عن اليابان وتاريخها وعن كيفية صيد وصناعة وزراعة وتجارة اللؤلؤ في اليابان وحروبها وتقاليدها وفي الطائرة قدموا لنا الصحف اليابانية والطعام الياباني كما كنا نلقى البث التلفزيوني من تلفاز طوكيو مباشرة وكانت السماء ضباباً وأمطاراً ورياحاً. وتحدث إلي أحد الزملاء عن العواصف التي تجتاح اليابان وخلال الحديث طلب منا قائد الطائرة سرعة ربط الأحزمة لوجود عاصفة . . ودار الحديث في الطائرة حول هذه البلاد وكل واحد منا يتحدث عن شيء من تاريخ وحضارة هذه البلاد وصناعاتها الحديثة وأديانها ولغاتها وعن السك الحديثة فيها ومستوى المعيشة وكيف أنها مرتفعة التكاليف . . وتناولت مجموعة من النشرات باللغة اليابانية التي لا أحسنها وأقلب في النشرات دون معرفة المضمون واهتزت الطائرة بعنف استعداداً للهبوط . . كان في الاستقبال عدد من الأخوة السعوديين منهم الدكتور عبد الله السهلي مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو والاستاذ/ سعد الزويهرى

تخلف عن الأسفار إن كنت طالباً
نجاهة ففي الأسفار سبع عوائق
تذكر إخوان وفقد أحبة
وتشتتت أموال وخيفة سارق
وكثرة إبحاش وقلة مؤنس
وأعظمها يا صاح سكنى الفنادق
فإن قيل في الأسفار كسب معيشة
وعلم وآداب وصحبة فائق
فقد كان ذا دهرأ تقام عهده
وأعقبه دهر كثير العوائق
وهذا مقالني والسلام مؤد
وجرب ففي التجريب علم الحقائق

وقيل إن السفر قطعة من العذاب ٠٠ ويروى عن
الحجاج قوله: لو لا فرحة الإياب لما عذبت أعدائي إلا
بالسفر ٠٠ وقيل السفر والسقم والقتال ثلاثة متقاربة
فالسفر سفينة الأذى والسقم حريق الجسد والقتال
منبت المنايا ٠٠ وقيل السفر اغتنام لولا أنه اغتنام
والغربة دربة لولا أنها كربة ويروى عن بعض الشعراء
قوله:

لا تفترب عن وطن
وانكسر تصاريف النوى
أما ترى الفصحى إذا
ما فارقت الأصل نوى

إن المسافر مهما وجد من وسائل المواصلات
والسكن وغيره فهو يعد غريباً ولقد زخرت كتب
الرحلات وآدابها بالكثير من ذلك مما قلته للزملاء،
وتحن في قاعات الفنادق والمطار وغيرها ومع هذا كله
فهو أي السفر يجد البعض فيه متعة وفائدة ونشاطاً
وحيوية، خاصة من كان ذا هدف نبيل وغاية كريمة
وفوائد علمية وتاريخية، لقد شط بي الحديث ولتعد إلى

وعدد من الطلاب السعوديين ممن يتلقون العلم في
الجامعات اليابانية ثم توجهنا نحو الفندق وكان اسمه
«نيو تاني» الذي وصلناه بعد ساعة ونصف من السير
من المطار حيث كان سير السيارات بطيئاً رغم أننا في
الساعة العاشرة وكان مرافقنا الأخ وليد البهكلي أحد
الطلاب السعوديين في طوكيو يشرح لنا معالم الطريق
والجسور والجامعات والمكتبات والمتنزهات ومعالم
الطبيعة البارزة من الجبال والأنهار والبحيرات وغير
ذلك من المعلومات السياحية حتى لاح لنا الفندق ورأينا
على مداخله مجموعة من الجالية العربية والإسلامية
ومدير المركز الإسلامي الدكتور/ صالح السامرائي
وغيره حيث حصل التعارف والحديث عن الرحلة وقلت
إنها كانت مريحة على طولها لشوقنا إليكم مردداً قول
الإمام الشافعي:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر في الأسفار خمس فوائد
تفّرّج همّ واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

وبينما كنا مستغرقين في الحديث وعن برنامج
الحفل والنودة الثقافية وإذا بالأخوة يدعوننا لأخذ
الامتعة والصعود نحو الغرف في هذا الفندق الذي
يحتوي على ألف وثمانمائة غرفة ويتكون من ثلاثة
أبراج - وأربعين طابقاً وبه ثلاثون مطعماً وحديقة عالمية
رائعة ذكرتنا بقول الشاعر:

نزلنا بها واستوفيتنا محاسن
يحن إليها كل قلب يهواها

وصعدنا إلى الغرف وجرى توزيع برامج الزيارة
والحفل والنودة الثقافية ثم استغرقت في النوم بعد عناء
رحلة طويلة في استراحة من متاعب السفر مما ذكرني
بقول الشاعر:



طوكيو استغرقت أكثر من ساعتين شاهدنا المدينة ومعالمها ومبانيها الشاهقة ومصانع السيارات وغيرها - لقد كان يوماً حافلاً بالفائدة والمتعة والتنقل في تلك الربوع ورغم أنها كانت متعبة حيث كنا مواصلين السير إلا أنها ممتعة في تجدد المناظر والمروء على مناطق مختلفة ومشاهدة كل جديد مع المطارات الشعرية والمفاكهات الأدبية وإيراد القصص الطريفة والذكريات الجميلة وإنشاد الأشعار وأقوال الحكماء... ونزلنا من السفينة ومشينا على الأقدام لمدة نصف ساعة حتى وصلنا إلى محطات القطار وامتنطينا القطار إلى منطقة الفندق وكنا نشاهد ناطحات السحاب وبها الأحياء المختلفة وشاهدنا برج طوكيو الشاهق ومررنا ببعض الجامعات وكان الأخ إبراهيم الجردان وعبد الله القحطاني من الطلبة السعوديين يرافقاننا ويشرحان لنا تلك المعالم والمناظر ثم سرنا في جو غائم ظليل إلى منطقة «أساكوسا» ثم منطقة «أكواسيتي» وميدان سباق الخيل الكبير. وبعد جولة طويلة في أنحاء أحياء ومعالم طوكيو، انصرفنا نحو إحدى المقاهي المطلة على النهر لتناول الشاي والمطربات وكان الشاي بارداً جداً ثم غادرنا المكان قاصدين الفندق عبر عدة محطات للقطار السريع الذي يتسع للآلاف من البشر ولبثنا فترة ليست طويلة نسير في طرق مدينة طوكيو ذات الملايين الستة عشر وكان بجواري مندوب جريدة الشرق الأوسط الأخ إمام محمد إمام وقد قدم من لندن لتغطية أخبار الحفل وكانت الرحلة: لعمل مقارنة بين لندن وطوكيو من حيث المواصلات ومظهر الناس الحسن وكذا مظهر القطارات من حيث النظافة والطلاء والترتيب... وقال إن لندن أفضل بمراحل من طوكيو فقلتُ له هذه الأفضل لا

موضوع رحلتنا والحديث عن الفندق الذي أقمنا به إذ يقع هذا الفندق في وسط المدينة وهو حسن التنسيق وموظفوه في غاية الرقة وحسن الأدب والبشاشة وكل شيء نظيف ومرتب فلا تقع العين إلا على ما يستهوي النظر كما أن الغرف على جانب من التنسيق والنظافة والسعة وقد أعد فيها ما يحتاج إليه من لباس النوم وأدوات تنظيف الأسنان وآلات الحلاقة وكلها تغير كل يوم وبه عشرات المطاعم اليابانية والصينية والأوروبية ولقد كان الجو أميل إلى البرودة وكان مطراً... ونزلت في غرفة في الطابق الثامن تطل على حديقة منسقة أبدع تنسيق وغاية في الجمال كما أن المنطقة التي يقع فيها الفندق منطقة فاخرة في حي تجاري حديث... وفي الصباح خرجت مسرعاً أتجول في هذه المنطقة وبين أشجار الحديقة الخضراء.

جولة في قلب العاصمة:

وفي صباح هذا اليوم الأحد الموافق ١٤٢٢/٢/١٢ هـ توجهنا لزيارة بعض المعالم السياحية والأسواق والتجوال بالقطار لمشاهدة معالم المدينة التي يسكنها ستة عشر مليوناً أحس بينهم بما قاله المتنبي:

ولكن الفتى العربي فيها

غريب الوجه واليد واللسان

وصادف هذا اليوم الأحد يوم عطلة ومررنا بعشرات الأماكن والمنزهات وشاهدنا أجناساً متعددة من العالم فنجد الصينيين والهنود والباكستانيين واليابانيين وشتى الألوان والأجناس ثم ذهبنا إلى سوق «الإلكترونيات» بأواره المتعددة حيث توجد به التحف والمصنوعات والتلفزيونات والراديوهات والآلات الكهربائية المتنوعة والمخترعات الحديثة وكل ما يخطر على البال... ثم أخذنا سفينة تجولنا فيها وسط نهر



من المعالم السياحية في طوكيو

السكن في المناطق المستوية أو المرتفعة ارتفاعاً بسيطاً حيث تكون الزراعة ونقل البضائع أسهل بكثير ولقد لاحظت أن البيئة الطبيعية في اليابان جميلة ولكن البراكين والزلازل كثيراً ما تسبب لهم المشاق التي تعلم اليابانيون أن يتعايشوا معها - لقد لاحظت أن البحار تحيط بهذه البلاد من كل جانب المحيط الهادي في الشرق وبحر اليابان في الغرب وبحر شرق الصين في الجنوب وبحر أوكتسك في الشمال وما أعظم قدرة الله

يستطيع الانسان أن يؤكد صحتها وعمقها إلا بعد دراسات وإحصاءات ورغم أن طوكيو مكتظة بالسكان إلا أن المرء يلاحظ قلة بل ندرة ظاهرة الفبار والتلوث ولعل جوها الندي وخاصة في هذا الشهر مايو الذي يغسل مطره الأشياء ويبلد نذاه ليعبد عنها الفبار والأتربة... وخرجنا من محطات القطار نتبادل الأحاديث والانطباعات مع الأخوة الدكاترة - عدنان الوزان - خالد الحمودي - ابراهيم الزكري - عبد الملك الشلهوب - محمد الحقيطب - سمير عبد الحميد - عبد الله يحيى ، ووصلنا الفندق والتقينا ببعض الزملاء ممن ذهبوا لمناطق أخرى وقد حدثنا الدكتور/ أنور عشقي والأستاذ/ صالح السالم بانطباعاتهما للمناطق التي قاموا بزيارتها .

وذهبنا في رحلة سياحية لزينة

«هاكوني» وهي تبعد عن طوكيو ساعة ونصف الساعة وهي من أشهر

الاماكن السياحية في اليابان وبها يتابع المياه المعدنية الساخنة حيث يستحم بها السياح ومحاطة بنخيل «فوجي» وتحتوي على مجموعة من المطاعم والفنادق والملاهي - وجبل فوجي هو أعلى جبل في البلاد وارتفاعه ٣٧٧٦ متراً وفي اليابان يوجد عشر مجموع البراكين في العالم بأسره ومعظم اليابان عبارة عن جبال شاهقة بينها وديان ضيقة والواقع أن ٦٨٪ من اليابان هي مناطق جبلية وأغلب السكان يختارون



ولقد لاحظت الاهتمام بالنظافة والحرص على التنسيق والجمال بتبذع صوره وكثرة الورد والزهور - ولقد استهواني جمال الحديقة المجاورة للفندق وهي تحتوي على شلالات متعددة وبحيرة يعوم فيها البط وصنايير المياه العذبة منتشرة في كل أنحاء الحديقة وباعة المشروبات ومجموعة من المطاعم وأسراب الطيور والحمام تحوم في جوانب الحديقة وشاهدت أطفالاً يثرون لها الحب مما ذكرني بقول الشاعر العربي:

تسقط الطير حيث يلتقط الحـ
ب وتفشي منازل الكرماء

إنها حديقة تستحق الزيارة فإضافة إلى ما فيها من أنواع النباتات والأشجار فإنها منسقة تنسيقاً يسر الناظرين إلى جانب أشجار مختلفة الألوان كثيرة الأنواع ذات رائحة عطرية كما تحتوي على غابة من الأشجار والزهور الجميلة.

وفي الحديقة التقيت بأحد أبناء الجالية الإسلامية من أبناء الباكستان فحكى لي عما تتميز به هذه البلاد من وجود حيوانات فريدة حيث يوجد بها طيور وحيوانات لا توجد في أي مكان في العالم وصار يعدد أنواعها كما أنها موطن ما يتراوح بين ٦٠٠٠ نوع من النباتات المحلية كما أن لبعض النباتات معاني رمزية فمثلاً تعبر زهور الكرز عن الجمال قصير العمر وأشجار الصنوبر ترمز لصناعة الأدوية والملابس والورق والأدوات المختلفة. ومن الحديقة خرجت لمحطة القطار وهي أشبه بخلية النحل وأعداد البشر بالملايين ولكنهم في غاية الترتيب والتنظيم - ورغم أن الأشكال متشابهة والأجسام متماثلة إلا أنهم في حركة دائية ونشاط متواصل وإيمان على العمل.

لقد أمضينا يومين كاملين في جولات استطلاعية منذ بلغنا هذه المدينة منتقلين بين ضواحيها ومبانيها



- مهرجان هاكاتا ديوتاكو



- قلعة هييجي

فقد جعل في المحيط من السمك ما يشكل مصدراً هاماً للغذاء والاقتصاد في اليابان وخلال التجول في بعض الجبال رأيتها تحتوي على عدة عيون طبيعية ساخنة كما تزخر هذه البلاد بأنهار وبحيرات بديعة وتسبب لهم العواصف والأمعاصير في الصيف .. وفي الخريف فيضانات وسيول جارفة وغيرها من الأضرار كما أن الزلازل القوية التي تحدث تحت الماء تسبب أمواجاً عارمة ذات تأثير مدمر. لقد صانف وجودنا عدة اجازات حيث يطلقون على هذا الأسبوع - الأسبوع الذهبي وهو عبارة عن عدة مناسبات - هي عيد الطفل وعيد الأم وعيد الامبراطور وكعادتي عندما أزور بلاداً أحرص على الخروج باكراً في الصباح للتعرف على المدينة وحركة الناس في الصباح وما تحويه المدينة من دكاكين ومطاعم ومقاه ومواصلات

والمؤرخين السعوديين واليابانيين الذين تناولوا العلاقات الثقافية بين البلدين من خلال ١٩ بحثاً علمياً تم عرضها في خمس جلسات خلال أيام الندوة - لقد كانت بحق ندوة لتفعيل الحوار الثقافي بين السعودية واليابان وتعميق الحوار والتفاهم والتبادل الثقافي وشارك في الندوة منظمات يابانية اسلامية وخضر افتتاحها عدد كبير من الضيوف واعضاء السلك الدبلوماسي العربي والاسلامي وفي مقدمة الجميع ابن عم الامبراطور «اكيهيتو» الذي وصف الندوة والمعهد بانهما نافذة لانتفاخ اليابان على الثقافة الاسلامية وتعزيز الحوار مع المسلمين وفي الكلمة الافتتاحية أكد سفير المملكة لدى اليابان السيد محمد كبري اهتمام حكومة خادم الحرمين الشريفين بدعم هذا الصرح .. والمعهد كمنارة للمعرفة والثقافة والعلم جعل كل ذلك متاحاً للمسلمين في اليابان لترويج التبادل العلمي والتعريف بالحضارة الاسلامية وقال ان الندوة تمثل تظاهرة سعودية اسلامية ابرزت دور المملكة المركزي في بناء جسر بين طرفي آسيا يدعمه التفهم للدين والقيم والحضارة الاسلامية ومدى الاهمية التي تعلقها المملكة على اليابان في تعزيز الحوار بين الحضارات كما أن مدير الجامعة الدكتور محمد السالم أكد على اهتمام الجامعات السعودية بدعم العلاقات الوطيدة والتعاون بين العالم الاسلامي والشعب الياباني وان هذه الندوة تعتبر محوراً للعلاقات بين السعودية واليابان والاسلام في ميادين البحث ومجالات الترجمة وتأمين تطلعات الباحثين - لقد حظيت جلسات هذه الندوة بحضور متميز وتقديم بحوث بناءة وحوارات مفيدة تحقق بفضل الله من خلالها الهدف المنشود من تنظيم هذه الندوة وهو انجاز مرحلة أخرى في مسيرة المعهد لتقوية أواصر التعاون الثقافي بين المملكة واليابان واستشراف ما يمكن إنجازه من مراحل في

الحديثة وأسواقها وشوارعها وحدائقها التي تنتشر فيها وسفوح جبالها الخضراء.

جامعتنا السعودية ودورها الثقافي الرائد:

لجامعاتنا السعودية أنشطة متنوعة تحاول من خلالها تحقيق الكثير من الغايات والأهداف في الإطار الثقافي وذلك لتحقيق أهداف رسالتها العلمية بحيث تصل الى مختلف أرجاء العالم ولجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية برامج علمية تتميز بها في الداخل والخارج فقد أوجدت معاهد للجامعة في بعض الدول خارج المملكة في واشنطن واندونيسيا واليابان وموريتانيا والامارات العربية المتحدة بهدف نشر رسالة الاسلام وتعميق الحوار والتفاهم والتعاون والتبادل الثقافي - وفي إطار توثيق أواصر التعاون الثقافي بين المملكة واليابان وإتاحة الفرصة للراغبين من الشعب الياباني في تعلم اللغة العربية والتعرف على الحضارة الاسلامية قامت المملكة ممثلة في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بإنشاء المعهد العربي الاسلامي في طوكيو عام ١٤٠٢هـ، ومنذ ذلك التاريخ ساهم المعهد في تحقيق هذا الهدف من خلال البرامج التعليمية والثقافية المتنوعة التي قام بها وتحقيقا لرسالة المعهد صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على تنظيم ندوة العلاقات الثقافية السعودية في طوكيو خلال الفترة ١٣ - ١٥ صفر ١٤٢٢هـ وقام بافتتاحها معالي الأستاذ الدكتور محمد بن سعد السالم مدير الجامعة نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز وزير الدولة عضو مجلس الوزراء ورئيس ديوان مجلس الوزراء.

ولقد كانت ندوة رحبة خصبه موفقة حضرها عدد من الشخصيات السعودية واليابانية ونخبة من المثقفين



السعوديين الذين منهم العاملون في السفارة ومنهم الدارسون في الجامعات والمعاهد اليابانية وكانت جلسات جيدة اكتمل الانس فيها لأن الكلفة فيها بين الجالسين قد رفعت ولأن المودة والأخوة كانت سمة الجميع. وكانت جلسات مفعمة بالأصايد الأدبية والثقافية وحافلة بالنقاش العلمي والتاريخي.

المعهد العربي الإسلامي يستأنف نشاطه العلمي:

في مساء يوم الاثنين الموافق ١٤٢٢/٢/١٣هـ، توجهنا صوب المعهد العربي الإسلامي الذي يقع بالقرب من مقر السفارة السعودية وقد وجهت الدعوات إلى الجامعات والسفراء العرب والمسلمين والمراكز والهيئات والجمعيات الإسلامية لحضور هذا الحفل الإسلامي وبحضور الأمير «تاكامانو فوهيا» وكان الحفل بمناسبة افتتاح مباني المعهد الجديدة واستئناف نشاطه العلمي.

ويعد ثلاثة آيات من الذكر الحكيم، ألقى معالي مدير جامعة الإمام الأستاذ الدكتور/ محمد السالم كلمة استعرض فيها دور المعهد في دعم العلاقات السعودية - اليابانية وتميمتها في جميع المجالات، وكذلك دعم التعاون بين الشعوب العربية والإسلامية والشعب الياباني، مشيراً إلى أن افتتاح المعهد يمثل استجابة كريمة من الحكومة السعودية لطلب المسلمين في اليابان لسد حاجاتهم من العلوم الشرعية والعربية، ورعاية شئونهم في مختلف النواحي، وقال: إن المعهد روعي عند تصميمه أن يكون شكله دالاً على وظيفته، وأن يكون رسالة تراثية تهدف إلى تعريف المجتمع حوله بالتراث المعماري والحضاري والثقافي لبلادنا العربية والإسلامية وقيمنا الاجتماعية، كما تمت الاستفادة القصوى من أرض الموقع في حدود ما تسمح به الأنظمة. وأن المبني أنجز واستأنف نشاطه

المستقبل وهذا ما أكد عليه الباحثون بأهمية تطوير العلاقات بين الدولتين في المجال الثقافي إضافة للمجال الاقتصادي.

زيارة السفارة السعودية:

وفي صباح يوم الاثنين ١٤٢٢/٢/١٣هـ كان أول ما فكرنا فيه زيارة السفارة السعودية حيث كنا على موعد مع سعادة السفير الأستاذ الأديب/ محمد بشير كردي، فبعد أن قاربت الساعة العاشرة خرجنا من الفندق ومضينا نحو السفارة حتى وقفنا على بابها وإذا بأحد الحراس يستقبلنا بكل بشاشة ولطف يفسح الطريق لنزول سيارتنا إلى «المربأ» وصعدنا إلى الدور الرابع حيث مكتب سعادة السفير الذي وجدناه في الانتظار ومرحباً بهذه الزيارة ولقد كان استقبالا حسناً وترحيباً كريماً وأخذ في الحديث عن هذه البلاد وثقافتها وعاداتها وتقاليدها وأحضر لنا القهوة العربية والتمور السعودية والشاي الساخن وأكواباً من الشاي الياباني وألح بالدعوة للضيافة كما أطلعنا على مجموعة من الكتب وصور السفراء الذين كانوا قبله في هذه السفارة وطوال بقائنا في طوكيو كنا نلتقي به في كل ليلة لمسامرة سعادته في الأدب والشعر والدبلوماسية والتاريخ وكان حريصاً على حضور جلسات الندوة الثقافية ودعانا في أكثر من أمسية لتناول العشاء والشاي بمنزله فقلت له إنك تذكرني بقول الشاعر:

حبيب إلى الزوار غشيان داره
كريم المهيأ شرب وهو أنيب

وألقيت عدة قصائد حين كنا في مسامرة سعادته بمنزله وما قيل في مكارم الأخلاق والنخوة والشهامة والمروءة.

ولقد كانت فرصة طيبة للاجتماع بالأخوة



- ساعة الذروة في قطار طوكيو.

بالحكمة والموعظة الحسنة. كما رحب بالمشاركين من الأكاديميين والمختصين في أعمال ندوة «العلاقات الثقافية السعودية - اليابانية»، متغنياً للمؤثرين نجاح هذا الملتقى العلمي الطيب الذي يؤصل لمستقبل العلاقات السعودية - اليابانية، ومن ثم العلاقات اليابانية - العربية الإسلامية.

وقال الدكتور عبد الله السهلي، مدير المعهد العربي الإسلامي في طوكيو إن المعهد أدرك أهمية تهيئة بيئة إسلامية صالحة لأبناء الجالية الإسلامية وربطهم بمجتمعهم وثقافتهم الإسلامية، لذلك تم استحداث برنامج أسبوعي لتعليم أبناء الجالية الإسلامية اللغة العربية والدين الإسلامي، على أمل تعميم هذا البرنامج، بحيث يشمل أيام الأسبوع كلها، كما نظم المعهد برنامجاً خاصاً لأسر الجالية المسلمة، يشمل ذلك تدريس القرآن الكريم وتجويده. وأضاف الدكتور السهلي: إن ندوة العلاقات الثقافية السعودية - اليابانية التي تنظمها الجامعة ممثلة في المعهد جالياً تمثل أحد النشاطات التي اضطلعت بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من خلال المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وتعتبر خطوة مهمة نحو تحقيق أهدافه التي رسمتها حكومة خادم الحرمين الشريفين،

يحمد الله وتوفيقه شاهداً من شواهد العصر، وعلامة مضيئة يسير على هداها الساري، وحسنة من حسنات خادم الحرمين الشريفين، وعملاً من أعماله لا ينقطع.

وأوضح الدكتور/ السالم أن ندوة «العلاقات الثقافية السعودية - اليابانية: الواقع وأفاق المستقبل» تأتي من منطلق الرغبة المتبادلة بين الحكومة السعودية واليابان في دعم التعاون في ما بينهما لمصلحة الطرفين، واستجابة لحرص خادم الحرمين الشريفين وولي

العهد والنايب الثاني لرئيس مجلس الوزراء لتلبية احتياجات المسلمين والأصدقاء في اليابان، كما أنها تأتي استشعاراً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمسئولياتها تجاه تحقيق هذه الرغبة السامية، وقد حرصت الجامعة على أن تشمل محاور الندوة كل الجوانب المتعلقة بالعلاقات الثقافية السعودية - اليابانية، والإسلام في اليابان. وقد استكتب لهذه الندوة عدد من الأكاديميين والمتخصصين من الجامعة ومن خارجها لتأتي بالشكل المطلوب ووفق التطلعات إن شاء الله.

وألقي الأستاذ محمد بشير كردي، سفير المملكة العربية السعودية في اليابان، كلمة أعرب فيها عن سعاده لاستئناف المعهد العربي الإسلامي نشاطه العلمي والثقافي في اليابان، مشيراً إلى أهمية العلاقات اليابانية - السعودية وضرورة تعتينها وتطويرها لما تلعبه اليابان من دور مهم في العالم الصناعي اليوم. وقال: إن المعهد يخدم قضايا الجاليات المسلمة في اليابان، لا سيما في مجال الدعوة والتعليم، كما أنه يساهم في التعريف بالعقيدة الإسلامية الصافية والمحافظة على الهوية الدينية الإسلامية، ودعا إلى ضرورة تضافر جهود المؤسسات والمنظمات والمراكز الإسلامية في سبيل الدعوة إلى الله



في صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٤/٢/١٤٢٢هـ افتتح الدكتور محمد بن سعد بن عبد العزيز السالم، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، أعمال الندوة... وتتضمن الندوة ستة محاور تناقش قضايا العلاقات الثقافية السعودية - اليابانية: التاريخ والتطور، والإسلام في اليابان: التاريخ والانتشار، والمؤسسات القائمة هناك... ودراسة اللغة العربية والثقافة والحضارة الإسلامية في اليابان: الماضي والحاضر، والتأليف والترجمة من اللغة اليابانية واليهما في مواضيع اللغة العربية والدين الإسلامي، والمعهد العربي الإسلامي في طوكيو: النشأة والمنجزات، وجمعية الصداقة السعودية - اليابانية: النشأة والمنجزات. وتشتمل الندوة على فعاليات مصاحبة نظمتها اللجنة التحضيرية للندوة، منها: معرض لطبوعات الجامعة، ومعرض لصور ولوحات ورسوم بيانية عن الجامعة بصفة خاصة، وعن السعودية بصفة عامة، وعرض أفلام تعريفية عن الجامعات السعودية.

الأمير الأمير طوري يؤكد على أهمية العلاقات السعودية اليابانية:

ولقد أكد سمو الأمير الأمير طوري (تاكامادو نومييا نوريهيتو) أن العلاقات السعودية اليابانية تتمتع بقوة ومتانة كبيرة حرصت كلتا الدولتين على دعمها وإرساء قواعدها، وقال سموه إن البعد الجغرافي بين الدولتين حال دون تبادل ثقافي غني بينهما. لذلك نجد عدداً كبيراً من اليابانيين لا يعرفون الكثير عن المملكة وعن الحضارتين العربية والإسلامية.

وأوضح الأمير تاكامادو نومييا نوريهيتو أننا عندما نتحدث عن العلاقات السعودية اليابانية فإن تفكيرنا يجب ألا ينحصر على العلاقات السياسية والاقتصادية



- ديزني لاند/ طوكيو.

ومن المؤمل أن تخرج هذه الندوة بتوصيات وتناجح علمية تعزز من نشاط المعهد والجامعة وعلاقتها بالمؤسسات العلمية في أنحاء اليابان.

وألقي البروفيسور كاتاكورا كونيو، الأستاذ في جامعة دايتو اليابانية، كلمة عبر خلالها عن سروره لهذا اللقاء الطيب في رحاب بلاده، مشيداً بدور المعهد الثقافي والإسلامي وأثره الطيب في تحسين العلاقات اليابانية - السعودية وتطويرها في مختلف المجالات.

وتحدث في الحفل هيغوشي ميماساكا، المسئول في جمعية مسلمي اليابان، معرباً عن فرحته لاستئناف المعهد لنشاطه العلمي والثقافي والديني، داعياً إلى تضامن الجاليات المسلمة في اليابان لخدمة الإسلام والمسلمين والعمل للحفاظ على الهوية الدينية الإسلامية للمجتمع المسلم في اليابان.

يذكر أن المعهد العربي الإسلامي قد أنشئ في عام ١٣٩٨م في طوكيو، وقام بنشاط واسع في مجال تعليم اللغة العربية والدعوة الإسلامية، وخدمة الجالية العربية والإسلامية في اليابان، وتطوير العلاقات الثقافية والعلمية بين السعودية واليابان.

ندوة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو

بعنوان: «العلاقات الثقافية السعودية اليابانية رسالة ثقافية»

منهم صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وسمو نائبه صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب - رحمه الله - .

أهداف المعهد: نشر الإسلام وتعليم العربية.

أنشئ المعهد لتحقيق غايات وأهداف نبيلة من أهمها:

١ - التعريف بالإسلام ومساعدة الراغبين في الإطلاع على الثقافة العربية والإسلامية.

٢ - توثيق روابط الصداقة بين الشعب الياباني والشعوب العربية وتوطيد العلاقة بين اليابان والمملكة العربية السعودية خاصة والعالم العربي والإسلامي بعامه.

٣ - نشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها .

٤ - مساعدة المسلمين اليابانيين وغيرهم للتعرف على أمور دينهم على مقربة من إقامتهم .

٥ - ترجمة الأبحاث الإسلامية والعربية المناسبة من اللغة اليابانية وإليها .

٦ - العناية بأبناء العاملين في السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي والجاليات الإسلامية وذلك بتعليمهم اللغة العربية والدين الإسلامي وربطهم بهويتهم الثقافية .

الأنشطة العلمية، نظام الدراسة في المعهد:

أولاً: قسم الإعداد اللغوي:

(١) البرنامج الصباحي (المكثف):

وهو برنامج مفتوح للدارسين المتفرغين للدراسة من المسلمين وغيرهم، ويهدف إلى إعداد الدارسين إعداداً لغوياً يمكنهم من اكتساب قدر من المهارات

فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل النواحي الثقافية، وقال أن الندوة تطرقت لواقع العلاقات الثقافية السعودية اليابانية، وكيف يمكن أن نرتقي بهذه العلاقة ونستثمرها في المستقبل، ومن وجهة نظري أعتقد أن إيصال الصورة الحقيقية والمعلومة الصحيحة عن الإسلام والعالم العربي إلى أفراد الشعب الياباني هي الخطوة الأهم في الوقت الحاضر. وفي نفس الوقت العمل على زيادة معرفة أفراد الشعب السعودي باليابان وآسيا وسوف يسهم هذا في تعميق التفاهم والحوار بين الشعبين، هذا بدوره سيكون خطوة مهمة في دعم العلاقات وتعزيز التعاون في مجالات جديدة.

المعهد العربي الإسلامي في طوكيو مخرج حضاري ومفخرة سعودية:

إن هذا المعهد الإسلامي في هذه البلاد هو منارة عربية إسلامية وامتداد لجسر التواصل والعلاقات الحضارية الثقافية بين المملكة واليابان التي بدأها الملك عبد العزيز يرحمه الله قبل ما يزيد على ستين عاماً منذ زيارة القنصل الياباني في مصر للملك عبد العزيز في جدة بهدف إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين .

ولقد قام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس الحرس الوطني - حفظه الله - بزيارة للمعهد والتقاءه بأبنائه الطلبة السعوديين الدارسين في اليابان خلال زيارته لليابان عام ١٤١٩هـ بداية انطلاق المعهد بعد تسلم الجامعة لبنائه الجديد، وأعطته دفعة قوية لممارسة نشاطه، والقيام بالدور المناط به حيث تم افتتاح المصلى للمصلين، واستأنف نشاطه في الدعوة والإرشاد والدروس العلمية.

كما سبق للمعهد أن شرف باستقبال عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء في سنوات مضت . .



الساعات المقررة: ست ساعات أسبوعياً بمعدل ساعتين في اليوم، لمدة ثلاثة أيام موزعة على المقررات الدراسية فيه.

الشهادة الدراسية التي تمنح للدارس في البرنامج غير المكتف:

(١) يمنح الدارس بعد إكماله الدورة بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (إفادة حضور).

(٢) يمنح الدارس بعد إكماله مرحلة الدبلوم بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (نظام سنة واحدة).

ثانياً: مركز البحوث والترجمة والعلاقات الثقافية:

ويضم هذا القسم مكتبة متخصصة في العلوم العربية والإسلامية، وذلك لخدمة الباحثين وطلاب العلم وتزويدهم بالمصادر الموثوقة، وتسهيل الطريق أمامهم للاطلاع على الثقافة العربية والإسلامية، ويهدف هذا القسم إلى:

- ١ - إجراء البحوث والدراسات اللغوية والتربوية الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير العرب والإشراف على التخطيط لها.
- ٢ - بحث المشكلات اللغوية والتربوية والتعليمية التي تعاني منها المدارس العربية والإسلامية في اليابان.

٣ - المشاركة في وضع أسس علمية لتأليف الكتب الدراسية وإعداد الوسائل المعينة المناسبة.

٤ - إصدار النشرات ونشر البحوث الخاصة في هذا الميدان.

٥ - تنظيم الدورات والحلقات الخاصة في المجالات السابقة.

٦ - إجراء البحوث التي تساعد على التعرف بالإسلام ومساعدة الراغبين في الإطلاع على الثقافة الإسلامية.

الإنسانية في فهم اللغة العربية المنطوقة والمقررة، وتحقيق قدر من الاتصال اللغوي في مجال الحياة اليومية، والقدرة على التعبير الشفوي والتحريري والقراءة الصحيحة والتعرف على الثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

ومدة الدراسة فيه: سنتان دراسيتان، وعدد مستوياته الدراسية: أربعة مستويات مدة كل مستوى خمسة عشر أسبوعاً، وعدد الساعات المقررة: عشرون ساعة في الأسبوع، موزعة على المقررات الدراسية فيه.

الشهادة الدراسية التي تمنح للدارس في البرنامج المكتف:

(١) يمنح الدارس بعد إكماله الدراسة في المستوى الثاني بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (نظام سنة واحدة).

(٢) يمنح الدارس بعد إكماله الدراسة في المستوى الرابع بنجاح: دبلوم الإعداد اللغوي (نظام سنتين).

(٣) التوصية بإتاحة الفرصة للدارس الحاصل على دبلوم الإعداد اللغوي - نظام سنتين - بتقدير جيد جداً على الأقل لمواصلة دراسته في الجامعة.

ب) برنامج الدورات اللغوية المسائية (غير المكتف): وهو برنامج مفتوح للدارسين غير المتفرغين للدراسة من المسلمين وغيرهم، ويهدف إلى ما يهدف إليه البرنامج المكتف، مع مراعاة ظروف الدارسين وما يناسبهم من أوقات، ومدة الدراسة فيه: سنتان دراسيتان، وعدد مستوياته الدراسية: أربعة مستويات هي:

(الدورة المبتدئة - الدورة المتوسطة - الدورة المتقدمة - مرحلة الدبلوم «نظام سنة واحدة»).

مدة كل مستوى خمسة عشر أسبوعاً، وعدد

لجنتين: إحداهما لجمع الزكاة وتوزيعها على مستحقيها
والثانية لرؤية الهلال.

هـ ينظم المعهد نشاطات للطلاب السعوديين في
اليابان ويقدم لهم التسهيلات ويرسل إليهم الصحف
والمطبوعات والكتب لربطهم بوطنهم وهويتهم الدينية
والثقافية.

الشعر السعودي يصدر في مساء طوكيو:

خلال حفل العشاء الذي أقامه سعادة سفير خادم
الحرمين الشريفين لدى اليابان في نادي طوكيو
السيد/ محمد بشير كردي تكريماً للمشاركين في
الندوة الثقافية وكان حفلاً شائقاً تبوّلت فيه الأحاديث
والحوادث والمناقشات العامة ثم أقيمت أمسية شعرية
سعودية شاركت فيها بالقاء مختارات من قصائد
ديواني «شعاع في الأفق» كما شارك الدكتور/ أنور
عشقي بالقاء مجموعة من القصائد وقد أدار هذه
الأمسية الشعرية الأستاذ/ عبد الملك الشلهوب استاذ
الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد
وجدت صدق طيباً من الحاضرين حيث صدح الشعر
السعودي في هذا النادي العريق وهذه البلاد الممتلئة
بالورود والزهور والخضرة والنصرة والأشجار فهي
بلاد الشعر لمن أراد أن يتغنّى بالشعر وينشده..
واليابان كما يبدو لي تملك تراثاً شعرياً مزدهراً..
فالفنون بمختلف أنواعها تتمتع بشعبية كبيرة وتجذب
أعداداً غفيرة من الجمهور في المهرجانات الشعبية كما
يتمتع المسرح الحديث بشعبية كبيرة ويعرض في
مسارح طوكيو مسرحيات أدبية كثيرة من بينها أعمال
لشكسبير وغيره من مشاهير الكتاب والأدباء وقد
حدثنا بعض الأخوة أن هناك ثلاثة أشكال تقليدية
للمسرح الياباني ويرتدي الممثلون أقنعة وملابس على
الطرز القديم وينشدون أشعارهم وهم يتحركون ببطء
شديد.

٧ - ترجمة الأبحاث العربية والإسلامية المناسبة من
اللغة اليابانية وإليها.

٨ - تقوية العلاقات الثقافية بين المعهد والمؤسسات
التربوية المماثلة داخل اليابان، وكذلك تبادل الخبرات
في مجال تعليم اللغة العربية لغير العرب، وفي مجال
الدراسات الإسلامية.

٩ - تنظيم المحاضرات والندوات والأمسيات
الثقافية.

١٠ - إصدار مجلة دورية خاصة بالمعهد تعمل على
تحقيق أهدافه.

١١ - تقديم الثقافة العربية والإسلامية بمختلف
صورها بالطرق المسموعة والمرئية والمكتوبة لأبناء
اليابان بكل الوسائل الممكنة.

إسهامات المعهد:

بالإضافة الى الخدمات التعليمية، للمعهد
إسهامات عديدة من أهمها:

١) مصلى المعهد: وتعتبر هذه الخدمة من أجل
الخدمات التي تقدم للمجتمع وخاصة القطاع الإسلامي
- في اليابان فقد انتقلت صلاة الجمعة الى مصلى
المعهد منذ مدة طويلة وصارت إمامة هذا المصلى
وإعداد الخطب وترجمتها الى اليابانية والإنجليزية
والأردية من صميم أعمال المعهد، ومثل هذا الأمر في
إقامة صلاة العيدين والمصلى مفتوح لإستقبال
المسلمين في أي وقت.

٢) مكتبة المعهد: وتقدم خدماتها للباحثين في شتى
المجالات، كما تزود المسلمين اليابانيين بنسخ من
ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اليابانية.

٣) أصدر المعهد بالاشتراك مع المركز الإسلامي
(دليل المسلم في اليابان).

٤) شكل المعهد بالاشتراك مع المركز الإسلامي

أيام عربية في شبه القارة الهندية

ندوة الأدب العربي في المغرب

الأدب المغربي. وتأتي هذه الندوة بدافع من الفراغ الخفيف الذي تعانيه المكتبة العربية بخصوص الحركة الفكرية والأدبية والثقافية في بلاد المغرب العربي. وأضاف بأن هذه الندوة ستعبد من جديد فتح باب «المناقشة» بين المنطقتين العربية والهندية. وكان الدكتور/ محمد إقبال حسين قد سلط الضوء على البرامج التعليمية التي يدرسها مركز الدراسات العربية وهي برامج الماجستير والدكتوراه في الآداب العربية.

بعد ذلك ألقى البرفسور الدكتور/ برامود تلفيري رئيس المعهد المركزي للغة الانجليزية واللغات الأجنبية في الهند كلمة رحب فيها بالحاضرين الذين اكتظت بهم قاعة المؤتمرات بالمركز. وقال إن هذه الندوة تدشن لفتح باب جديد للعلاقات الثقافية بين العرب والهند.

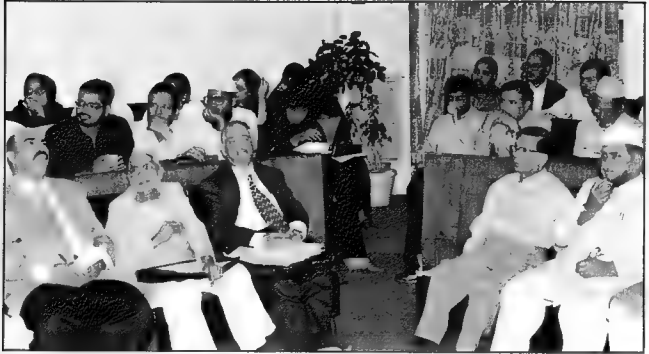
وقد أشاد بالثقافة العربية التي أثرت في ثقافة الأمم الأخرى في الهند وكذلك أوروبا، وقال إن حضارة أوروبا الحديثة مدينة للثقافة العربية التي استوطنت الاندلس وحركة الترجمة التي انتقلت من بغداد إلى إسبانيا في القرن الثالث عشر.

ثم ألقى الدكتور/ محمد شميم الجيراجيوري

احتضنت مدينة حيدر آباد في دولة الهند فعاليات ثقافية وأدبية حول الأدب العربي المغربي في القرن العشرين خلال الأيام ٢٠ - ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٠م. وقد أعد لهذه الندوة ونظمها مركز الدراسات العربية التابع للمعهد المركزي للغة الانجليزية واللغات الأجنبية في الهند وقد شارك في هذه الندوة وفود عربية من دول الأردن والجزائر والمغرب وتونس، إضافة إلى مشاركة العديد من اساتذة الادب العربي في الجامعات الهندية.

الافتتاح :

في تمام الساعة العاشرة صباحاً من يوم ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٠م تم افتتاح الندوة الدولية عن (الأدب العربي المغربي في القرن العشرين) في مدينة حيدر آباد الهندية. وفي بداية الاحتفال ألقى الدكتور/ محمد إقبال حسين رئيس قسم الدراسات العربية في معهد اللغات الأجنبية في الهند كلمة رحب فيها بالوفود المشاركة التي تحملت مشاق السفر وعناء الترحال للمشاركة. وقد تطرق في كلمته إلى أهمية هذه الندوة كونها تتعقد في شبه القارة الهندية التي تتعبد آلاف الأميال عن الوطن الذي ترعرع ونشأ فيه



- جانب من جلسات الندوة -

بعد ذلك ألقى الدكتور/ عبد الله العلوي استاذ التعليم العالي في جامعة سيدي محمد بن عبد الله في المغرب كلمة شكر فيها منظمي هذه الندوة التي انصفت الأدب (المغاربي) من ظلم (المشرقية) على حد قوله.

نعاليات وجلسات الندوة:

وبعد استراحة قصيرة تناول فيها جميع المشاركين المشروبات والأطعمة الخفيفة... توجه الجميع الى قاعة المؤتمرات وبدأوا الجلسات العلمية لاستقراء المشهد الأدبي في بلاد المغرب العربي. وقد كانت المداولات على امتداد ثلاثة أيام متتالية ناجحة

رئيس جامعة مولانا أبو الكلام آزاد الوطنية كلمة ألقى فيها الضوء على بعض محطات تطور الأدب العربي بصفة عامة. وقد استشهد بالعديد من المواقف التي تعكس اهتمام العرب بالعلم والعلماء في الماضي والحاضر.

ثم كانت كلمة الوفود المشاركة فقد ألقى الدكتور/ ماجد الجعافرة - الأردن - كلمة أشاد فيها بأهمية هذه الندوة الدولية. وكلمة أخرى القاها المفكر العربي الكبير الدكتور/ عبد الله حمادي الاستاذ في جامعة قسنطينة في الجزائر. وقال لقد جئنا الى هنا مجددين الحوار الحضاري الذي بدأ بين العرب والهند منذ الماضي السحيق في عهد ابن بطوطة وابن خلدون وابن رشد.

اللغة العربية، الجامعة المالية الاسلامية، دلهي الجديدة
(الهند).

- قضايا سياسية اجتماعية في روايات مغربية.

٦ - الأستاذ الدكتور يوسف ابو العدوي، جامعة
اليرموك، اربد، الأردن.

- جهود حمادى صمود النقدية والبلاغية.

٧ - الأستاذ الدكتور اي كي أحمد كتي، جامعة
كاليكوت، كاليكوت (الهند).

- مقدي، زكريا: شاعر الثورة الجزائرية.

٨ - الأستاذ الدكتور محسن العثماني، جامعة
دهلي، دلهي (الهند).

- تطور الأدب العربي في المغرب.

٩ - الأستاذ الدكتور منظور أحمد خان، جامعة
كشمير، كشمير.

- استعراض ونقد الرواية: المعلم على لعبد
الكريم الغلاب.

١٠ - الأستاذ الدكتور عبد الله حمادى، جامعة
منتورى، قسنطينة، الجزائر.

- الأدب الجزائري الحديث منطلقاته وأبعاده.

١١ - الأستاذ الدكتور محمد اسلم اصلاحي:
جامعة جواهر لال نهرو، دلهي الجديدة (الهند).

- عناصر الوطنية في الشعر العربي الحديث في
المغرب.

١٢ - الأستاذ الدكتور حبيب الله خان، الجامعة
المالية الاسلامية، دلهي الجديدة (الهند).

- تاريخ الأدب التونسي.

ومثمرة. فقد شهدت جلسات الندوة السبع نقاشات
جادة تناولت تطورات الأدب المغاربي في القرن
العشرين بفتونه المختلفة (شعراً، نقداً، نثراً) وكذلك
القصة والرواية. وفيما يلي تقدم المحاور الرئيسية
التي تناولتها الندوة ومواضيعها:

ونذكر هنا بعض الفعاليات الثقافية لهذه الندوة:

١ - الأستاذ الدكتور عبد الله بنصر العلوي -
استاذ كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة فاس،
المغرب.

- التواصل الابداعي بين شعراء المغرب العربي
الموقف والأداء.

٢ - الأستاذ الدكتور/ سيد اجتباء الندوي - دلهي
الجديدة (الهند).

- الحركات الاسلامية وتأثيرها في الأدب
التونسي.

٣ - الأستاذ الدكتور/ ماجد الجعافرة، نائب
عميد كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.

- تلقى المغاربة ليدوان أبي الطيب المتنبّي
وشعره.

٤ - الأستاذ الدكتور/ زبير أحمد الفاروقي، قسم
اللغة العربية، الجامعة المالية الاسلامية، دلهي الجديدة
(الهند).

- الشعر الجزائري من عهد الاستعمار الى بداية
النهضة.

٥ - الأستاذ الدكتور/ شفيق أحمد خان، قسم



في الصورة من اليمين: د. الحمادي - د. محمد اقبال - د. تلفيري - د. شميم -
د. عصمت - د. العلوي - د. الجعافرة - د. العدوس

١٧ - الأستاذ عبد المجيد، كلية الآداب والعلوم
متل، كيرالا، (الهند).

- تأملات في حيات أبي القاسم الشابي.

١٨ - الأستاذ الدكتور سيد جهانكير، الجامعة
النظامية حيدر آباد (الهند).

- تأثير شوقي وحافظ على الأدب التونسي في
القرن العشرين.

١٩ - الأستاذ الدكتور عبد المجيد، الجامعة
العثمانية، حيدر آباد (الهند).

- تطور الشعر العربي الحديث في الجزائر.

٢٠ - الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم رحمة الله،

جامعة كاليكوت، كاليكوت (الهند).

- أبو القاسم الشابي، سعي بين سطوره

النثرية.

١٣ - الأستاذ الدكتور ولي اختر، جامعة دلهي،

دلهي (الهند).

- القصة في المغرب.

١٤ - الأستاذ الدكتور عبد الباري، جامعة

عليكره الاسلامية، عليكره (الهند).

- الحركة السنوسية.

١٥ - الأستاذ الدكتور ابو سفيان اصلاحي،

جامعة عليكره الاسلامية، عليكره (الهند).

- الاستعمار الفرنسي وجماعة العلماء في

الجزائر.

١٦ - الأستاذة الدكتورة قمر النساء: الجامعة

العثمانية حيدر آباد (الهند).

- تطور الشعر العربي الحديث في المغرب.



١٠٠ - جانب من الفتوة والحضور.

٢٥ - الأستاذ الدكتور الحافظ سيد: بديع الدين

الصابري، الجامعة العثمانية، حيدر آباد (الهند).

.. الشعراء البارزون من بلاد المغرب في القرن

العشرين.

٢٦ - الأستاذ الدكتور محمد افتخار مسعود:

الكلية الحمديّة، بوفال . الهند).

١٠ - الشعور المغربي ضد الاستعمار الفرنسي.

٢١ - الأستاذ كرامة الله بهمنى، الكلية الجديدة،

مدراس (الهند).

.. القصة القصيرة في الأدب العربي في المغرب.

٢٢ - الأستاذ الدكتور محمد مصطفى شريف:

الجامعة العثمانية، حيدر اباد (الهند).

- وقفة مع محمود المسعدي التونسي.

٢٣٠ - الأستاذ الدكتور جمال الدين: كلية الآداب،

مَثَلٌ، كِيرَالَا، . (الهند).

- ملامح الرومانسية في شعر أبي القاسم

الشیابی.

٢٤ - الأستاذ الدكتور أحمد سعيد: كلية فاروق،

کیرالا (الهند)۔

- عناصر الوطنية في شعر أبي القاسم

الشابي

وقد بذل المشاركون جهوداً كبيرة في سبيل

تشریح المشهد الأدبی المغاربی فی القرن العشرين

بمختلف بلدانه وفنونه حيث كانت أيام الندوة عرساً

عريباً ليس للأدب المغربي وحده ولكن للأدب العربي

بصفة خاصة واللغة العربية بصفة عامة.

وفي ختام الندوة صاغ المشاركون توصيات

على المراكز المهمة بالثقافة العربية في الهند.

٧ - ضرورة ربط مركز الدراسات العربية في المعهد المركزي بعلاقات مع كليات الآداب بالجامعات العربية، ومراكز البحوث قصد توفير التواصل، وتبادل المطبوعات.

٨ - ضرورة عقد المعهد المركزي لاتفاقيات مع الجامعات العربية لتبادل الأساتذة الزائرين، واستقبال طلبة الدراسات العليا.

٩ - إنشاء كرسي للأدب المغاربي خاص بالدراسات العليا في هذا المركز.

١٠ - ضرورة الاتصال بالمنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، والمنظمة الإسلامية للترجمة والعلوم والثقافة لتزويد المركز بالمطبوعات والمساعدات المادية لتمكينه من أداء رسالته، والتكفل بتقديم بعض المنح لطلبة الدراسات العليا بقسم اللغة العربية بالمركز، وعموم الباحثين في الجامعات الهندية.

١١ - ربط المعهد بعلاقات مع المؤسسات الأدبية الرائدة في العالم العربي مثل (مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين بالكويت، ومؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية بدبي، والمجمع الثقافي بأبوظبي، وأكاديمية الملكة المغربية بالرباط، ومؤسسة عبد الحميد شومان بالأردن، والمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، والاتحاد العام للكتاب العرب، والمجمع اللغوية العربية بدمشق والقاهرة وعمّان و بغداد، وبيت الحكمة بتونس، وبيت الشعر بتونس، والجاحظية بالجزائر، وبيت الشعر بالمغرب).

هامة تتعلق بموضوع الندوة في سبيل تعزيز التواصل بين مركز الدراسات العربية والجامعات العربية الأخرى خدمة للثقافة بشكل عام.

وفيما يلي التوصيات التي انبثقت عن الندوة:

١ - رفع آيات الشكر والثناء الى وزارة تنمية الموارد البشرية (قسم التربية والتعليم)، والمجلس الأعلى للجامعات الهندية (U.G.C.) ورئيس المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية البروفسور برمود تلغيري، ورئيس مركز الدراسات العربية بالمعهد الدكتور محمد إقبال حسين.

٢ - تأسيس جماعة الباحثين في الأدب المغاربي تابعة لمركز الدراسات العربية في حيدر أباد (تتبادل فيما بينها المنشورات والمطبوعات) وتكون المتابعة للدكتور محمد إقبال حسين مدير المركز.

٣ - عقد هذه الندوة بشكل دوري.

٤ - إنشاء مكتبة عربية عامة في المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدر أباد بمساعدة السفارات العربية، وجامعة الدول العربية، بهدف تزويد قراء العربية بالصحف والمجلات والمؤلفات الجديدة، ومخاطبة الجهات المختصة لتنفيذ هذه الفكرة.

٥ - تكليف المركز بوضع دليل بيبليوغرافي للمكتب العربية الموجودة بالمؤسسات الهندية وتعميمها على المؤسسات المختصة، على أن يوفر نسخاً منها لدى الباحثين المهتمين.

٦ - جمع أعمال هذه الندوة ونشرها وتوزيعها

قراءة في سيرة عبد الله بن حمد الحقييل

- اعتاد الشيخ الوجيه الأديب عبد المقصود محمد سعيد خوجه أن يقيم (اثنيية) تكريمية احتفالية يكرم فيها أعلام الفكر والادب، واعلام العلماء والمثقفين والشعراء.

وكان من المكرمين المختفى بهم في (اثنييته) المؤرخ الاديب الشاعر الاستاذ عبد الله بن حمد الحقييل وذلك في ١١/٦/١٤١٦هـ. وقد كتب هذه الكلمة والقهاها في ذلك الحفل الاستاذ الدكتور عبد الله البراهيم العسكرة. تكريماً وتقديراً للشيخ الحقييل.

المنهل

إن سرد السيرة الذاتية أمر أصبح الناس معه في شغل شاغل. كنا في الماضي نطلب سير الرجال والعظماء والرواد، نستلهم التجارب، ونخلق معهم في الأمانى والأحلام. كانت السيرة الذاتية لأولئك النفوس صابغة معبرة تجمع بين العلم، والأخلاق والأدب. واليوم أظننا زمن أصبحت السيرة الذاتية تكتب للشهرة والانتشار والكسب المادي، وأضحت ممزوجة بشيء غير يسير من التزييق والتزييف. لعل هذه الخواطر كانت تراوطني، عندما وددت التحدث عن الأخ عبد الله الحقييل، وعن انتاجه الأدبي في ليلة تكريمه، من قبل رائد من رواد هذا التقليد العريق، وفي ليلة ثقافية اسبوعية كريمة وهو تقليد كاد أن يدرس، وقد كان ملء العين والبصر في ثقافتنا العربية والإسلامية، وقد

بقلم: د. عبد الله البراهيم المسكر

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود - ونائب رئيس الجمعية التاريخية السعودية



عبدالله الحقيلى



محمد حسين زيدان

صاحبنا. وقد عرفت هذه المحطات من خلال ما قرأت له، ثم تأكدت عندي عندما لقيته وخبرته. لقد عرفت صاحبنا قبل أن ألقاه بزم طويل، وهذا أمر مستغرب، لكن الأغرب انني أعرف أباه وأعرف بعضاً من إخوته، ومع هذا لم يحصل لي شرف لقياه والقرب منه، إلا منذ سنوات قليلة.

وقبل أن ألقاه كنت مأخوذاً بأسلوبه البسيط في الكتابة، وكنت مشدوداً

لبعض قصائده المعيرة، قرأت

له أول ما قرأت كتاباً عن رمضان؛ وهو من الكتب الطريفة في موضوعها، والطريفة في تناولها، أظن عنوانه (رمضان عبر التاريخ) وقد رسخ هذا الكتاب في ذهني، لأنه أنقذني من موقف صعب، ذلك أنني احتجت لمعرفة الاسم الذي يطلقه الدمشقيون على الزمة الخلوية التي اعتادوا أن يقوموا بها قبيل دخول شهر رمضان المبارك كتدويع لأيام اللهو والمرح، واستقبال أيام العبادة والفرح، وقد أعياني البحث والتنقيب، وكنت أعرف أن للكاتبة السورية سهام ترجمان كتاباً اسمه (يا مال الشام) ففزعته له لعلمي أجد ضالتي، وخاصة أن صاحبته من المحبين

كان معلماً من تقاليد أرض الحجاز الطيبة، وإن شئت فأنظر في كتب الرحلات التي قصدت الحجاز، لترى صدق ما عنيت، ويرهان ما أدبت. لذا فإنني أحمد للأديب الوجيه الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه، عنايته بهذا التقليد، فهو والله ابن بجنتها، وسليل أرومتها.

ولعل مثل هذه الخواطر كانت تراود صاحبنا أيضاً، الذي سبق أن كتب مقالة عنوانها (السيرة الذاتية) وفيها يرد على الأديب أسامة الألفي عندما شغ على السير الذاتية المعاصرة. وكان مما قاله صاحبنا ما نصه «إن السيرة الذاتية فن من أجمل فنون الأدب، وأكثرها قبولاً ورواجاً» هكذا ينظر صاحبنا إلى السيرة الذاتية، وأنا الليلة أتحدث عن سيرته الذاتية، فليت شعري أنى لي أن أجعل حديثي فناً من أجمل الفنون. وأنا لا أملك أدوات الصنعة، ولكن ما ساقوله لن يتعدى ما خبرته عن صاحبنا، وعن ما أذاعه هو في كتبه ومقالاته.

ونحن لن نورد ما اعتاد الناس على سماعه من السير من مثل بطاقة صاحبنا الشخصية، ولن نستعرض أعماله الكثيرة، وإن مر معنا شيء من هذا وذاك، فهو مرور السانحة للمناسبة، ولكننا سنقف عند محطات ثلاث أحسبها من أبرز ما يميز



عبدالله بن خميس



عبدالمقصود حوجة

(فسحة).

للشام، المتيمين بثرات
الدمشقيين. وخاب ظني،
وأرشدني أحدهم الى كتاب
الحقيل، واستبعدت أن أجد
فيه ما قصر عنه كتاب
(يامال الشام) وكانت
المفاجأة إذ وجدت ما نصه:

(تكريزة رمضان) يقول
الحقيل عنها (هي نزهة تقوم
بها العائلات أو جماعات
الشباب الى مناطق الغوطة
ويقنن والربوة والمقسم
وغيرها من الاماكن الجميلة،
ويقولون عنها أنها وداع

نعود إلى ما ذكرناه بخصوص المحطات، فاقول
إنها ثلاث: الأولى: أسلوبه. والثانية: ثقافته
الموسوعية. والثالثة: تميزه بأدب الرحلات.

أما الأولى: فقد كفانا صاحبنا مؤونة البحث
والاستقصاء. فقد كنت أعرف له كتيباً في مادة
الانشاء أسمه (المفيد في الانشاء)، وهو كتيب صغير
في مبناه، كبير في معناه، وكان الشيخ حسن آل
الشيخ، وزير التعليم العالي الراحل من المعجبين بهذا
الصنف من التأليف، وقد قدم له وأثنى عليه.
والمتمعن لهذا الكتاب يجد دون مشقة ركائز أسلوب
صاحبنا، وهي ركائز ثلاثة: (الوضوح - القوة -
الجمال) هذه الثلاثة تجدها واضحة في كل كتاباته
وأحاديثه.

كما أننا لا نبالغ إذ قلنا إن تلك الركائز تدل على
ثلاث نزعات تأصلت وتجزرت في قلب صاحبنا
وعقله. فالوضوح يدل على نزعة العقل والعقلية،
والقوة تدل على نزعة الشعور المتدفق، والجمال يدل
على نزعة الذوق السليم، ولعمري لكاتب يملك هذه
الركائز وما يقابلها من نزعات، لقمين بتملك ناصية
البيان والاتقان. ولقد أطلعت على نماذج متعددة من
كتابات، فما وجدتتها تخرج عن القاعدة الذهبية التي
سنتها لنفسه. فأسلوبه واضح، وهو دلالة على أنه
يتناول ما يكتب بعقلية متسقة، وأسلوبه قوي، ولكنه
قوة الإبانة، لا قوة الجزالة اللفظية، التي قد تأخذ
صاحبها الى أن يتقعر أو يتكلف. وهذه القوة التي
لدى صاحبنا وليدة الشعور المتدفق، تجاه ما يتناول
من قضايا تخص الانسان وفكره، وأسلوبه أيضاً
جميل، وفي جماله لا يستورد الألفاظ قسراً، أو يزين
الجمال بكلمات مزوقة، بل جمال يدل على ذوق وملكة
متأصلة. وفي هذا الصدد يقول عنه الأديب الشيخ
عبد الله بن خميس ما نصه: (أديب بارع ذواق، لا
نشان في تعبيره، ولا تكلف في لفظه، ولا مبالغة.
تغلب عليه النزعة الأدبية، فيقطع عرْضَهُ بشارد من
الشعر أو سائر من الأمثال أو مأثور من الحكم).

أما المحطة الثانية فهي ثقافته الموسوعية، وأتذكر
لواجد تلك الصفة واضحة وجلية في المواضيع التي
طرقها، وفي المقالات التي كتبها، وفي المحاضرات
التي ألقاها. وإن كانت كتابات صاحبنا لا تخرج عن
دائرة الاجتماعيات والانسانيات، إلا أنه يلمس أحياناً
مواضيع علمية ذات صلة بهذه الأرض وانسانها.
وقد يطول بنا استعراض أمثلة عن ثقافته الموسوعية،
ولكن هذه بعض عناوين المقالات والمحاضرات التي
شغلت باله وكتب عنها: (التربية ودورها في المجتمع،

أن الانفتاح على ثقافات الآخرين والسياحة في الأرض، هي بأبسط عبارة وأسهل إشارة، كالنحلة تأخذ من كل زهرة رحيقاً.

وشغف صاحبنا بالترحال، وقد تهيأت له فرصة، لا يقاربه شغف، وقد طالعت كتابه (رحلات وذكريات) وكتابه (صور من الغرب) وكتابه (رحلات الى الشرق والغرب) وخلال مطالعاتي لكتب الرحلات هذه، تذكرت قول أبي تمام عن السفر والترحال:

كلُّن به شوقاً إلى كل جانب
من الأرض أو صفناً على كل جانب

ليت شعري كيف استطاع صاحبنا أن يجمع شتات الأرض في ثلاث كتب، وليس في مقتوري أن أعرض لكل سفراته ورحلاته، ولكنني أعرض لكم صورة وجدتها سائدة وغالبة على كل كتب رحلاته، وأسمي هذه الصورة (بأدب الرحلات). نعم لم يكتب صاحبنا بوصف الرحلة والوسيلة، أو التحدث عن البلد وأهله، لكنه يضيف أدباً، فلا تمر سائحة إلا سجلها، ولا تعبر خاطرة إلا قيدها، ولا يرى منظراً إلا نكَّره بأخر، ثم هو ينقلك من الوصف إلى دوحة الشعر، الذي اختير بعناية ليعبر عن مكتون نفسه، أو ليعينه على استدعاء ذكرى، أو ليقرب له وصف البلد الذي يزوره. ثم هو يمزج رحلاته بالشعر مزجاً، يجعلك تظن أن هذا البيت أو تلك القصيدة، إنما قيلت في هذه المناسبة، أو تلك التجربة، أو هذه الرحلة. وهذا الاستشهاد وهذا الانتخاب يدل على ذوق وعلم كثيرين.

وفي وصفه للبلاد التي زارها، أو للعباد الذين قابلهم يستلهم التاريخ الإسلامي، ويعود القهقري لا يلوي على شيء. وأكد أجزم أن صاحبنا شغوف

بمجامع اللغة العربية ورسالتها، التربية والحضارة، دور المصادر في تطوير المعرفة، نحو تعليم إسلامي، دور المكتبات، التربية والاخلاق، تأثير سلوك الآباء على الأبناء، الامتحانات المدرسية، التعليم المبرمج، الكتاب المدرسي، التخطيط التربوي، الخط العربي من أبرز فنوننا الجميلة، نحو مستقبل أدبي، رعاية الشباب، مجالس العلم، دور الملك عبد العزيز في إحياء ونشر التراث العربي الإسلامي، الصلات التاريخية بين الدولة العثمانية ودول الخليج العربي، ظاهرة توطين البادية، تراثنا المخطوط في مكتبات ومتاحف العالم، أحمد بن ماجد رائد علم البحار، الاعلام والأدب، أهمية تعريب المصطلحات العلمية) هذا فيض من غيض. وقد جمع صاحبنا مقالاته ومحاضراته ونشرها في عدد من إصداراته من مثل (في التربية والثقافة) المنشور سنة ١٣٩٢هـ، وكتاب (على مائدة الأدب) المعاد نشره في سنة ١٤١٢هـ، وكتاب (الشذرات) المنشور سنة ١٤١٠هـ.

إن المتتمعن في عناوين تلك المقالات والمحاضرات، ناهيك عن المتتمعن في مضامين وحجج صاحبنا ومعالجاته لتلك المواضيع، لواجد أن صاحبنا يأخذ من كل علم وفن بطرف، والأهم أنه سخر قلمه وفكره لمعالجة ما يهم هذه الأرض وانسانها، وهذا لعمري مربط الفرس، لاننا ولله الحمد نملك الأدوات لمناقشة ما نريد، ولكن قليلا منا من يصرف همته ونشاطه لإذاعة ما نعانية والتصدي لها بالحوول والمحافظة على الأصول.

أما المرحلة الثالثة: فهي شغف صاحبنا بالرحلة والترحال، ولعني لا أبالغ إذا قلت إن الرحلة شكلت رافداً من روافد ثقافته، بل وأكسبته ليونة في التعبير، وانتخاب الكلمة التي يقولها أو يكتبها، ذلك

بالتاريخ قدر شغفه بالأدب، وإن شئت قلت إنه شغوف بأدب التاريخ، لا تاريخ الأدب. وهو شغوف بدينه. فعندما يحط رحله في بلد من البلدان، يتذكر ماضي المسلمين فيه، وإن لم يكن له من ماضٍ في الإسلام، ينقل لك صورة إسلام اليوم فيه، وإن لم يكن له من حاضر في الإسلام، يحدّثك عن إمكانية نشر الإسلام فيه مستقبلاً.

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن صاحبنا من خلال أعماله، لننتقل لحديث آخر عنه من خلال معاشته وأسلوب معاشه، ولصاحبنا بيتان من قصيدة طويلة يقول فيهما:

دار بها قلبي يجيش ويخفق

ويذكرها يشكو اللسان وينطق

أيامها الفر الحسان شواهد

أرواحنا لك بالمحبة تورق

والقارئ لهذين البيتين لا يخطر بباله إلا أن الشاعر يخاطب دار حبيبته أو بلدته ومسقط رأسه، أو في أحوال أوسع وطنه، ولكن ما عناء صاحبنا شيء يختلف تماماً، وهو ما يتميز به، فإننا لم نسمع أن موظفاً يقول أن عمله الوظيفي قد شغل قلبه وروحه ولسانه ووجدانه. هذا ما تميز به صاحبنا، وهو بالتالي ما يجعلنا نعيد النظر في سيرته الذاتية، حيث نجد أن عمله في ستة مناصب منذ تخرجه في كلية اللغة العربية في سنة ١٣٧٨هـ وحتى الآن كمدير لتحرير مجلة الدارة. أقول أن تلك المناصب المتعددة، وتلك الأمكنة المختلفة، كأنها منصب واحد، وكأنها مكان واحد. ما تغير: هو المكان، أما طبيعة

المنهل

١١٨

رجب وشعبان ١٤٢٢ هـ - أكتوبر / نوفمبر ٢٠٠١ م

الوظيفة، وطبيعة الموظف فواحدة. فهل يمكننا الأمر على هذا الحال أن نقول: إن صاحبنا ما عرف إلا وظيفة واحدة هي: العمل في حقل التربية والتعليم والأدب وما يصاحبهم من فنون ونشء؟

تستطيع أن تقول هذا، وتستطيع أن تقول إن وظيفة صاحبنا هي هوايته، وإن هوايته هي وظيفته. فهذا هو سبب السعادة التي تراها في صاحبنا، سعادة كادت تفرق، وتكاد تنكسر، وتكاد تنطق في كل ما كتبه أو تحدث به، وأقول أيضاً إن كل من عرفته، وكان ذو صلة بصاحبنا، إلا ويقول عنه ما قلنا. فهل يا ترى أن سعادته نابعة من الرضا الوظيفي؟ ونابعة من كون وظيفته هي هوايته؟ أم أن هناك عوامل أخرى تتداخل في خلق هذه السعادة التي تصبغ حياة صاحبنا؟ أقول مرة أخرى وأمري لله: أن المتمتع في سيرة صاحبنا يجد الإيمان القويم، والتدين في الصميم، ويجد توافقاً واتساقاً بين أقوال الرجل وأفعاله، لدرجة أنك إذا قرأت له ثم قابلته، لا تجد فرقاً كبيراً، وهذا الأمر هو الذي جعل الأستاذ محمد حسين زيدان يقول عن صاحبنا ما نصه: (أعرف أن الرجل الأسلوب، والأسلوب الرجل، فليل من الكاتبين يتمتعون بالتزواج، فأسلوب أخي عبد الله على القرطاس هو أسلوبه مع الناس) يا سبحان الله لقد سبقني الأستاذ زيدان لتقرير هذه الصفة الواضحة الجلية في صاحبنا.

وما تذكرت صاحبنا أو رأيته إلا وتذكرت قول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى:

أحب الصالحين ولست منهم

وأرجو أن أنال بهم شفاعة

فهو رجل خير ولا أركي على الله أحداً، وهو

للدراسات الوثائقية، وهو أمر لم يتحقق بعد - أما الألقاب فهو أول من - أعرف - أطلق لقب (عميد الدار) على المؤرخ، وذلك في قصيدته التي ألقاها في اجتماع اتحاد المؤرخين العرب في (أبو ظبي) سنة ١٤١١هـ. وهو لقب نعتز به معشر المؤرخين، مع بُعدنا عنه، ويُعدّه عنا - كما أنه أول من ألف كتاباً كاملاً جامعاً مانعاً عن اليوم الوطني - والمعتاد أن يشارك الكتاب والأدباء بمقالات أو قصائد أو نحو ذلك - وقد اطلعت على الكتاب، وعنوانه (يوم في ذاكرة التاريخ) نشرت دار أضواء المعرفة سنة ١٤١٦هـ - وقد ترجم لصاحبنا عدد من الأدباء من أمثال (الدكتور عبد الله الزيد، والأستاذ الصفاقي أحمد الرسي، والأستاذ محمد حسين زيدان، كما ترجم له في معجم البابطين)، وفي الموسوعة الأدبية للساسى وشعراء العصر الحديث - وفي معجم مؤرخي الجزيرة وفي دليل الأدباء والكتاب ومعجم المطبوعات العربية في المملكة وفي معجم الطائف وفي موسوعة تاريخ التعليم ورجاله وغيرها -

هذا ما لدي... أما ما اعتاده الناس من سرد للذكريات، ومن استعراض لتاريخ طويل من الصحة والصدقة، ومن إيراد مقاب ومواقف مضحكة أو محزنة، ومن سبر لأغوار الماضي من أيام الطفولة والشباب - فهذا كله على أهميته ومناسبته لهذه المناسبة، فليس عندي منه شيء - فصاحبنا لا تجمعني به زمالة، أو صداقة قديمة، ولم تتجاوز في منزل، أو ترافق في رحلة - فعندما تعين مدرساً في سنة ١٣٧٨هـ، كنت تلميذاً صغيراً في الصف الثاني الابتدائي، ولو تعين في مسقط رأسه مدينة المجمعة، لكنت أحد طلابه، وليته فعل، إذن لتحدثت عنه حديثاً غير هذا - والله المستعان.

يحب مجالسة الصالحين، ويدعوني لمثل هذه المجالس، وصفات الصلاح والاخلاص، والزناة في القول والعمل أشياء معروفة عنه، ولعل شيخنا الجليل الأستاذ عثمان الصالح لم يجانف الصواب أو يبعد النجعة عندما قال مخاطباً صاحبا:

أبا محمد عميد المخلصينا

ويأشـيخاً بمسـرته رزينا

ويرسل له أصدقائه منظومات شعرية في المناسبات، ذلك لأنه شاعر، وله ديوان شعر، ويحضرني بيت منه، يصح أن يكون عنواناً عليه وهو:

هو الألب الذي يحيي الفؤاد

ويفتح لاتطلاق الفكر بابا

زاول صاحبنا الكتابة زمناً طويلاً، وعانى حلاوتها ومرارتها، ذلك أنه تصدى للكتابة في الشؤون التربوية والاجتماعية، وله دعوات مخلصات، وله مسميات وألقاب أطلقها على بعض التخصصات - ولعله من أوائل من أرسل تلك الدعوات والألقاب - فمن الدعوات: أن تنشر مجامع اللغة العربية ما يقره اللغويون في مجالات ودوريات الوطن العربي، ليتسنى الانتشار لما عرب، ولأن مجالات المجامع محدودة الانتشار - كما أنه طالب بوضع معجم تاريخي للغة العربية -

ومن دعواته الاهتمام بآداب الجزيرة العربية المعاصرة، ولعله أول من توقع بعثاً أدبياً وفكرياً في المملكة العربية السعودية، يصل حاضرها بماضيها المجيد - كما أنه أول من طالب بافتتاح قسم أكاديمي

حسين بن قاسم الحتيقي

- حياته وشعره -

نشأته ونسبه :

أبي العافية النجار المعروف بابن القاضي المتوفي ١٠٢٥هـ فدرس عليه علوم اللغة والعروض والفرائض والحساب والفقه [٤]، وأجازه شيخه إجازة عامة سنة ١٠٠٠هـ [٥].

ينسب حسام الدين حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد العتيقي إلى العتيق أبي بكر الصديق، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [٦]. وافتتح المحبي ترجمته بقوله: حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد الملقب حسام الدين المغربي الجوزي المالكي العتيقي الدرعي. والجوزي نسبة إلى جعفر الجوزي وهو الأب التاسع للإمام أبي الفرج بن الجوزي البغدادي الحنبلي صاحب التصانيف المتوفي ٥٩٧هـ [٢]. ووادي درعة أو درا مسقط رأس المترجم له من الأودية المعروفة بالمغرب، ويدل نسبه أن أسرته نزحت من العراق في زمن متقدم. ولد حسين بن قاسم الجوزي العتيقي في وادي درعة في أوائل صفر سنة ثمان وسبعين وتسعمائة [٣].

صنائه وشعره :

ساهمت العوامل السياسية والفكرية السائدة ذلك الوقت في صقل شخصية حسام الدين في جو علمي وأدبي رصين، وجو سياسي مفعم بالتحديات والجهاد. ولذلك وصف في طبقات المالكية بأنه «الإمام الأديب الألمي الشاعر المفلح العلامة الرجال» [٦].

ووصفه الشهاب الخفاجي [٧] بأنه «أديب حسام طبعه مرهف، ومشرفيه بحلي الآداب والعلم مشرف». قدره أعلى من النجوم الزاهية، ومسك مزاده يرخص شذاه الغالية. فاخرت الأرض السماء بمطالع شمس، وعلم قطره به أن يومه خير من أمسه. فهو روض تقبل الأرض فيه ثغور الزهور، وتطرز برود الآداب بماله من المنظوم والمنثور. وتدل العبارات السابقة على ما كان يتحلى به المترجم من تقدير واحترام لدى معاصريه وتلاميذهم ممن ترجموا له،

شيوخه :

تلمذ المترجم له على عدد من شيوخ المغرب الذين عاصروهم ومنهم الشيخ الامام أحمد بن علي المنجور الفاسي المتوفي ٩٩٥هـ والإمام الصميدي المتوفي ١٠٠٣هـ والزموري المتوفي ١٠٠١هـ والقُدومي وأكثر عن الإمام الشيخ أبي العباس ابن

بقلم : أ. د. عماد محمد العتيقي

كلية الهندسة والبتترول - قسم الهندسة الكيميائية - جامعة الكويت

محمد بن ابراهيم الفاسي أن المترجم له أنشده
لنفسه مضمناً، يخاطب محمد بن يعقوب الأندلسي:

ولي صاحب قد هبت لي يد الصفا
مولته في غيبة وعيان

ولكن هوائي مع هواه تخالفا
تخالف رؤيا السجن للفتيان

فيهوى بنى نجد ولين خصورهم
وأهوى بنات الغور طول زمانى

ينكرني حالى وإياه قوله
رفيقك قسي وأنت يمانى

وهللاته :

ارتحل المترجم له من المغرب الى عاصمة
الأتراك العثمانيين وهى القسطنطينية وأقام بها
مقدار نصف سنة. وبعد ذلك ارتحل الى الشام
بصحبة سلا محمد أمين السابقي الجعفري الطياري
دفترى دمشق [١٠]، والتقى بشيوخها وعلمائها مثل
النجم الغزي والحسن البوريني. ثم خرج من دمشق
حاجاً، وعند مروره بمدينة العلا وهى بوادي القرى
شمال المدينة المنورة، التقى بأهلها الذين كانوا على
المذهب المالكي فحصل بينه وبينهم مؤدة ومحبة،
وأقبلوا عليه وطلبوا منه أن يتولى الإمامة والخطابة،
فقام بذلك. وكان بالإضافة يتولى الإفتاء لهم على
مذهب الإمام مالك ويعلم أطفالهم مبادئ الدين

وعلى إمامته ونبوغه في ميدان الأدب والشعر.
وقد سجل شعره خلق الوفاء لإخوانه وأصدقائه
والتواصل معهم رغم تباعد الديار. ومن ذلك أنه بعد
أن ارتحل من المغرب الى بلاد الروم (أي
القسطنطينية) ثم إلى دمشق سنة خمسة وألف، كان
له مراسلات مع صديقه محمد بن علي الفشتالي [٨]،
(سفير وكاتب الملك المنصور أحمد سلطان المغرب).

فلما استبطأ الود كتب إليه قائلاً ومعاتبا:

عليك أخاف يا مولى الكتابه

وداداً بالمصنود سددت بابيه

وما نذب المقرب منك حتى

تضاع ثمامه بجفا أرابيه

فكتب اليه الفشتالي جواباً وهو قوله :

أعيذك من ظنون واسترابعه

بنيت قبابها فوق الضبابه

بروق تحت راعده بهيف

تشير سمابها ريع الكتابه

تهدد من أخيك برى عيب

يفر من السرور الى الكبه

وعند الله مجمع كل حق

وما كل الدعاء بذى استجابيه

وروى أيضاً الشهاب الخفاجي [٩] عن صاحبه

يأثس إليه في رحلاته الى الحج . وفي إحدى حججه سنة سبع بعد الألف تجاذب معه أطراف الحديث وأنشدته الشيخ حسين قائلا لنفسه:

أرى غارة الأقدار للمرء لاحق
ولو فر منها راكبا متن شامق
وما خط في أم الكتاب تسوق
إليه المقادير التي هي سابقه
فلا ذاق من صاب التغريب من بكى
على مغربي ضاع بين مشارقه

قال الغزي: فعاتبته على ذلك وقلت له ما صنعت بين المشاركة، بل شاع ذكرك وذاع نشرك وسما قدرك فما أنصفت فيما قلت، فاعترف بذلك حيث حصل له المال الوفير والقبول التام من قبل أهل العلا حتى إنهم كانوا لا يصدرون إلا عن رأيه . ولكن ذلك كله لم ينسه مجالس العلم في فاس وبمشق المليئة بالعلماء المتبحرين في كل فن ولون، وما هو يقطن في بلدة صغيرة تخلو من العلماء .

ثم زاره النجم الغزي مرة أخرى في سنة ثمان بعد الألف فتسامرا وتأنسا . فلما عاد الغزي الى الحج في سنة عشره وجدته قد سافرت الى الروم أي القسطنطينية، وفي السنة التي تليها وهي إحدى عشرة في أواسط ذي الحجة، جاء الخبر الى المصباح في مكة أن حسين قد غرق في بحر جده في المركب المعروف بالخاصكية في الشهر الذي قبله أي ذي القعدة من سنة ١٠١١ هـ . والخاصكية أو الخاصكية

والعربية وما إليها . فاستقام بمدينة العلا بقية حياته [١١] .

أعماله ومؤثره :

أول ما عرف من أعماله تولى القضاء في مدينة سلا من نواحي مراكش عاصمة المغرب ذلك الوقت [١٢]، لصالح الشريف أحمد المنصور السعدي سلطان المغرب .

وأثناء إقامته بالعلا خرجت عندهم عين ماء قرب البلدة فخرج إليها حسين المترجم له فوجدها ممكنة الوصول إلى المدينة وأشار على أهلها أن يشقوا لها مجرى إلى بعض السهول المحيطة بالمدينة، فقاموا بذلك وأشرف حسين على شق القناة وأحيا بها أراضي كثيرة كانت مجدية فأصبحت مزارع غناء وحدائق خضراء، وفرح أهل العلا بذلك فرحاً شديداً ورواؤا أن ذلك من بركاته وأسهموا له في الأرض، فحصل له بذلك نعمة سابقة ومال وفير . وتعرف العين المذكورة أعلاه في الوقت الحالي بعين جاسم أو عين السيسبي، ومجرى هذه العين معروف لدى أهل العلا وكانت تسقى مزارع كثيرة [١٣] . ويبدو أن تسميتها بعين جاسم هي نسبة إلى جاسم بن حسين المترجم له . وأهل العلا مثل أهل الخليج يقلبون القاف جيما .

وفاته :

كان مستقر المترجم له بالعلا في طريق الحاج الشامي إلى المدينة كما أسلفنا . وكان النجم الغزي

(٣) محمد أمين المحبي ، المصدر السابق .

(٤) محمد أمين المحبي ، المصدر السابق .

(٥) أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكناسي الفاسي «درة الحجال في أسماء الرجال، مخطوط لدى دار الكتب المصرية . القاهرة .

(٦) محمد بن محمد بن مخلوف «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» .

(٧) شهاب الدين أحمد الخفاجي «ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا» تحقيق عبد الفتاح محمد الطو . مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة ١٩٦٧ .

(٨) شهاب الدين أحمد الخفاجي . المصدر السابق .

(٩) شهاب الدين أحمد الخفاجي . المصدر السابق .

(١٠) محمد أمين المحبي . المصدر السابق .

(١١) محمد أمين المحبي . المصدر السابق .

(١٢) أبو العباس أحمد بن أبي العافية . المصدر السابق .

(١٣) عبد الله بن آدم صالح نصيف «العلاء دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي ، الرياض ١٩٩٥ .

(١٤) نجم الدين الغزي «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، مخطوطة لدى مكتبة الملك عبد العزيز ، المدينة المنورة (رقم ٩٠٠/١٨٨) .

(١٥) د - عائض بن بنه الرادى ، الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري «الرياض، ١٩٩٢ .

هي المركب المخصصة لسفر الحرس الخاص للسلطان العثماني . وهكذا تحقق ما صاغه شعرا وأشار إلى ذلك الغزي بقوله: «فلحقته غارة الأقدار وسأقت إليه المقادير ما خط في أم الكتاب» [١٤] ، رحمه الله .

خلاصة:

خصص هذا البحث لترجمة الأديب الشيخ حسين بن قاسم العتيقي الدرعي . وتعطي العينات الشعرية التي عرضناها فكرة عن شعر المترجم له الذي يحفل بمواضيع الإخوانيات وفنون التضمين ، وهي مما تميز به الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر [١٥] . وأما أثره في الحياة الاقتصادية فيتضح ليس في الأراضي التي أصلحها فحسب بل بعدد العيون التي استحدثت من بعده في العلا وامتداد الزراعة بها إلى مساحات جديدة باستمرار حتى نهاية القرن الرابع عشر .

الهوامش :

(١) محمد أمين بن فضل الله المحبي «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» مخطوطة لدى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة ضمن مكتبة عارف حكمت . رقم ٩٠٠/٩١ .

(٢) عبد العزيز سيد هاشم الغزولي «ابن الجوزي» دار القلم - دمشق ٢٠٠٠ .

الفرق بين الرجاء والطمع

كذا، فلا تقول أرجو أن يُنْخَلَّ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) الجنة؛ لكون ذلك متيقناً، ويقال أرجو أن يُنْخَلَّ الله جل جلاله فلاناً الجنة؛ لأنه غير متيقن، والرجاء: الأمل في الخير، وفي الضحية والخوف من الشر، لأنهما يكونان مع الشك في المرجو والمخوف، ولا يكون الرجاء إلا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجو أو ما شاكل ذلك.

والطمع: ما يكون من غير سبب يدعو إليه، فإذا طمعت في الشيء، فكأنك حدثت نفسك به، من غير أن يكون هناك سبب يدعو إليه؛ ولهذا ذم الطمع ولم يُذم الرجاء ١هـ [٤]، ولذلك جاءت الآيات القرآنية مبينة المعاني العميقة للرجاء والطمع، ومبينة الفرق بمجرد تلاوتها، يقول الله جل جلاله [فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً] [٥].

فالإنسان يرجو دخول الجنة، لكنه رجاء مصحوب بشك غالب، أي أن الغالب حصوله، وهذا الغالب جاء من رحمة الله بعباده، حيث رغبهم بالعمل، ووعدهم الجنة، فقال الله جل جلاله [لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر] [٦]، وانظر الى قوله جل جلاله [يمحذ الآخرة ويرجو رحمة ربه] [٧] فانظر كيف عبر عن الرجاء بعد الضوف، بما لا يمكن أن يعبر عنه إنسان؛ ومثل قوله تعالى [إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم] [٨]، وانظر الى المقابلة بين فريقين: فريق يرجو وفريق لا يرجو، يقول الله جل جلاله في بيان حال المؤمنين وحال الكافرين بعد غزوة أحد، وقد أصابهم ما أصابهم، فهم يجتمعون معهم في الألم، ولكن المؤمنين يخالفونهم في الرجاء، ولذلك يطلب الله منهم أن يلاحقهم: بسبب الرجاء الذي هو الفارق

كثير من الناس يدعو، وهو لا يدري هل دعاؤه هذا من قبيل الرجاء أو من قبيل الطمع؟ ذلك لأن كثيراً من اللغويين ذكروا: أن معنى الرجاء ومعنى الطمع: الأمل [١] فلنقرب معنى الكلمتين يقع الناس في اللبس، ولكن من المعلوم أن الكلمتين وإن كانتا تدلان على معنى مشترك بينهما، لكن لا بد من وجود فرق؛ لأننا نعلم أنه ليس هناك كلمة بمعنى كلمة أخرى في اللغة، وإلا كانت هذه الكلمة الأخرى زائدة، وهذا عيب في اللغة كما يقول اللغويون، قال أبو هلال العسكري [٢]: الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني: أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير الى الشيء مرة واحدة، فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم: لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث الى خلاف ما أشير إليه في الأول، كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضي الآخر، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء ١هـ [٣] من هنا عرفنا أن لكل كلمة معنى يخصها، فلذلك لا بد من معرفة هذه الفروق، وإلا لوقع الإنسان في الخطأ، فهنا معلوم أن الرجاء ممدوح، والطمع في غير محله مذموم، وعلى الداعي أن يعرف الفرق بينهما، حتى لا يقع في الاعتداء في الدعاء، فما هو الفرق بينهما؟

الفرق بينهما: أن الرجاء هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه، إلا أن ظنه فيه - أي حصوله - أغلب، وليس هو من قبيل العلم، والشاهد على ذلك، أنه لا يقال للشيء المحقق: أرجو أن يكون



د. ياسين بن ناصر الخطيب

— جامعة أم القرى — مكة المكرمة —

أمنتكم له قبل أن أذن لكم؟! إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فسوف تعلمون: لأظعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبكم أجمعين * قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منتقلون * إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين» [١٥] ففرعون يريد أن يسئ للطفة قانوناً لا يحيبون عنه، وهو أن الإيمان بالله جل جلاله يحتاج إلى موافقة ولا بد... [أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون] [١٦] وهكذا تجلى الفرق بين الرجاء والطمع.

الهوامش:

- (١) انظر المقاييس في اللغة لابن فارس ٤٤٥ و ٦٢٥ والمصباح المنير للفيومي ٢٣٧/١ و ٢٥/٢ والوسيط ٣٣٢/١ و ٥٦٦/٢.
- (٢) هو أبو هلال: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كان حياً سنة ٣٩٥هـ.
- (٣) الفروق لأبي هلال من ١٠ - ١١.
- (٤) نفسه من ٢٠٣ يتصرف.
- (٥) سورة الكهف/ ١١٠.
- (٦) سورة الأحزاب/ ٢٠.
- (٧) سورة الزمر/ ٩.
- (٨) سورة البقرة/ ٢١٨.
- (٩) سورة النساء/ ١٠٤.
- (١٠) سورة يونس/ ١٥.
- (١١) سورة الفرقان/ ٢١.
- (١٢) مهطعين: مسرعين، وعزين: أي فرقا شتى.
- تفسير النسفي ٢٩٢/٤.
- (١٣) سورة المعارج/ ٢٨.
- (١٤) سورة الشعراء/ ٨٣.
- (١٥) سورة الشعراء/ ٤٩ - ٥١.
- (١٦) سورة الزخرف/ ٥١.

الأعظم بين الكافر الذي لا يرجو شيئاً، وبين المؤمن الذي يرجو من الله الجنة ونعيمها، فيقول جل جلاله (ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تثلون فإنهم يثلون كما تثلون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً) [٩] ولما كان المؤمن يرجو لقاء الله، فإنه لا يتكلم إلا بما يرضي الله، بينما الكافر يتكلم كما يشاء، فالمؤمن منضبط، والكافر متفلت يتكلم الصواب والخطأ، لأنه لا يرجو شيئاً، يقول الله جل وعلا (وإذا تكلم عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله) [١٠] وقال الله عز وجل (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة) [١١] بعد أن تكلمنا عن الآيات التي تتحدث عن الرجاء، نأخذ بعض الآيات التي تتحدث عن الطمع فنقول:

أما الطمع: فيكون من غير سبب يدعو إليه: فالكافر ليس بينه وبين الله علاقة: لأنه هو الذي قطع هذه العلاقة بكفره، ولكن مع ذلك يريد أن يدخل الجنة، فهذا منتهى الطمع، والمؤمن مع السبب القوي بينه وبين الله، فهو يرجو، يقول الله تعالى عن طمع الكافرين (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) [١٢] عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يُثقل جنة نعيم (كلا) [١٣] فهذا هو الطمع الذي لا أساس له: ولذلك أتهم الناس من هذا الطمع فقال عز وجل (كلا) ليس منهم أحد يدخل جنة نعيم، وانظر إلى المؤمن المتقي، فهو مع عمله الصالح، يخاف من ذنوبه ويطمع أن يغفرها الله عز وجل له يقول سيدنا إبراهيم عليه السلام (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) [١٤] ويقول السحرة الذين آمنوا بالله، وهددهم فرعون بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ماذا قالوا جواباً للطاغية؟ استمع إلى هذا المقطع من الحوار بين السحرة المؤمنين والطاغوت المتجبر [قال

لغة النبات

بين الرمز والحقيقة عند العربي

بإشعاله، وإن كان من هؤلاء في ذلك العصر من: يتوجه إلى معبوداتهم من الآلهة إذا تعرضت محاصيلهم الزراعية «لآفات خطيرة تقضي على المزروعات في بعض الأحيان» [٤].

ومن النباتات التي قدّسها الجاهليون في طقوسهم الدينية «القيصوم». فقد أكد ابن البيطار أنه يعرف باستعماله «في الأكاسيل التي توضع على رؤوس الأصنام» [٥]. وذلك لإرضائها وتعظيم قدرها.

لم يتوقف الجاهليون عند تنويع الآلهة بالنبات وإحراق القربان بالنبات للسقيا، بل تجاوزوا ذلك إلى عبادة ضروب منه. إن العزى التي قال الله سبحانه في حقها: [أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى] [٦]. يرد الدكتور عبد الله الطيب تعبّدها إلى ارتباط بعض معنى الخصوبة بها، حتى بعد أن صاروا إلى عبادة الإله الرجل. بذلك على أنهم ظلوا يؤلهون مناة واللات والعزى ويقدمونهن كل التقديم [٧].

والعزى شجرة بنخلة عندها وثن تعبدها غطفان، سدنّتها من بني صرمة بن مرة، وكانت قريش تعظمها، وكانت عَنّي وباهلة تعبدها معهم. فبعث رسول الله [صلى الله عليه وسلم] خالد بن الوليد فقطع الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن [٨]. وقد كانوا ينحرون لها [٩] وقد أورد قصة العزى صاحب شرح التصريح حيث أضاف: بعد قطع خالد لها، قائلا: «فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها، وجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يا عزّ كُفْرانك لا سُبْحانك
إنني رأيتُ الله قسداً هانك

لقد قمنا في رسالتنا لنيل شهادة الماجستير بدراسة إحصائية للنباتات الواردة في دواوين أصحاب المعلقة، فوقفنا على استنتاج يتمثل في أن الرمز كان أقواها ورودا في باب الكناية بالنبات. وقد وقفنا على اقتناع بما أقره لفيف من الدارسين بخصوص مظاهر الطبيعة في شعر الجاهليين [١].

وبالنظر إلى الطقوس والديانات المشبوهة التي اعتنقها العرب، فقد كانوا، في غالب تعبيرهم عنها، يلوون عليها بالأساطير، ويرمزون لما هو من اعتقادهم، بشيء من النبات.

فلعل العالم لم يكن من حولهم «جمادا أو فراغا، بل زاخرا بالحياة، فاستوعبوا ما في السماء وما في الأرض، فإذا الكون حي في نفوسهم، ولكل مظهر من مظاهره شخصية مستقلة متفردة» [٢].

ولقد ساق أحد الدارسين عن الجاهلية الأولى فيما يقول النويري: إذا تتابعت عليهم الأزمات واشتد الجنب، واحتاجوا إلى الأمطار، يجمعون لها بقرا معلقة في أذنابها وعراقيبها السِّلْع والعُشْر، ويصعدون بها إلى جبل وعر، ويشعلون فيها النار، ويضجون بالدعاء والتضرع، وفي ذلك يقول الديك الطائي:

لا تَرِ نَرَّ رجال خاب سعيهم
يستعطرون لدى الأزمات بالعُشْر
أجاعلُ أنْت يبقورا مُسلعة
نريمعة لك بين الله والمطر [٣]

فاستسقاء هؤلاء الجاهليين لم يكن خالصا لوجه الله بل كانوا يتزلفون بواسطة نباتين هما العُشْر والسِّلْع. كانوا يشدونهما إلى أذيال البقر، فيحرقونها



بقلم : د. هاتم بلخير

دكتورة الدولة في علم البيان العربي - المغرب

أن المصريين ظلوا يقدسون الأشجار حتى أواخر القرن التاسع عشر. وأهم الأشجار التي قدسوها، الضخمة الفليضة الجذور كالجميز وسموها: الشجيرة خضرة»[١٩].

من هذا المنطلق ظهر أن الاعتقاد في الشجيرة الضخمة كان أكثر. ومردّه إلى رمز (ميتولوجي) حيث إن الأرواح إنما كانت تنتقي الملاذ في الجذوع الضخمة لتتوارى فيها.

والراجح أن منشأ هذا الاعتقاد، فكر أسطوري بدائي، كما ترحم الدراسات (الأنطولوجية) و«الانثروبولوجية». وقد يكون مبعثه من حادث ديني حقيقي. بهذا يمكن استحضار قصة سيدنا آدم في الجنة مع حواء عليها السلام، حيث غرر بهما إبليس، بعد إذ نهاهما الله سبحانه عنها. فكان مآل الجميع أن امر الله تعالى: {اهبطوا منها جميعاً}[٢٠]. [بعضهم لبعض عدو، ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين][٢١].

وذكر صاحب نزهة الانام: «عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء، الآس، وهي سيدة الرياضين الجنة»[٢٢]. وإذا صح هذا الادعاء فإن نبات الآس يمكن اعتباره في المجال الرمزي العقدي.

وذكر الجاحظ «نقلا عن الكلبى عن ابي صالح عن ابن عباس أن الشجرة التي نوذي منها موسى، على نبينا وعليه السلام، هي عوسج. وأنه نوذي من جوف العوسج، وأن عصاه كانت من آس الجنة»[٢٣]. وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة، فكان طولها طول موسى عليه السلام»[٢٤].

(والأسباط) جمع سبط، ضرب من الشجر أيضاً[٢٥]. لم يفصح عن تجليته أحد ممن تصفحت كتبهم. وتأكيدا لهذا الاعتقاد الذي كان سائدا في ضروب الشجر، يحسن ذكر ما أورده ابن الجوزي:

ورجع فأخبر رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بذلك، فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «تلك العزى ولن تُعبد أبداً»[١٠]. ولذلك قال أحد الدارسين: «فاعتقدوا أن روح العزى شيطانة»[١١].

وربما ذهب الرواة إلى الاعتقاد بأنها سمّرات ثلاث، وقد يقولون أنه كان في الكعبة (وثن العزى) ومن حوله شجرات يقدسونها[١٢]. ويروى أن أهل نجران كانوا يتعبدون نخلة[١٣]. تقديرا لأهمية الأشجار وفائدتها الجلى بالنسبة إلى الإنسان والحيوان معا. فتصوروا وجود قوى روحية كامنة فيها، فاقاموا لها في كل سنة عيدا، فإذا كان ذلك العيد، علّقوا عليها كل ثوب حسن وجنوه، وحلي النساء فخرجوا إليها يوما وعكفوا عليها يوما.

وتعتبر نخلة نجران من أشهر معبودات العرب. فقد كانوا يعتبرونها شجرة الحياة[١٤]. وكانت قريش ومن سواهم من المشركين يتعبدون «ذات أنواط» وهي شجرة عظيمة خضراء قريبة من مكة يحجون إليها كل سنة، ويذبحون عندها[١٥]. ويقومون يوما.

وقد اتصلت كرامة السدرة بالإسلام في سدرة المنتهى. وقد ظل بعض العامة عندها إلى عهد قريب يعتقدون أن إيقاد السدر يتبعه الشؤم. وربما جرّ الثكل واليتم»[١٦]. وقد قيل: هي سمرات من الطلح الشائك لا يظل ولا يثمر، ولا ترعاها الأيل. ولا شك أن عمقها وصلابتها وتأييدها على مريدتها، أعطى انطبعا مهولا لهذه الشجرة التي ما لبثت أن تحتوي الأرواح لا الثمار[١٧] في اعتقاد الجاهليين، ومن معتقداتهم في الشجر، ما ذكره (د. جواد علي) أن منطقة «حسي» وإعالي الحجاز كانت ذات غابات، وقد تعبد أهلها لإلاه اسمها: نو غابة - إله الغابات[١٨].

وقد ذكر محمد بن عبد الوهاب بعض الأشجار التي كانت مقدسة في أيامه مثل «نخلة متفوحة باليامة، شجرة الحنفي بمصر» ويذكر «سعد الخادم

«عن جابر بن عبد الله قال: كان جذع يقوم عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما وضع له المنبر سمعنا للجدع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي (صلى الله عليه وسلم) فوضع يده عليه» [٢٦]. وفي رواية البخاري: «فلما كان الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي» [٢٧].

وإذا عدنا إلى مكان الرموز في النخل وجدنا في الأثر: «أن ليس من الشجر أكرم على الله من شجر ولدت تحتها مريم ابنة عمران» [٢٨] وذلك حين قال الله تعالى لها: (فهزي إليك جذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) [٢٩]، نعم الملاذ النخلة، ثمرها كريم يكفر سيئات من تصدقه. روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «من أفطر بشق من التمرة كفاه الله شر ذلك اليوم» [٣٠]. فلعله يرمز إلى شيء من قدسيته.

وساق صاحب كتاب «المحبر» خبراً طريفاً بخصوص النبات الرمزي العقدي، فقال: «وأما أهل المدر والحرث فكانوا إذا حرثوا حرثاً أو غرسوا غرساً خطأ في وسطه خطأ فقسموه اثنين، فقالوا: ما دون هذا الخط لألهتهم وما نراه لله، فإن سقط فيما جعلوا لألهتهم شيء مما جعلوه لله عز وجل أقره وتركوه. وإن سقط مما جعلوه بأنلهتهم شيء فيما جعلوه لله تبارك اسمه رده. ثم يرسلون الماء في الذي سموه لألهتهم. فإن انفتح في الذي سموه لله عز وجل سنوه. وإن أرسلوا في الذي سموه لله فانفتح في الذي سموه لألهتهم قالوا أتركوه فإنه فقير إليه، فإنزل الله جل وعز: «وجعلوا لله ما نراه من الحرث والأنعام نصيباً، فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم» [٣١].

وفي هذا السياق التصل بالنبات، طبعاً، أثبت أنه وجد ما يسمى بالرتائم عند الجاهليين، بشأن علاقة الزوج بزوجته: «وهي أن يعقد الرجل إذا أراد السفر شجرتين أو غصنين، فإن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائهما له، فإن لم يجدهما على ما

تركهما فقد خانتها». وهل الميثاق الغليظ بمستوى شد الأغصان إلى بعضها؟ وهل العلاقة المبنية على الوفاء أو الخيانة يحكمها ما فعل هذا الأعرابي؟ أليس ذلك ضرباً من الأسطورة؟ أما تراه يرمز إلى فكرة دينية كان يتشبث بها؟ بل ربما طار الاعتقاد الفاسد بمثل هذا الجاهلي إلى الظن في أئونة الشجرة وخصوبتها.

ومن ذلك أن الرجل كان إذا هم بالإشادة بضروب الأشهر والبطر، أو بالمطالبة بالثأر وتتازع الثرات، لقوة اكتسبها من الخصب، عمد إلى الحديث عن أنواع من النبات، في مقدمتها البقول، إذ تجسدت تلك القوة وحسن الحال في الكناية بنباتات تبرز كلما عم الخصب. وهي بالترتيب: الاء، والأبيد، والأثل، والأراك، والأيهقان، والبارض، والبرير، والخضد، والخشب، والخضار، والظي، والضمخ، والدباء، والرثة، والرئيل، والرجلة، والرعي، والسمر والشعير، والتعليق، والغاب، والغمير، والفصاص والأفنان، والقت، والقصاص، والقضب، والقفعا، والكباث والعام، والمرد، والنخل، والبعضيد، والينبوت.

يؤكد هذا المعنى ما أورده ابن رشيق قائلًا: «واختار الحاتمي في باب الاستعارة في وصف سحاب - وأظنه لابن ميادة، واسمه الرماح بن أبرد من بني مرة، وميادة أمه:

إذا ما هبطن القاع قد مات بقله

بكين به حتى يعيش هشيم» [٣٢]

فالملاحظ أن البقل يمثل قمة الخصب أو يعطي الإشارة إلى وجود الجذب. فمتى نما وأينع، فالخصب المقدم. ومتى تداوى وتهشم، فالقحط المقصود. وفي الحالتين يفهم اكتساب القوة والنزوا والضعف والمسكنة. والأمثلة في هذا المجال كثيرة. فجل النباتات المذكورة في الكناية عما أسلفنا، هي من صنوف البقل. ومن طريف ما ذكره المعري قوله: «ولم ينج من سطوات الاقدار ظبي لا يستتر بجدار، ولا يبيت بين شيوخ وآلاء». وإنما يدمن بلاداً ذات سمر

في أعدائهم، فكانوا لهم كيكربن وأثل لبني تميم، كما قال الشاعر، أنشدته تغلب عن ابن الأعرابي:
لو وصل الفسيث لابنين امراً
كانت له قبة سحق بجاد

يقول: لو اتصل الغيث وأخصبنا لأغرنا على الملك وأخذنا متاعه وقبته حتى نوجه أن يتخذ قبة من قطعة كساء. قال أبو عمرو - رحمه الله - وإنما يغيرون في الخصب لا في الجذب. وقال آخر:
يا ابن هشام أهلك الناس اللين
فكلهم يسعى بقوس وقرن [٢٧]

يقول: لما كثر الخصب سعى بعضهم إلى بعض بالسلاح. وقال آخر:

قوم إذا نبت الربيع لهم
نبئت عداوتهم مع البقل

وقال:

وفي البقل إن لم يدفع الله شره
شياطين ينزو بعضهم إلى بعض

وقال:

قوم إذا اخضررت نعالهم
يتنامقون تنامق الحُمُر

يعني يتناهقون من الأشر والبغي. وإنما النعال: الأرضون الصلاب. وإذا أخصبت النعال، فما ظنك بالدماء. ومنه الحديث: «إذا ابتلت النعال قصلاً في الرحال، معناه: إذا انزلت الأرض فقصلاً في البيوت» [٢٨]. ولعل الحادرة يشير إلى مصدر قوة قومه «من المرعي» - يوم كعالة - حين يقول:

ونحن منعنا من تميم وقد طغت
مراعي الملاح حتى تضمها نجد [٢٩]

فالعرب، بهذا، كانت ترمز إلى طلب الطوائف

وأراك. فهو يتفكه في كيات وبرير» [٢٢].
وقبل سوق بقية الملاحظ في مضممار الكتاية انطلاقاً من الإحصاءات، أود أن ألفت النظر إلى الرمز وما ألف العرب استعماله بهذا الخصوص. فقد تعودوا الإقدام عليه في ظروف الخصب والامتلاء بعيداً عن الفاقة والإسنان.

ومن ذلك ما أورده أبو عبيد رداً على أبي علي القالي بخصوص الرمز إلى الحرب والمطالبة بالدماء. فربط ذلك بإدباء العرفج. قال موضحاً هذه العادة العربية: «يريد بقوله إن العرفج قد أدبى: أن الرجال قد استلأموا، أي لبسوا الدروع، ليس في قوله: «إن العرفج قد أدبى دليل على ما ذكره أبو علي - رحمه الله - ولا من عادة العرب أن تلبس الدروع إلا في حال الحرب. وأما في بيوتها قبل الغزو فذلك غير معروف. وإنما أراد بذلك أن يؤذنه بوقت الغزو وبينهم على التيقظ والحذر» [٣٤].

قال أبو نصر - رحمه الله - إدباء العرفج، أن يتسقى نبتة ويتأزر. وإذا اتسق النبت وتأزر أمكن الغزو. وقال أبو زياد - رحمه الله: العرفج نبت طيب الريح [٣٥] اغبر إلى الخضرة، له زهرة صفراء، ولا شوك له. ويقال له إذا أسود عوده حتى يستبين فيه النبات: قد أقمل، فإذا زاد قليلاً، قيل: قد أرقاط فإذا زاد قليلاً، قيل: قد أدبى. وهو حينئذ قد صلح أن يؤكل، فإذا أتم وطفحت خوصته، وأكلاً قيل: قد أخص. فإذا ظهرت عليها خضرة الري قيل: عرفجة خاضبة [٣٦] وأنشد أبو علي - رحمه الله - في آخر هذا الخبر شعراً أوله:

إن الثنايا قد اخضررت برائتها
والناس كلهم بكر إذا شبعوا

قال: يزيد أن الناس كلهم عدو لكم إذا شبعوا كيكربن وأثل.

(ع) لم يرد الشاعر هذا المعنى، لأن الناس كلهم لم يكونوا عدواً لبني تميم ولا أظلم، وإنما يريد أن الناس إذا شبعوا حاجت أضعفانهم، وطلبوا الطوائف والترات

يقول غنيمي هلال: «والألوان والعطور، تنبعث من مجال وجداني»[٤٥]. هذا القول يقودنا نحو الاعتقاد أن مصدر بعض العواطف العطور والنباتات. ويحق لنا عندئذ ذكر المثل الذي ضربته العرب بعطر منشم، وما صاحبه سوى امرأة جاهلية عاشت على بيع العطور وألوان الطيوب، ويقال هي من همدان. وذكر المؤرخون أن كل من تطيب من مواردها من العرب، اشتدت الحرب بينه وبين غيره. فكان ذلك بمثابة استجلاب للصراع. فصارت مثلا في الشر[٤٦]. ثم أفلا ترى أن هذا من قبيل الرمز بمشتقات النبات إلى وقوع المصائب والحروب؟ وفي ذلك قال زهير بن أبي سلمى:

تداركتم عيسا وأبيسان بعدما
تقانونا ونقوا بينهم عطر منشم[٤٧]

ومما وقع به نحو من ذلك الرمز حال حسان بن ثابت. هذا الذي يحكى عنه أنه تقرد «بناصية يسدها بين عيني»، وكان يخضب شاربه وغنقهته بالحناء، لا يخضب سائر لحيته ليكون كاسد والغ في دم[٤٨]. ترى ما هي الغاية النفسية التي أحب هذا الشاعر أن يختص بها؟ أما كان يريد الرمز بالخضاب إلى مكن من مكان نفسه ورغبة داخلية لا يعلمها إلا هو؟ فقد خرج بهذا السلوك عن المألوف، إذ رمز إليه بشيء من لوازم النبات وهو الخضاب.

ومن الإحصاءات الخاصة بموضوع الكتابة، أمكنني استنتاج آخر هو أقرب إلى الحقيقة. ذلك أن الكتابة عن الضمة والدناعة كانت تتم بواسطة طائفة من النباتات تجسدت في الأيسر، والبسرم، والثمام[٤٩]، والدناع، والسُّم، والنشم[٥٠].

وفي حالة تقديم صورة العراقة والقدم بخصوص النسب، فقد كانوا يجمعون على استعمال الأثل رمزا إلى ذلك[٥١] في شعرهم الجاهلي، كما كانوا عن الترف ومظاهر الرفاهية ورفي الحياة بالبنفسج والجلسان والخيري والريحان، والزنيق، والسوسن والسيسنبر، والمرزجوش، والمر والشمي والترجس والياسمين.

والقيام بالغارات حين إخصاب الأرض واخضرار النعال ونجوم البقل، إذ بوفرة المادة يفعمون البطون أكلا، ويشحنون الرؤوس شنتا وحقدا. فإذا هم يلتمسون حيث يفرغون الحنق ويريقون الدماء. وجاء في البيان والتبيين بخصوص هذا الضرب من الرمز «الخضب يدعو إلى طلب الطوائل وغزو الجيران، وإلى أن يأكل القوي من هو أضعف منه»[٤٠].

وقديما أكدت العرب هذا الأمر حين قالت: «إذا شبيعت الحقيقة لحسبت الجليظة، هذا في قلة العشب، وإنما تلحيسه الناقة لقتل وقصره»[٤١]، وفي هذا قيل لأعرابي: «ما وراءك؟ قال: خلفت أرضا تظالم معزاه» يقول: سميت وأشرت فقطالت»[٤٢] ومن هنا نقول: إذا كان ذو الجبي يتناول على بعضه البعض فما بالك بالانعام. وقد شيع الاثنان؟.

وأضاف الجاحظ بهذا الشأن رواية أخرى: «جدثنا أبو زياد الكلابي قال: بحث قوم رائدا لهم بعد سنين تتابعت عليهم فلما رجع إليهم قالوا له: ما وراءك؟ قال: «رايت بقلا يشيع منه الجمل البروك، وتشكيت منه النساء، وهم الرجل بأخيه». قال: أما قوله: الجمل البروك، فيقول: لو قام قائما لم يتمكن منه لقصره. وأما قوله: وتشكيت منه النساء فإنه مأخوذ من الشكوة، والشكاء أصغر الوطاب. يقول: لم يكثر اللبن بعد فيمض في الوطاب. وقوله: هم الرجل بأخيه: أي هم أن يدعيوه إلى منزله كما يصنعون في أيام الخصب»[٤٣].

وفي نفس الرمز جاء عن الجاحظ أيضا (في البيان والتبيين):

إذا أخبرت نعال بني غراب
بغوا ووجنتهم أسرى لئاما

لم يرد صفة النعل، وإنما أراد: إذا اخضررت الأرض، وأخضبا، طغوا وبغوا، كما قال الآخر:

وأطول في دار الحفاظ إقامة
وأوزن أحلاما إذا النعل أخضرا[٤٤]

فحين يقول الأعشى:

تازعتهم قُضْبُ الرِيحَانِ مُتَّكِلًا
وقهوة مَرَّةً رَاوَقَهَا خَضَلٌ [٥٢]

فالكناية عن الترف بينه ما دامت مرتبطة، في نظر الشاعر، بمجالس الشراب وعبادات النصارى. لأن من عادة هؤلاء التيمن بذكر الريحان، أورشه على القبور اعتقاداً في أن المغفرة تصيب صاحبه والرحمة تقشاه. وفي هذا السياق جاء قول النابغة:

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم
بغيت من الوسمي قطر وابل
ولا زال ريحان ومسك وعنبر
على منتهاه ديمة ثم هائل
وينبت حوذانا وعوقاً مُتَوَّراً
سألتهم من خير ما قال قائل [٥٣]

وقال أيضاً:

رقاق النعال طيب حجراتهم
يُحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ [٥٤]

فضلاً عن الكناية الرمزية الواردة في البيت الثاني بخصوص التيمن وشبه الدعاء لصاحب القبر بالسقيا، ورد في البيت الأخير كناية أخرى دالة على الترف (انظر عجز البيت). وأما صدر البيت، فتتمثل فيه كناية أخرى عن الترف برقة النعال وطيب الحجرات [٥٥]، وهذا الفصل الأخير يفيد: طهارة المدحجين، ويبدو أن العرب تمدح برقة النعال لأنها تعتبرها خاصة بالملوك [٥٦].

قال الجاحظ في هذا البيت: «وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفي الجعودة والقصر عنهم» [٥٧] قال الأشنانداني: «والعرب تمدح برقة النعل» [٥٨] ثم ذكر بيت النابغة، والأعشى يجاري النابغة في هذا المعنى فيقول:

الوطنين على صدور نعالهم
يمشون في الغنى والإبراد [٥٩]

والملاحظ أن «يوم السباسب» المذكور هو يوم من أيام الشعانين من أعياد النصارى. وكان المدوح وهو عمرو بن الحارث الأعرج نصرانياً. وقد هرب النابغة إلى دمشق لما بلغه أن مرة بن قريع وشى به إلى النعمان في أمر المتجردة. والذي يثير الانتباه في هذه الأبيات الرمزية الدينية بالريحان والحوذان والعوق (والمسك والعنبر).

هذه النباتات أفرزها، في الكناية عن الرمز الديني، ما استنتجناه بعد الدراسة الإحصائية، نضيف إليها السمر. أما إذا هم الشاعر بتقديم صورة مؤثرة عن الجذب والقحط، فإنه لا يجد أحسن من الكناية عنه بذكر سفا البهيمى [٦٠] والسفير والعيهر، والعود [٦١]. وأما ظاهرة الكرم وبذل العطاء، فأتروا لها كناية بالزرع والشيزي [٦٢]. ففي الزرع جاء تشبيه تمثيل بشأن المؤمن «عن ابن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع يميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا. ومثل المنافق مثل الأرزة المجذبة على الأرض حتى يكون انجعافها مرة» [٦٣] فكان الحديث عن المؤمن حينئذ عن قوة كامنة يمثلها هذا الزرع، مصدر العطاء، ومنع البذل.

وحين نصادف ذكر الشيزي في شعر الجاهليين فإنما تراءف الجفان المفعمة طعاماً، إذ هي مصدر الإحسان ووسيلة الكرم وعنوان السفاء والوجود. وأما العذرة المكانية والزمانية، فقد عبروا عنها بالعازب والعرب، وبالعوق والقمحان [٦٤] حتى إذا أراد الشاعر تقديم صورة عن الشهرة كنى عن ذلك بذكر دخان العلندي. وإذا صادفه موقف يقتضي التحدي أو الغلو، لجأ إلى ترجمته ممتطياً سبيل الكناية بالطرفاء. وأحسن ما يمثل الحديث عن الشيء القليل «الفيل» الذي في التمسر ولكن الاضطراب النفسي وتآجج العاطفة يعتبر خير ما يعبر به الجاهلي «الهراس

والعود» ذلك بأن العود في مجال الكناية قديم وظائف متباينة. من ذلك ما ورد في قول الإمام الشافعي:
والتبر كالترب ملقى في أماكنه
والعود في أرضه نوع من الحطب [٦٥]

وقال فيه أيضا:

والعود لو لم تطلب منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والحطب [٦٦]

ومما كنى به الجاهليون عن الغدر والمكر والنكال، نبات الغصن، إذ أمسى يمثل منيته وكر تريض النشاب الضاربة القوة التي تكتسب صنوف التمثيل بالأعداء وضروب الشراسة والافتراس. ويمكرها ونكايتها بالمارة شبيها الرجال في أشعار العرب. روى القالي ما يلي: «قال، وأنشدنا أيضا، قال أنشدني أحمد بن يحيى لبعض الأعراب:

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا
ويصدح قلبي ان تهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما
هوى كل نفس حيث كان حبيبها [٦٧]

قال: وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله عن عبد الرحمن عن عمه لأم خالد الخثعمية في حجوش العقيلي:

فليت سماكياً يطير ربابه
يقاد إلى أهل الغضى بزمام
ليشرب منه حجوش ويهيمه
بمسيني قطامي أغر شتم
رأيت لهم سيماء قوم كرهتهم
وأهل الغضى قوم علي كرام [٦٨]

والملاحظ بخصوص الكنايات الواردة بالنباتات، أن منها ما كانت جهورية، بمعنى أن من الشعراء من لم يكن الاتفاق وارداً بينهم في شأن بعض ضروب الكنايات، بل إن منها ما اختص به شاعر دون

الآخرين. ومن وجه آخر، فالظاهر أن الكنايات منها ما كان يتصرف في صوغه الشعراء تبعاً للظروف السياسية أو الاجتماعية، ولذلك كانت لغاتهم، في أحيان كثيرة، متباينة، مما دفع بالسيوطي إلى تعليل الظاهرة بقوله: «فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام، لجاورتهم أهل مصر والقط، ولا من قضاة وغسان وإياد لجاورتهم أهل الشام. وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر، لجاورتهم للنبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبيشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضر الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم» [٦٩]، حتى إذا جاوزنا هذه الملاحظة في موضوع اختلاف الألسنة، جاز لنا التذكير مرة أخرى، بالاعتقاد في خصوصية المرأة. فحين يقول امرؤ القيس مثلاً:

كان على لباتها جمر مصطل
أصاب غضى جزلا وكف بلجذال [٧٠]

فإن د. عبد الله الطيب طرح بشأن النار إشكال الرمز إلى الشوق الغزلي والهوى، وأكد المعنى بقول الشاعر:

تنورتها من أذرع وأهلها
ييثرب أننى دارها نظر عالي [٧١]

ويستدل على هذا الرمز بالنار للمرأة بقول النابغة أيضاً:

أقول والنجم قد مالت أوائله
إلى المغيب تأمل نظرة حار

وهم الأكثر - وقال آخرون: بل إنما أغراه بإحراق النخل والبيوت ففعل، ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب [٧٦] ذلك أن ابن رشيقي يؤمن بوجود الكناية من طريق التورية. يؤكد ذلك قوله في التورية: «وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية بشجرة أو شاة أو ناقة أو موهرة أو ما شاكل ذلك كقول المسيب بن علس:

نما شجر الأرض داعيهم
لينصره السدر والأتاب

فكنى بالشجر عن الناس - وهم يقولون في الكلام المنشور: جاء فلان بالشوك والشجر إذا جاء بجيش عظيم [٧٧].
لتعزيز هذه المزايع في أمر الرمز بالشجر إلى المرأة نشبت هنا، ما جاء في أدب الكاتب: «قال حميد بن ثور:

أبي الله إلا أن سرحة مالك
على كل أفنان العصفاء تروق

أراد: تروق كل أفنان [٧٨] كنى بالسرحة مهنا عن المرأة ويقع كثيرا أن يكتوا بها عن المرأة مثل قول الشاعر:

فيا سرحة الركبان ذلك بارد
ومساؤك عذب لا يحل لوارد

ومنه قول حميد بن ثور (أيضا):
فهل أنا إن علئت نفسي بسرحة
من السرح مخوذ علي طريق [٧٩]

وساق عبد الله الطيب قول الحماسي للاستدلال على ما نحن بصدد إثباته وإيضاحه:

وهالي من ثقب إليهم جنيته
سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي
نعم فاسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي
ثلاث تصييات وإن لم تكلمي [٨٠]

أي: يا حارث:

الحبة من سنا برق رأي بصري
لم وجه نعم بدا لي لم سنا نار [٧٢]

ومما هو مشهور من وصل التشبيب بذكر النار قول عدي بن زيد العبادي:

يا بالبينى أو قسدي النارا
إن من تهوين قد حارا
رب نار بت أرمقها
تقضم الهندي والغارا [٧٣]

وانظر قول جميل في هذا الاتجاه حيث صارت النار التي تمثل عشق المرأة كآنها تواد لذاتها - وهو يربطها كذلك، بنبات القضي:

أكذبت طرفي أم رأيت بذي الغضا
لبثت نارا فاحبسوا أيها الركب [٧٤]

وهذه كلها من نيران القلب لا من نيران القرى التي تبدو للركب، وحين يصف امرؤ القيس إضرام النخل مشبها به، فهو كما يبدو، يريد كناية عن قيام حرب. يقول:

وسالفة كسحوق اللبا
ن أضرم فيها الشوي السقر [٧٥]

يؤازر هذه الكناية ما أورده ابن رشيقي في باب التتبع عقب الكناية: «ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر:

هتسى يلف نخيلهم وبيوتهم
لهب كخاصية المصان الأشقر

أراد الحرب التي هي المقصودة بالصفة. هكذا الرواية الصحيحة. وبهذا التفسير فسره جلة العلماء

قال التبريزي: جعل السرحة وهي شجرة كناية عن امرأة فيهم.

وقال امرؤ القيس :

فيا طيب رياها ويا برد ظلها
إذا حان من حامي النهار ولوق
وهل أنا إن علت نفسي بسرحة
من السرح مسدود علي طريق [٨١]

تجمع هذه الأبيات، كما هو مذكور، معنى المرأة والسرحة - ويعطيك ذلك الروح المثالي المفعم بالصباية، ومعاني الخصوبة الذي منه نبغ وجدان الشاعر وبيانه» [٨٢].

والأمثلة في مجال الكناية بالشجر موجودة بشكل مقبول، كالطلع والسيال والعساليج... بهذه الصور الكنائية أكتفي لإثبات أن الشاعر ظل يحلق بالمعاني نحو أشرفها وأسمى مراقبها، فقد كانت لها في هذه المجالات خدمة قصوى وإسعافات عظمى والمزاوجة بينها وبين باقي عناصر البيان العربي يمثل دفعا إيجابيا نحو رقة الأسلوب وجمال التعبير وشفافية الأفكار.

الهوامش :

(١) هو موضوع فسيح أفردنا له فصلا، معتمدين فيه إحصاءات نباتية في مواوين أصحاب المعلقات، وذلك في رسالتنا الأكاديمية لنيل شهادة الماجستير (في جزمين) والتي ربما رأت نور النشر قريبا.

(٢) مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ص : ٣٤٨.

(٣) مصادر تاريخ ج.ع، ص : ٣٤٨.

(٤) الفصل، ص : ٧/٩٣.

(٥) ابن البيطار، ص : ٣٧.

(٦) سورة النجم، الآية : ١٩.

(٧) المرشد، ص : ٨٧٤، ٨٧٥/٢.

(٨) المحبر، ص : ٣١٥.

(٩) تاريخ العرب، ص ١/١٣٥.

(١٠) شرح التصريح على التوضيح، ص : ١٥٠، ١٥١.

ج : ١. باب : المعرف بالاداء، كتاب الاصنام، ص : ٢٥.

٣٦، سنة ١٩٢٤، اللسان، ص : ٧/٢٤٦.

(١١) دراسات في الشعر الجاهلي، ص : ٩٩.

(١٢) اللسان، ص ٧/٢٢٦ - معجم البلدان، ص :

٤/١١٦.

(١٣) اللسان، ص ٧/٢٤٦.

(١٤) دراسات في الشعر الجاهلي، ص : ٩٩.

(١٥) معجم البلدان، ص ١/٢٧٧، اللسان، ص :

٩/٢٩٨.

(١٦) المرشد، ص ٢/٣٨٣.

(١٧) دراسات في الشعر الجاهلي، ص ٩٩ - ١٠٠.

(١٨) جواد علي، ص ١/٢٠٩.

(١٩) دراسات في الشعر الجاهلي، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢٠) سورة البقرة، الآية : ٢٨.

(٢١) سورة الاعراف، الآية : ٢٤.

(٢٢) نزهة الانام في محاسن الشام، ص ٩٢.

(٢٣) جاء في قاموس الغذاء لاحمد قدامة، ص ٢٢ -

٢٣، عن الاس : عرف الرومان والاغريق الاس وخصوه

بالالة «فينوس» وجعلوه اروهنة الحب والجمال، وكان

الاغريق يرمزون به الى الامجاد والانتصارات. وحظي

بالتعظيم لدى الفرانة، وكان يستعمل في الحفلات

والمجامع الدينية، ولا يزال بعض المسلمين يستعملون

اغصان الاس في بعض البلدان لتزيين قبور الموتى في

الاعياد والمواسم - (وهي عادات لا يقرها الاسلام..

لان زيارة القبور إنما شرعت للظة والاعتبار، والدعاء

للموتى).

(٢٤) البيان والتبيين، ص : ٢/٦٤.

(٢٥) آمالي القاضي، ص : ٢/٣٧.

(٢٦) صفة الصفوة، للامام جمال الدين ابي الفرج بن

الجوزي، ص : ٩٨، ط : ١ مطبعة الاصيل، حلب.

(٢٧) صحيح البخاري، في باب : علامات النبوة في

الاسلام.

- (٥٦) وقد عرفت حصر موت بطلها المخرصة التي تضيق من جانبيها كائنا ناقصة الخصرين.
- (٥٧) البيان والتبيين، ص ٢/٥٦.
- (٥٨) معاني الشعر، الاثناندي، ص: ١٧ واطراف: هو العرب تدم بصغر النعال يربون بذلك كزاة الخلق، لاطافة الاقدام وأراد انهم جاؤوا مشاة على اقدامهم.
- (٥٩) الديوان، ص ١٨٠.
- (٦٠) وفي مثل هذا المعنى شبه اوس بن حجر بواية عودها يسفا البهي. قال:
- على فخلي من بواية عودها ... شبيهه سفا البهي
- إذا ما تفتلا
- (شعراء النصرانية)، ص ٤٩٦.
- (٦١، ٦٢) انظر الجدول في تراستنا المذكورة.
- (٦٣) صحيح البخاري: ١٤٩/٧ رقم: ٥٦٤٣، ١٦٨/٩، ١٦٩ وصحيح مسلم: ٢١١٣/٤ - ٢١١٤ رقم: ٢٨١٠: الكبير للطبراني: ١٨٢/١٩ - ١٨٥، والمسند لأحمد: ٤٥٤/٣.
- (٦٤) انظر الجدول.
- (٦٥، ٦٦) ديوان الامام الشافعي، ص ٢٥، ٢٥.
- (٦٧، ٦٨) امالي القاضي، ص: ٩٢/١٠.
- (٦٩) المزهر، ص ١/٢١١. دراسات في فقه اللغة، د: صبحي الصالح، ص ١١٣.
- (٧٠) الديوان، ص ٢٩.
- (٧١) المرشد، ص ٢/٨٩٢ - ٢/٨٩٣.
- (٧٢) الديوان: ١٤٨.
- (٧٣) المرشد، ص: ٨٩٢ - ٢/٨٩٣.
- (٧٤) امالي القاضي، ص: ٢٠٨ - ٢/٢٠٩، وانظر الديوان: ١٢.
- (٧٥) الديوان، ص: ١٦٥.
- (٧٦، ٧٧) العمدة، ص: ١/٣١٦ - ١/٣١١.
- (٧٨) ابن قتيبة، ص: ٤١٨. المرشد، ص: ٣/٨٩٠.
- بصيفة: تفوق بدل تروق.
- (٧٩) ابن قتيبة، ص: ٤١٨.
- (٨٠، ٨١، ٨٢) المرشد، ص: ٢/٨٨٩، ٢/٨٨٩، ٢/٨٩٠.

- (٢٨) الرطب والنخلة، ص ٢٨.
- (٢٩) سورة مريم، الآية: ٢٥.
- (٣٠) الرطب والنخلة، ص ٢٩.
- (٣١) كتاب المحبر، ص: ١٣٢.
- (٣٢) ابن رشيقي، ص: ١/٢٧٥.
- (٣٣) رسائل ابي العلاء، ص: ١٩٦.
- (٣٤، ٣٥) كتاب التنبية على اوهام ابي غلي، ت: ص: ١٧.
- (٣٦) كتاب التنبية لابن عبيد، ص: ١٧/١٧.
- (٣٧) البيت في البيان والتبيين، ص ٣/٥٥. والقرن الجعبة هنا وقد تقيّد «المجلد» للسان: ص: ١٢/٣٣٩.
- (٣٨) التنبية لابي عبيد البكري، ص: ١٨ - ١٩/١٩.
- (٣٩) ديوان الصادرة، ص: ٩٤ تج: وتعليق د. ناصر الدين الاسد، دار صادر بيروت ط: ١٩٨٠ (املاء ابي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الاصمعي).
- (٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣) الجاحظ، ص: ٢/٨١ - ٢/٨٠.
- (٤٤) الجاحظ، ص: ٣/٥٥.
- (٤٥) النقد الادبي الحديث، ص: ٤١٨.
- (٤٦) اللسان، ص: ١٢/٥٧٧.
- (٤٧) الديوان، ص: ١٥.
- (٤٨) انظر الجدول الخاص بهذه التصنيفات في تراستنا المذكورة.
- (٤٩) جاء عن الشام، في تاج العروس تأكيداً لما ذكرنا اعلاه: هو ثبت ضعيف. وفي حديث عمر: اغزوا والفرو حلو خضر، قيل ان يصير ثاماً ثم رباماً ثم حطاماً. اي: اغزوا وانتم تنصرون وتوفرون غنائمكم قبل ان يهن ويضعف ويصير كالثمام، ص ٨/٢١٩. (تاج العروس).
- (٥٠، ٥١) انظر الجدول الخاص بهذه التصنيفات.
- (٥٢) الديوان، ص ٢٦٦.
- (٥٣، ٥٤) ديوان النابغة، ص ١٩٠، ٤٩.
- (٥٥) الحجزات: معاهد الازر. كته قال: طيب النيل او الثوب أو الأردن.



التجربة التكنولوجية في القرن العشرين

أكد خطر تصدير النفط في عامي (١٩٧٣ - ١٩٧٤م) وارتفاع أسعاره أن هناك تغيرات تكوينية عميقة حدثت في السوق العالمية للنفط خلال عقد السبعينيات. فبين عامي ١٩٥٠ - ١٩٧٣م زاد إنتاج العالم من النفط من ٤ بلايين برميل إلى ٢٠ بلايين برميل في السنة الواحدة، وقفز بذلك معدل النمو السنوي إلى ٧٪ وقد صب تدفق هذا النفط الرخيص حيث انخفضت أسعاره بشدة خلال هذه الفترة في أساطيل السيارات المتزايدة، ومرآجل المساكن والمصانع والصناعات الكيميائية، ومحطات توليد الكهرباء في العالم الصناعي. ونشأت الأساليب التكنولوجية كثيفة الاستخدام للطاقة في هذه الفترة مما أدى إلى تغيير شكل المدن والمصانع والحياة اليومية. ولكن هذه التطورات حملت معها ثناً مستتراً: وهو التبعية المتزايدة لمنتجات النفط في كل مكان في العالم تقريباً.

لا يوجد مجال يبين أهمية المواضيع مثل الارتفاعات في أسواق الطاقة العالمية وفي ردود فعل الحكومات لمواجهة أزمات الطاقة التي ظهرت في عقد السبعينيات، فقد بينت هذه الارتفاعات شيئين هامين: أن البلاد الصناعية الغربية وبلداناً نامية كثيرة أصبحت تعتمد بطريقة خطيرة على منطقة واحدة من العالم - وهي متفجرة سياسياً - لأمدادها بجزء كبير من احتياجاتها النفطية، وأن فترة الامدادات والأسعار المستقرة لمصادر الطاقة، التي استمرت ما يقارب من ثلاثين سنة قد انتهت فجأة. وقد كان لردود الفعل الناشئة لمواجهة هذه الارتفاعات مضمون واضح أيضاً: وهو أنه ليس هناك علاجاً تكنولوجياً سواء كان برنامجاً مكثفاً لخلق قوة نووية أو مجهوداً متعجلاً لإنتاج وقود صناعي يستطيع ضمان عدم التبعية للنفط المستورد أو توفير المناعة ضد الأسعار المرتفعة للطاقة.



بقلم : أ.د. سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن

جامعة العلوم والتكنولوجيا - صنعاء

قد أصبحت تعتمد اعتماداً خطيراً على مضطر للطاقة قد ينفد في يوم ما، وأن أنماط الإنتاج والإستهلاك السائدة خلال الخمسينيات والستينيات لن يمكن الإبقاء عليها في المدى الطويل. ودار وقتها جدل طويل حول المدة الزمنية الباقية حتى يصل الإنتاج العالمي للنفط الى ذروته ثم يبدأ في الانخفاض، ولكن الآراء اتفقت في أواخر السبعينيات على أن هذا الانكماش سوف يبدأ خلال عشرين عاماً [١].

بعد منتصف السبعينيات تضاعف الطلب على النفط. وانخفض معدل النمو السنوي الذي بلغ ٧٪ في الستينيات الى حوالي ٢٪ سنوياً، كما أن أسعار النفط فشلت حتى في مواكبة التضخم بين عامي (١٩٧٤ - ١٩٧٨م). بعدها اختفت أزمة النفط من عناوين الصحف، ولكن الثورة الإيرانية خلقت تذكرة حادة أخرى لعدم استقرار إمدادات العالم من النفط.

وفي عام ١٩٧٩ أصبحت سوق النفط محدودة وهو ما كان متوقعاً حدوثه في التسعينيات، وذلك عندما تقلص الإنتاج الإيراني بدرجة كبيرة. وبالرغم من أن السوق العالمية للنفط لم تفقد إلا أقل من ٣ ملايين برميل يومياً - وهي كمية تعادل حوالي ٥٪ فقط من الاستهلاك العالمي - إلا أن هذه الخسارة كانت كافية لتحويل تخمة صغيرة الى نقص. فقد

وحتى عام ١٩٧٠م كان إنتاج النفط في الولايات المتحدة، وهي أكثر دول العالم استهلاكاً له، يزداد بطريقة منتظمة ليسد احتياجات معظم مطالب الولايات، وكان هذا الانتاج المحلي يستكمل بواردات معظمها من كندا وأمريكا اللاتينية.

ولكن في عام ١٩٧٠م وصل انتاج آبار النفط الأمريكية الى الذروة ثم بدأ في التضاؤل بينما استمرت الزيادة على طلب النفط. ونتيجة لذلك اتجهت الولايات المتحدة الى الشرق الأوسط للنفط الفجوة الواسعة التي نشأت بين احتياجها للنفط وطاقتها الانتاجية منه. وكانت أوروبا واليابان تعتمدان منذ فترة طويلة على الشرق الأوسط لإمدادهما بمعظم احتياجاتهما من النفط حيث كانت اليابان تستورد ما يقارب من ١٠٠٪ من احتياجاتها من هذه المنطقة.

وقد اتضحت هذه التبعية المتزايدة بطريقة أكثر إيلاماً عندما قطع منتجو النفط من العرب إمداداتهم إلى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية في عام ١٩٧٣م، وعندما قامت منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبك) برفع الأسعار الى أربعة أضعافها فجأة.

أدت أحداث عام (١٩٧٣ - ١٩٧٤م) الى إثارة قدر كبير من القلق في الدول الصناعية وحثت على إجراء مجموعة من الدراسات حول مستقبل النفط في العالم. واتضح أخيراً أن التكنولوجيا الصناعية

عليها أكثر من الدولارات المنكمشة في المصارف، ومن ناحية أخرى اقتنع الكثيرون من منتجي النفط أن أهدافهم الاقتصادية والسياسية تتحقق على أكمل وجه إذا ما تم توجيه دخل النفط الى احتياجات التنمية. وكان ذلك هو الهدف الذي صرحت به الحكومة الإيرانية بعد سقوط الشاه، كما صرح الرئيس المكسيكي «لوبيز بورتيلا» أن الإنتاج في بلاده « يجب أن يحدد بكميات تتناسب مع مقدرة البلاد على استيعاب الدخل الهائل الناتج عنه» كذلك قامت كل من دولة الكويت والسعودية وإيران والعراق والبحرين بتحديد إنتاجها ليصل الى مستوى منخفض كثيراً عن طاقة الإنتاج القصوى.

وهكذا شهدت السبعينيات تغيراً جذرياً وخطيراً في صورة الطاقة في العالم، فقد انتهى ربع قرن من الطلب المتزايد والمستمر على النفط والتوسع المتزايد في إنتاجه لتحل محله سلسلة من الاضطرابات، والزيادات الحادة في الأسعار وعدم الاستقرار المتزايد في الامدادات العالمية للنفط. وبدراسة التوقعات في نهاية عام ١٩٨٠ أكد مركز الولايات المتحدة الأمريكية لتقييم التكنولوجيا أنه «في الغالب سوف تكون هناك زيادة قليلة أو لن تكون هناك زيادة على الإطلاق في إنتاج العالم من النفط من المصادر التقليدية» [٢].

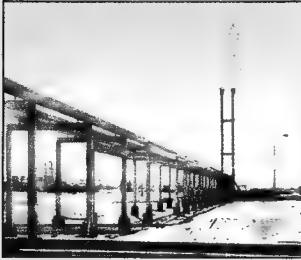
أثرت هذه التطورات تأثيراً مباشراً وغير مباشر على العلوم والتكنولوجيا. وأوضح هذه الآثار هو التأكيد الأليم أن العلماء والمهندسين لا يملكون حلاً لولا تكنولوجيا لمشاكل الطاقة في العالم: فقد دعات



انتهاز أعضاء الأوبك هذا النقص ورفعوا الأسعار من ١٣.٧٧ دولار الى ٢٨.٤٥ دولاراً للبرميل الواحد، وذلك بين يناير ١٩٧٩م ويناير ١٩٨٠م. وهكذا أصبحت الطاقة الرخيصة التي كان لها تأثير كبير على التغير التكنولوجي على مدى جيل، من الأحداث الماضية.

وقد أكدت الاضطرابات التي سادت السوق العالمية للنفط في نهاية السبعينيات نقطة هامة للغاية: هي أن الحدود السياسية والطبيعية على حد سواء سوف تحدد كمية وسعر النفط المتدفق في ناقلات النفط العالمية والأنابيب خلال العقدين أو الثلاثة عقود القادمة. وبالرغم من أن التوفر الطبيعي لاحتياطيات النفط سوف يتسبب بلا شك في انخفاض إنتاجه في بعض البلدان - مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفنزويلا ورومانيا - إلا أنه في بعض البلدان الأخرى سوف يبقى هذا الإنتاج أقل من معدله الأقصى.

وهناك أسباب مهمة لمثل هذه السياسة، فمن ناحية يعتبر النفط في الأرض أصولاً يمكن الاعتماد



الطريقة الصاخبة التي أعلن بها الرئيس «كنيدي» عن هدفه بانزال رجل على سطح القمر قبل ذلك بعشر سنوات، ولكن نداء «نيكسون» الى قوة التكنولوجيا الأمريكية كان أقل نجاحاً.

وبدا من أن تصبح أقل اعتماداً على النفط الأجنبي، زادت الولايات المتحدة من وارداتها بشدة خلال معظم سنوات السبعينيات. وفي عام ١٩٧٨م كان النفط المستورد يشكل نصف استهلاك الولايات المتحدة تقريباً، وذلك بالمقارنة بأقل من الثلث حين بدأ «مشروع الاستقلال» فقد عانت الطاقة النووية، وهي قلب هذا المشروع، من مشاكل قاسية حين ازدادت المعارضة العامة لها، وزادت تكاليف البناء، كما ازداد الشك بشأن التخلص من النفايات ويقيت مشكلة الأمن والسلامة بلا حل [٣].

وواجه خلق مصادر الفحم والزيوت الحجري مجموعة من العقبات البيئية والإقتصادية. فعلى سبيل المثال زادت التكلفة المتوقعة لإنتاج الوقود الصناعي من الفحم والصخر بطريقة فاقت الزيادة في أسعار النفط، كما قلت المساهمة المتوقعة لهذه

التوقعات التي ظهرت خلال الخمسينيات والستينيات بأن «عصر النفط» سوف يذوب تدريجياً في «عصر الذرة»، وقد أدت تجارب السبعينيات القاسية الى تداعياتها. وبينما تستمر الحكومات في إنفاق المبالغ الطائلة على تطوير التكنولوجيات الرئيسية مثل إنتاج الوقود الصناعي وبناء مفاعلات التجارب النووية، إلا أنه قد أصبح من الواضح أن مثل هذه البرامج وحدها لا يمكنها تقديم الخلاص من أسعار النفط المتصاعدة. فكل تكنولوجيا جديدة تنتج عنها عدة مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية جديدة.

وقد أثر كل ذلك على المواقف العامة تجاه العلم والتكنولوجيا حيث أصبحت مشاريع الطاقة الواسعة النطاق أكبر ما يرمز الى الآثار الجانبية السلبية للتقدم التكنولوجي، كما صارت بمثابة ميادين قتال رئيسية تصادمت فيها القيم الاجتماعية والبيئية الجديدة مع القيم التكنولوجية المؤيدة للنمو والتي شكلت المجتمع الصناعي لأجيال عديدة.

ويبين مصير مشروع الرئيس «نيكسون» ذي الدعاية الهائلة «مشروع الاستقلال» مدى استحالة تخليد أنماط الاستهلاك السائدة في فترة ما بعد الحرب عن طريق الاعتماد على برامج تكنولوجية مكثفة لخلق إمدادات جديدة للطاقة.

بدأ هذا المشروع في عام ١٩٧٣م، في أعقاب الخطر النفطي، وكان يهدف الى جعل الولايات المتحدة مستقلة عن النفط المستورد في عام ١٩٨٥م وذلك عن طريق تدعيم القوة النووية، وإنتاج الفحم، والنفط والغاز المحلي. وقد أعلن هذا المشروع بنفس

في إنفاق حوالي ٨٠ بليون دولار على مصانع جميع جديدة، واستطاعت أن تحقق عدة متغيرات تكنولوجية تراوحت من خلق حاسب آلي صغير Minicomputer للتحكم في تشغيل المحرك، إلى صناعة أجزاء خفيفة للغاية لتكوين الهياكل. وتعتبر مثل هذه الجهود ضرورية في صناعات أخرى، وذلك لتحويل التكنولوجيات التي نشأت في عصر كان سعر برميل النفط فيه دولارين إلى تكنولوجيات تلأم عصرأ يصل فيه سعر البرميل إلى ٥٠ دولارأ.

وكما ورد في دراسة للأكاديمية القومية للعلوم National Academy of Science في الولايات المتحدة تبين أن «مستقبل الطاقة المنخفضة سوف يخلق حوافز قوية للتجديد التكنولوجي». فكل الأساليب المستخدمة للإقلال من استخدام الطاقة المذكورة في هذه الدراسة تعتمد في كل حالة تقريبأ على التكنولوجيا المتطورة».

وبتلخص نتيجة الدراسة التي قامت بها لجنة الأكاديمية في أن الولايات المتحدة تستطيع التمتع بنمو اقتصادي قوي مع الاحتفاظ بنفس مستوى طلبها للطاقة، أو ربما تستطيع، إذا ما توفرت بعض الظروف، أن تقلل من استهلاكها الكلي منها. وسوف تتحقق هذه التوقعات باستخدام إجراءات قوية للمحافظة على الطاقة والعمل على خلق تكنولوجيات جديدة New Technologies تستخدم الطاقة بطريقة أكثر فاعلية.

وتعتمد هذه التوقعات، من نواح كثيرة على اتجاه ظهر في السبعينيات وهو اتجاه يمثل تغيرأ

الأنواع من الوقود في سد الاحتياجات المحلية للطاقة بدرجة كبيرة.

وقد تمثل الدرس القاسي الذي لقنه فشل «مشروع الاستقلال» فيما يلي: قد يكون للولايات المتحدة الأمريكية المقدرة التكنولوجية الكافية لتحقيق استقلال الطاقة عن طريق برنامج سريع لخلق امدادات الطاقة، ولكن ممارسة هذه المقدرة غير مقبولة سياسيا وبيئيا واجتماعيا.

وبالنسبة للكثير من العلماء والمهندسين، لم يكن من السهل قبول الصعوبات التي واجهتها محاولات إحياء تكنولوجيات الطاقة التقليدية والنوية، فقد اعتاد العلماء على عالم دقيق من الوقائع والأرقام وتحليلات الخطورة Risk Analysis ولذلك تراهم أكدوا كثيرأ على أن أولئك الذين يعارضون القوة النووية ومحطات إنتاج الوقود الصناعي وغيرها من المشاريع التكنولوجية المشابهة، إنما يقفون موقفا معاديا للعلم والتكنوجيا (S & T). ومع ذلك فإن الطاقة الشمسية Solar Energy وحفظ الطاقة، وهما موضوعان يحظيان بالمساندة الشعبية من هؤلاء الذين يعارضون المضي في البرامج المكلفة والمركزة لخلق الطاقة، ويحتاجان إلى خلق مجموعة من التكنولوجيات الجديدة المتطورة. والواقع أن الطريق إلى زيادة فاعلية الطاقة وزيادة الإعتماد على مصادر الطاقة المتجددة Renewable Energy لا يقل في تحديه التكنولوجي عن الطريق الذي يهتم بزيادة إنتاج واستهلاك الطاقة التقليدية[٤].

ونجحت الصناعة بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٨٥ م

العربي بالإضافة الى مبادرات الخصخصة في قطاعات الطاقة في منطقة الخليج العربي والخيارات والفرص المتاحة لهذه الصناعة في ظل الأوضاع الحالية انظر:

«الأوضاع الاستراتيجية في صناعة النفط: الاتجاهات والخيارات» بول ستيغينز - أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أكتوبر ١٩٩٨م.

(٢) للاطلاع على أوضاع السوق النفطية في الفترة الممتدة من تسعينيات القرن العشرين الى نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بالإضافة الى دراسة الافتراضات المختلفة حول مستقبل أسعار النفط وكذلك احتمالات القدرة الانتاجية وما يعترضها من عوائق. انظر:

«النفط في مطلع القرن الحادي والعشرين: تفاعل بين قوى السوق والسياسة» هوشانج أمير أحمدى - أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، يوليو ١٩٩٦م.

(٣) هذا غير قلق الأخطار المحتملة والمفاجئة التي يمكن أن تتسبب من المفاجآت والمحطات النووية، انظر: الحوادث النووية المفاجئة في الولايات المتحدة: المسببات واحتمالات الوقوع، د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن - مجلة الحرس الوطني، أغسطس ١٩٩٧م. ص ٦٢ - ٦٤.

(٤) للمزيد من الاطلاع، انظر: «تكنولوجيا الطاقة الجديدة والمتجددة بين ارماسات الحاضر وتحديات المستقبل» د. سالم عبد الجبار آل عبد الرحمن - مجلة أخبار النفط والصناعة، العدد ٢٨٩ - سبتمبر ١٩٩٤م.

واضحاً لأنماط ما بعد الحرب بالنسبة لاستهلاك الطاقة والنمو الإقتصادي مرتبطين ارتباطاً وثيقاً في البلدان الصناعية. فكل نسبة مئوية تحقق في زيادة الناتج القومي الاجمالي يقابلها نسبة مئوية مماثلة تتحقق في زيادة الطلب على الطاقة. ولكن في أواخر السبعينيات، ازداد استهلاك الطاقة بنسبة تمثل تقريباً نصف نسبة معدل نمو الناتج القومي الاجمالي في بلاد كثيرة، وهكذا لم تكن الروابط بين الطلب على الطاقة والنمو الاقتصادي بنفس القوة التي كانت عليها في فترة ما بعد الحرب.

وقد أثارت أزمات الطاقة التي ظهرت في السبعينيات عدة مشاكل كان العلم والتكنولوجيا يلعبان دوراً رئيسياً فيها، وبقي هناك تضارب في القيم يكمن وراء المناقشات الحادة حول سياسة الطاقة المثارة في العالم الصناعي كله. فاختيارات تكنولوجيا الامداد بالطاقة والقرارات الخاصة بتشجيع حفظ الطاقة، لا تعتبر ببساطة أموراً تكنولوجية، فهي تتضمن مجموعة معقدة من المواضيع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية. ولم تكف اضطرابات الطاقة في السبعينيات بالاسراع بنا الى عصر جديد للطاقة، بل إنها أيضاً قد كشفت عن النطاق الواسع الذي يتم فيه صنع القرارات التكنولوجية.

الهوامش:

(١) للإطلاع على التغيرات التي يمكن أن تطرأ على هيكل الطلب على النفط وكذلك كيفية تطوير صناعة النفط، والى أين تتجه خاصة في منطقة الخليج

ولاءاً .. ووفاء .. للصديق .. والأديب الراحل .. ومن بعض حقه

سعد سعد الجعفي

- السعودية -

«وجدت استاذاً يأخذ بالقضية من وجهها الفقهي، فيعرض آراء الأئمة في طلاق المكره، فذكر من غيب صدره وكأنه يقرأ في كتاب، ان فقهاء السلف قد اختلفوا في طلاق المكره... الخ، والحق ان المام المتحدث بمسألة فقهية جاءت عرضاً في الحديث، يدل على انه فقيه كبير من رجال التشريع! وقد سألت عنه فقبل انه الاديب الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب المنهل، فزاد عجبني لاني اقرأ آثار الانصاري واجدها موزعة بين الأدب والتاريخ والآثار: وما هو ذا الآن يدل على تبهره في مسائل التشريع».

حقاً لقد كان الانصاري رحمه الله نمطاً فريداً من الرجال قل ان نجد مثيله، فهو مثال للانسان الشامل المعرفة، تشهد بذلك مؤلفاته العديدة، ومقالاته المتنوعة التي نشرت على مدى نصف قرن تقريباً في مجلة المنهل وغيرها، وهي كتابات ستظل مصدراً بالغ الثراء والتنوير لأجيال وأجيال من قراء العربية المتطلعين للمعرفة في ميادين العلم والفكر والأدب. وما تركه الى جانب مجلته الشهيرة يعتبر مصدراً هاماً ومرجعاً ثباتاً في تاريخ تطور النهضة الأدبية

٢٣ جمادى الثانية ١٤٢٢ هـ صادف الذكرى التاسعة عشرة لوفاته الشيخ الأديب «عبد القدوس الانصاري» رحمه الله واسكنه فسيح جناته، صاحب ومؤسس مجلة «المنهل» اول أمهات الصحافة السعودية، واول مجلة أدبية علمية ثقافية تأسست عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م، ولا يزال عطافوها مستمراً دون توقف حتى اليوم منذ أكثر من ٦٧ عاماً في خدمة الصحافة والأدب والثقافة، ويرأس تحريرها الآن الابن البار لمؤسسها. الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري. حفظه الله وبارك فيه.

هذه المجلة الأدبية الرائدة، ليست الا بعض صنيع الشيخ «عبد القدوس الانصاري» الذي عرفه القراء أدبياً بارعاً وكتاباً فذاً، ولغويّاً بليغاً، باحثاً ومؤرخاً وصحفيّاً ومفكراً، وشاعراً مجيداً. ولقد كان رحمه الله عالماً فقيهاً متبحراً في الفقه والتشريع، قال عنه الدكتور (محمد رجب البيومي) عميد كلية اللغة العربية بالازهر - فرع المنصورة - سابقاً بمجلة المنهل العدد ٤٩٤ المجلد ٥٣ لشهر شعبان ١٤١٢ هـ ص ٥٠

الأبوية في تشجيع المواهب الشابة وتذليل كل الصعوبات التي واجهتهم في بداياتهم الأدبية بروح الحنان الصادق الموجه باللفظ والسماحة والتواضع، وهي جوانب لا يعرفها إلا الذين عايشوها عن قرب وبذلك نضى للقارئ بعض جوانب هذه الشخصية الفريدة في تعاملها .

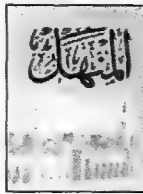
كما ان من اهم واجبات «جمعية اصدقاء المنهل» الدعوة الى تكريم الاديب الراحل وتكريم الراحل «عبد القدوس الانصاري» من ولاية الامر، انما يعتبر تكريماً لكل مواطن في هذه الدولة العزيزة التي تحرص على نشر العلم والأدب والثقافة، وتكريم العلماء والادباء والمبدعين في كل مجال، وترعى البرزين منهم في كل عام.

ومن هذا المنطلق وفي هذه المناسبة تتشرف «جمعية اصدقاء المنهل» أن تتقدم باقتراح ترفعه الى مقام صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن فهد بن عبد العزيز ، الرئيس العام لرعاية الشباب بصدد طلب تكريم «عبد القدوس الانصاري» رائداً من رواد الأدب والثقافة والعلوم والصحافة في المملكة . وذلك من خلال اعادة طبع مؤلفاته القديمة والعمل على طبع المؤلفات التي لم تطبع له - وذلك لتصدر في ذكرى وفاته من كل عام للمتميزين في الآداب والثقافة والتاريخ والعلوم والآثار . وللمكانة العلمية والأدبية والثقافية التي تعيشها المملكة بقيادة مولانا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني ودعم ورعاية سموكم المحبوب .

(*) عبر مجلة المنهل.

والثقافية في المملكة، ولقد كان رحمه الله أحد الرواد الأوائل الذين يفخر بهم الوطن . . ويعتز بهم المواطن، وهذا من خلال حجم العطاء والانجاز الذي قدمه لوطنه، وخدمة لمواطنيه . . ذلك العطاء الذي لا ينال منه الزمن، ودوره في تاريخ النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية أجل وأعمق من أن يقاس بالحديث العاجل عنه في ذكره التي مرت كغيرها في كل عام دون تكريمه أو الدعوة الى ذلك تقديراً لدوره البارز وجهوده في اصدار مجلة المنهل أول مجلة سعودية الى جانب من المؤلفات القيمة . . والكتب الجيدة في شتى مناحي فروع العلم والمعرفة . . والادب والتاريخ والآثار والتراث العربي والاسلامي .

وفي ذكره التي جمعت مناسبتها بعض اصدقائه ومحبيه ممن عايشوه عن قرب ومن لهم به معرفة شخصية، وصلات إنسانية وثقافية وأدبية، واعترافاً ببعض حقنا علينا نحن اصدقائه، وعارفو فضله ولاءاً . . ووفاءً فرضته المناسبة فان كاتب هذه السطور وبمحبة خالصة يبادر بالدعوة الى إنشاء «جمعية اصدقاء المنهل» ، الدعوة الى [*] كل اصدقاء ومحبي الشيخ «عبد القدوس الانصاري» اسكنه الله فسيح جناته للانضمام الى عضوية الجمعية، والباب سيبقى مفتوحاً والمجال متاحاً لكل من يريد الاشتراك في عضوية هذه الجمعية التي هي منكم واليكم . ولا تبتنى الجمعية تتبع دور المغفور له «عبد القدوس» في الثقافة وما قدمه لخدمة العلم والآداب والصحافة، لأن ذلك يحتاج الى عشرات المجلدات، ولكننا نريد أن نقدم للقارئ العربي لمحات انسانية، وذكريات أدبية، وتوجيهات ثقافية، من خلال رعاية الشيخ «الانصاري»



غلاف العدد الأول من المنهل

خاض غمار الأدب محاربا على كل الجبهات

حاتم صادق

— جدة —

مرت منذ أيام الذكرى التاسعة عشرة
لوفاة الأديب السعودي الأستاذ عبد القدوس
الانصاري أحد رواد حركة النهضة الثقافية
والفكرية المعاصرة في المملكة العربية
السعودية، وأحد الذين تركوا بصمات واضحة
في مختلف المجالات الأدبية والثقافية، بما يؤكد
سعة علمه ومعرفته وآفاقه، وتعدد أشكال
إبداعه، وتنوع اهتماماته .

الأستاذ عبد القدوس الانصاري مفكر،
أديب، باحث، ناقد، شاعر، مؤرخ، كاتب، لغوي،
صحفي، ولا غرو أن تجتمع كل هذه الصفات في
شخص واحد، فالانصاري - رحمه الله - قد يكون
لديه الأكثر فيما لو تعمقنا في الكشف عن
جوانب الإبداع لديه، وهو في كل ذلك مجد
تجنح نفسه إلى التحرر من القيود القديمة
والانطلاق في مدى الإبداع الرحب، معتمدا على
نخيرة لا محدودة من الثقافة المتنوعة الواسعة،
والبحث الذي لا يتوقف في كل مجال يوصل إلى
معرفة جديدة أو علم جديد .

المجالات التي كتب فيها عبد القدوس
الانصاري كثيرة ومتعددة شملت الدراسات
والبحوث والمقالات والكتب والمؤلفات في شتى
صنوف المعرفة وفروع الأدب والتاريخ والعلم، إلى

١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م كمجلة متخصصة في الآداب والعلوم والثقافة، وما زالت تصدر حتى اليوم بالزخم نفسه الذي كانت عليه من بدايات صدورها، وكان له في كل ذلك السبق والريادة.

والاهتمام الذي وجهه الاستاذ الانصاري الى تاريخ مدينة جدة لم يسبقه اليه احد،

فقد كان معظم ما يكتب عن

المنطقة الغربية في

المملكة العربية

السعودية أو

الحجاز

يتناول تاريخ

المدينتين

المقدستين

مكة المكرمة

والمدينة المنورة

بصورة رئيسة،

ووقع مدينة جدة بينهما

كان يقلل في الغالب من الاهتمام بها، الا

أن الانصاري اراد ان يعطي لهذه المدينة الجميلة

حقها من الاهتمام والبحث في تاريخها وحياتها،

وهي ذات التاريخ العريق، والتي كانت ومنذ

الازل بوابة الحرمين الشريفين والميناء التجاري

للمملكة الاكثر نشاطا وجمالا على شواطئ

البحر الاحمر.

جانب الندوات والمحاضرات واللقاءات الفكرية والثقافية والطقات الاذاعية التي اشترك فيها وكان له في كل منها ذلك الحضور القوي المستند الى اسلوب مدهش في ابداء الرأي والدفاع عما يتضمنه.

صدر له خلال الفترة التي امتدت ما بين

عامي ١٣٥٢ و ١٤٠٢هـ عدد كبير

من الكتب والمؤلفات

الموسوعية منها

«اصلاحات في

لغة الكتابة

والادب»، «من

آثار المدينة

المنورة»،

«أمكنة بالحجاز

وتهامه»، «بين

التاريخ والآثار»،

«الملك عبد العزيز في مرآة

الشعر»، «التحقيقات المعدة بحتمية ضم

جيم جدة»، «موسوعة تاريخ جدة»، رواية

«التوأمان»، ديوان شعر «الانصاريات»، «مع

ابن جبير في رحلته»، بالاضافة الى العدد

الكبير من المقالات والبحوث والدراسات التي

نشرها في الصحف المحلية والعربية، وفي مجلة

«المنهل» التي اصدرها في جدة في عام



ان اردت الصحافة، وهو صاحب دراسات وتعقيبات ان اردت العرض والتعليق، وهو صاحب فقه ان اردت التشريع والاحكام، وهو لغوي ضليع إن أردت اللغة والمحاكاة، وهو عاشق قلم ان اردت المقالة والانشاء الادبي، وهو رحالة وصاحب سفر ان اردت السفر في بطون الكتب والرحلة في ثنايا الاعمال الادبية، وهو مؤرخ ان اردت التاريخ، ومن هذا نرى انه متشعب الثقافة، متعدد الطعوم، وله في كل ذلك نتاج واثار غزيرة».

وما قاله الدكتور غفيفي لم يكن مجرد كلام يقال في المناسبات، بل اثبتته واكد صحته بشواهد من اعمال الانصاري تناول فيها جميع المجالات التي ذكرها في المقدمة.

وربما كان للانتماء الوطني والعربي والاحساس بالظلم المتولد عن الاستعمار التركي اثر في ان تتحدد مواقف الانصاري باستمرار في اتجاه الحرية والدفاع عنها، ورفض العبودية بكل اشكالها، ومهما كانت الاسماء التي تخفي تحتها، أو الازياء التي ترتديها، يقول في بعض كتاباته: «الولة الاتراك يصيدون دائماً في الماء العكر، ويزيدون النار ضراماً، والاحقاد اشتعالاً، ليتمكنوا بهذه التفرقة بين ابناء العم الواحد من السيطرة عليهم جميعاً، خاصة وانهم يشعرون

تميز الانصاري بحسه النقدي المدهش الذي يظهر في معظم مؤلفاته ويقوم على الوضوح في الرأي والتدقيق في كل الجوانب التي تهم القاريء في العمل أو النص، ليكون النقد بناء وغير متجن، كما يلتزم في كل ما كتبه بالموضوعية والمنهجية التي توصل الى ان تكون الحقيقة بينه امام الجميع، وكل استنتاج يتوصل اليه في البحث والدراسة والكتابة بصورة عامة لا بد ان يدعمه بدليل وشاهد بما لا يرقى اليه الشك، وهذه ميزة قلما يخلو منها كتاب لكبار الكتاب في الدراسات والبحوث التي تزحم بها ارفف المكتبات والمراكز العلمية، وتعتبر مرجعا للدارسين والباحثين.

في دراسة موسعة للدكتور محمد الصادق غفيفي الاستاذ في جامعة الملك فهد في الظهران عن الاستاذ الانصاري نشرتها مجلة «المنهل» تناول فيها شخصيته كمؤرخ قال: «عبد القدوس الانصاري مفكر متعدد الجوانب، وبمعنى ادق موسوعي النظر، فياض الفكرة، سيال القلم، فهو قصصي اذا اردت القصة، بل له فضل الريادة، وهو شاعر ان اردت الشعر، وهو من طلائع النخبة التي دعت الى التجديد، وهو محقق مدقق ان اردت التحقيق والتوثيق، وهو صحافي

الانصاري شاعرا» هي «الظاهرة اللغوية، ظاهرة التكرار، ظاهرة التأثر، ظاهرة الحيوان والطير وكمائنات اخرى، ظاهرة الطبيعة، ظاهرة البيئة، الظاهرة القصصية، الظاهرة الجمالية، الظاهرة الذاتية»، ومعظم هذه الظواهر كما اشار المؤلف تكاد تتجسد في قصيدته الشهيرة «وحي العقيق يوم انهماره» ومنها هذه الابيات:

هذا العقيق يبين في مطويه

حكما تمازج حزنها بحبوره

هذا العقيق ينق في ايحائه

ويعبر ذاك الوحي سمع خبيره

انظره في اشراقه متقلدا

درر الجمال تضيء سود صفوره

انظره يوحى للشجي مباهجا

ويزيح عنه شجونيه بخبريه

ويعيد للجسم التضييب رواءه

ويزيح عن عطفه صب فتوره

ولابد من الاشارة الى ان ذاتية الشعر عند الانصاري تأكيد للرومانسية الكامنة فيه، وهي متعلقة بصورة مباشرة بنظرته الى العوالم الجمالية من حوله.

في قرارة اعماقهم بأن هذا هو الطريق الوحيد لبقائهم وتسلمهم لمنصب الولاية» وفي هذا الكلام رفض وتحذير مما يببته المستعمرون ربه الانصاري اكثر من مرة في اكثر من موقع، اما الانتماء الوطني فقد كان كبيرا وغير محدود عنده، وفي كتاباته الكثير من الدلائل عليه، ثم ان اعجابه بشخصية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود موحد الجزيرة العربية ومؤسس المملكة العربية السعودية كان من العوامل التي اعطت لهذا الانتماء معنى ذا قيمة كبرى من خلال معايشة الانجازات الكبيرة التي تحققت في عهده وعهد ابنائه الذين تولوا حكم المملكة من بعده.

أما شاعرية الانصاري فكانت تستند الى قاعدة لغوية متينة واساس فكري قوي وموهبة متوقدة، لكنه بالرغم من ذلك لم يكن كثير النظم، وان كان طرق في قصائده التي ضمها ديوانه «الانصاريات» عدة جوانب اظهرت براعته في التعامل مع اللغة الشعرية سواء بالفاظ منتقاة بدقة، أو بتركيبات مصنوعة بمعرفة، أو بصور جميلية مركزة، وتميزت بأسلوبه الخاص الذي تظهر من خلاله امكاناته العديدة والمتنوعة، وكانت في شعره ظواهر فنية بارزة اشار اليها الدكتور عبد الله باقازي في كتابه «عبد القدوس

عبد القدوس الأنصارى

رائد
وريادة

سعيد كامل معوض

- مصر -

وقد كان عبد القدوس الأنصارى يتيماً لكنه استطاع بإرادته - التي كسرت إرادة اليتيم - أن يحفر اسمه بماء الذهب في سجل الخلود. وكان الأنصارى خالي الوفاض! لكنه ملأ الأرجاء فكراً وفناً وقهر بعزمه ذلك العوز... وكم عاش الرجل يطعم الى أن تكون رحلته الحياتية - طالت أو قصرت - رحلة للعطاء الموصول الخالص لوجه الله تعالى، وقد استطاع أن يحقق طموحه بمؤلفاته المتميزة في العلم والأدب. وكم عاش يحلم بنافذة يفتحها لكل مبدع موهوب وكل رائد خلاق، وقد استطاع أن

وتمر الأيام... تنسى من تنساه كأنه لم تهبط قدماه أرض الحياة! ومن الناس أناس لا يستطيع الأيام لهم نسياناً على مر الأيام! والدنيا محطات: وبين الميلاد والموت رحلة قد يستطيع الإنسان فيها كتابة اسمه بحروف من نور على طول الطريق تعتز بها ذاكرة الأيام وتقيه وتفخر! وقد تجتاح الإنسان العواصف فيقف عاجزاً لا حول له ولا قوة كريحة تتقاذفها الرياح، وقد تحتوى المحن أحداً فلا يستطيع فكاًكاً من أغلال الكآبة والإحباط... واليتم عاصفة عاتية ومحنة قاسية وقليلون هم الذين يخرجون باليتم من دائرة الإنكسار الى دائرة الانتصار!



ماري .. يتيم أوردنا المنهل

ضيق ذات اليد ووضع نصب عينيه رسالته السامية فبذل جهده وأقنى عمره حتى حققها .

ولقد نجحت «المنهل» على طول مشوارها أن تكون داراً للعقول والقلوب على حد سواء، ونجح الشيخ الأنصاري بقلمه الساحر وعلمه الغزير وفكره المستنير أن يكون مثلاً أعلى وقُدوة تحتذى .

وتمر الأيام ..

فتجدد الذكرى ونشم عبير الخلود ونردد مع الشاعر قوله:

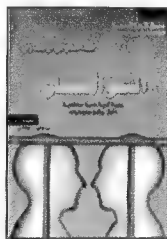
الناس صنفان موتى في حياتهم

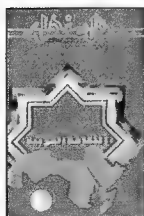
وأخرون يبطن الأرض أحياء ..

رحم الله الأنصاري وأسكنه فسيح جناته
جزءاً ما علمنا ويعدد الذين وردوا منهل العذب .

يحقق حلمه بإصدار مجلة «المنهل» التي نجحت بين عشية وضحاها أن تكون منبراً لكل المبدعين والفكرين والعلماء، وسرعان ما استقطبت «المنهل» جل المثقفين من الساسة والقراء والمتخصصين، فصارت بحق قبلة القاصدين ومنهل الواردين، وكان لزاماً على «المنهل» بعد نجاحها أن توسع قاعدتها وتطرق مزيداً من المسالك والصروح، وبالفعل خرجت «المنهل» من نطاقها المحدود كمجرد مجلة ثقافية إلى نطاق لا محدود جعلها دائرة ضخمة ومؤسسة شامخة .

ومن المثير للعجب ان الشيخ الأنصاري عندما أنشأ منهله لم يكن يمتلك من حطام الدنيا سوى ٤٨ ريالاً لا غير!!، وهو مبلغ كما نرى لا يقدم ولا يؤخر، لكن الرجل بعزمته الفولاذية وإرادته الماضية وطموحه اللا محدود تغلب على





تاريخ صدوره	اسم الحركة
شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ	الفن
شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ	الأمن والأمان
ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ	الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة
شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ	الثقافة العربية
ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ	الدعوة والدعاة
رمضان وشوال ١٤٠٧هـ	الأثر والآثار
ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ	المجاهدين، البناء، والمعايير الهداية
رمضان وشوال ١٤٠٨هـ	العادات والتقاليد
ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٠٩هـ	مناهل الإشباع الإسلامي
رمضان وشوال ١٤٠٩هـ	الاسترخاء والمستشرقون
ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ	مكة المكرمة .. الحجاز والارتحال
شوال ونو القعدة ١٤١٠هـ	الإبداع والمبدعون
ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ	الحديث النبوي والقصص .. رواية وفرايز
ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ	القرآن الكريم .. الهدى والأعجاز
شوال ونو القعدة ١٤١٢هـ	الهجرة الفكرية والتصدى الحضاري
ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ	المدينة المنورة .. دار الهجرة ومآثر الأيمان
شوال ونو القعدة ١٤١٣هـ	اللغة العربية .. آفاق مستقبلية
ربيع الأول والثاني ١٤١٤هـ	القدس .. مروس المداخن
جمادى أول وجمادى ثان ١٤١٥هـ	العمارة والمدينة الإسلامية .. معطاء ومداول
شوال والقعدة ١٤١٦هـ	النقد والنقاد
شوال والقعدة ١٤١٧هـ	الجغرافيا والجغرافيون
شوال والقعدة ١٤١٩هـ	المملكة العربية السعودية في مرآة المنطل
شوال والقعدة ١٤٢٠هـ	الأسرة والمجتمع
شوال والقعدة ١٤٢١هـ	التراث المعماري في الحضارة الإسلامية

الاصدانات السنوية الخاصة

« متوفرة لمن يرغب في اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جدة)

الصحابة محدثون وفقهاء خلال كتابات ابن حزم حوار مع لينا كيلاني



امانة مشورة
زات اداء وتصميم
زنازلة صفا المرأة
ووجعنا

ر

قوله



قول على قول:

الغريبون
يستلون
من الاسلام
خلاصة فكره
ويضعون
على هامته
«قبعة غريبة»

في السجال الذي دار بيني وبين الأستاذ
على العميم حول الأدب الإسلامي الذي
نشرته مجلة المجلة في العام الماضي، كتب
الأستاذ علي العميم مقالة بعنوان
«الإسلاميون يستلون على هامته عمامة
إسلامية» رداً على مقالتي، وعندما رددت
على هذه المقالة لم تنشرها مجلة المجلة،
رغم أنها التزمت بنشر ردودي السابقة
بأمانة شديدة، ونظراً لخطورة الاتهامات
التي وجهها الأستاذ علي العميم في تلك
المقالة إلى الصحابي الجليل حسان بن ثابت
رضي الله عنه، وإلى المفكرين الإسلاميين،
والى رابطة الأدب الإسلامي، رأيت ضرورة
نشره في مجلة المنهل، باعتبارها منبراً
إسلامياً حراً لا يصادر الحقيقة.

عندما قرأت مقال الأستاذ علي العميم الذي نشر
في مجلة «المجلة» في عددها رقم ١٠٥٢ الصادر في
١٠ - ٤ محرم سنة ١٤٢١ هـ الموافق ٩ - ١٥ ابريل
عام ٢٠٠٠م رداً منه على ردي على ما كتبه في
سجال حول الأدب الإسلامي استوقفتني الآتي:
أولاً: عنوان المقال «الإسلاميون يستلون من
الآخرين خلاصة فكرهم ويضعون على هامته عمامة
إسلامية».

وهذا العنوان له دلالات جد خطيرة منها: سلب
كل ما هو إسلامي من الإبداع والابتكار ونسبته إلى
الآخرين، وكأن الإسلام قد أفلس من العطاء،
وللأسف الشديد نجد هذا المفهوم هو الغالب لدى
غالبية شباب الإسلام الذين منهم الأستاذ على



سحيلة زيب العاديه حماد

رئيسة لجنة الأدبيات برابطة الأدب الإسلامي العالمية - الرياض

خلال «نظرية الانتحال» التي طورها عدد من المستشرقين من أهمهم تيودور نولدكه في بحث له بعنوان «من تاريخ نقد الشعر العربي القديم» وزعم أن الشعراء الإسلاميين وضعوا قصائدهم على لسان الشعراء الجاهليين لينالوا القبول وليضمنوا لقصائدهم الذبوع والانتشار، ومن مزاعم نولدكه أن العلاقات السبع ما هي إلا خرافة وليس لها وجود حقيقي، والتسمية تسمية متأخرة، ويثير الشك في القصائد ذاتها، وفي أسماؤها وشعرائها.

وقد سار على نهج نولدكه ونظريته عدد من المستشرقين مثل المستشرق «الوارد» في بحثه «ملاحظات عن صحة القصائد العربية القديمة» كما سار على ذات النهج المستشرق اليهودي البريطاني ديفيد صموئيل مرجليوث الذي طوّر نظرية الانتحال في كتابه «أصول الشعر العربي» لوضع القرآن الكريم موضع مقارنة، والقول بخلق القرآن الكريم وقد أثرت نظرية الانتحال كما طورها

مرجليوث على عدد من

المختصين في الأدب

العربي القديم. وينتمي

معظمهم إلى المدرسة

العربية النصرانية

التي يتزعمها عدد من

علماء النصراني

العرب وأدبائهم مثل

جورجي زيدان،

ولويس شيخو، وأتيس

فريشة، وفيليب حتى،

ولويس عوض وغيرهم، كما

تبناها بعض علماء الأدب من

العميم، وهذا ما سعى إلى تحقيقه المستشرقون الذين حرصوا على التشكيك في أصالة الفكر الإسلامي ومصادره وأرجاعها إلى أصول أجنبية، فلقد أرجعوا الإسلام إلى أصول يهودية ونصرانية وفارسية ويونانية ومجوسية، وأرجعوا الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي إلى أصول يهودية ورومانية، كما شكك المستشرقون في أصالة الحضارة الإسلامية وإنكارهم لفضلها على الحضارة الغربية، فقد اتجه بعض المستشرقين إلى إثارة الشبهات حول المنجزات الحضارية الإسلامية. ولأن هذه المنجزات حقيقة لا يمكن إنكارها لم يجد بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام والمسلمين سوى التشكيك في أصالة الحضارة الإسلامية ورد منجزاتها إلى مصادر أجنبية، والتفريق بين المسلمين يرون معظم هذه المنجزات إلى المسلمين غير العرب بهدف التقليل من شأن الدور العربي في بناء الحضارة الإسلامية من ناحية وإثارة

الصراع الحضاري والنزعات

القومية بين المسلمين، ولهذا

السبب جرأ

المستشرقون الأدب

الإسلامي هذه

التجزئة إلى أدب

إسلامي عربي، وأدب

إسلامي إيراني،

وأدب إسلامي تركي

... الخ.

ويمسا أن الأدب

«الجاهلي» أدب عربي محض

أثاروا الشكوك حول صحته من

**** يقولون**

الأدب إبداع

والإبداع لا يعرف

الحدود والحدود

أي منطق

هذا؟

وجاء الإسلام وحرّم الجدل والفلسفة والتلاعب
بالألفاظ موجهاً العقل البشري الى استخدام منهج
علمي متكامل في البحث في الكون، إذ دعا الى
النظرة العلمية البحتة الى الأشياء، وأرشد الى المنهج
الصحيح في المعرفة فقال تعالى {قل هاتوا برهانكم
إن كنتم صانقين} (البقرة/ ١٧٠) وقال تعالى {قل
هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن
وإن أنتم إلا تخْرُسُونَ} (الأنعام/ ١٤٨)، وقد حثنا
الله عز وجل على ألا نخطو خطوة إلا بالعلم وقد
وهب الله تعالى الانسان أدوات

البحث والنظر يقول تعالى:

{ولا تَفْهَمُ ما ليس لك به

علم إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ

واللَّوْءَ كُلَّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنهُ مَسْئُولًا}

(الإسراء/ ٣٦).

ورغم هذه

الحقائق القرآنية التي

سار على نهجها

علمائنا الأوائل، إلا أننا

نجد معظم الغربيين

يزعمون أنهم أصحاب المنهج

العلمي، مع أن جوزيف هيل في

كتابه «تاريخ الحضارة الغربية» قد أقر أن

الطريقة التي اتبعها ابن الهيثم في بحوثه وكشفه

في المنهج العلمي، وهو بهذا يكون قد سبق بيكون

الذي ينسب إليه هذا المنهج، إلا أننا نجد وللأسف

من الدارسين المسلمين والعرب من يؤكد هذا الزعم

الباطل للمستشرقين مثل: الدكتور سيدة كاشف في

كتابها «مناهج بحث» المقرر في معظم الجامعات

العربية، والذي يؤكد مزاعم أخرى للمستشرقين فيها

تجن كبير على الإسلام.

العرب المسلمين، ومن أبرزهم الدكتور طه حسين
الذي اهتم بتطبيق النظرية وشرحها في كتابه
المعروف «في الشعر الجاهلي» الذي صدر عام
١٩٦٦م، بل يرى البعض أنه ترجم كتاب مرجليوث
ونسب الى نفسه. وقد وجد هذا الكتاب معارضة
شديدة من الأزهر، وعدل الدكتور طه حسين في
كتابه عن مقولة خلق القرآن الكريم، وللأسف الشديد
قرر هذا الكتاب في الجامعات العربية، فنحن للأسف
الشديد لقد ساعدنا المستشرقين على تحقيق ما

يهدفون إليه فجعلنا واضعي المناهج

الدراسية ممن تتلمذوا على

أيدي المستشرقين وقرروا

في الجامعات كتب من

تأثروا بفكرهم أو

تتلمذوا على أيديهم

أولئك الذين شككوا

في أصالة الفكر

الإسلامي، ونسبوا

إنجازات المسلمين الى

الغربيين.

والمسلمون هم

أصحاب السبق في المنهج

العلمي، وفي التفكير المنطقي

السليم... ونذكر هنا نماذج من سبق

المسلمين:

١ - المنهج العلمي فقد سبق الحسن بن الهيثم

فرانسيس بيكون في استخدامه وليس كما يدعي

الغرب، وقد استقى ابن الهيثم هذا المنهج من القرآن

الكريم فمعروف أن الإغريق قد بنوا حضارتهم

وفكرهم على الجدول والسفسطة والتلاعب بالألفاظ،

وكانت هذه سمة العلم في العالم آنذاك، إذ كان يفهم

العلم من خلال معانٍ كيفية ذات أصل فلسفي بحث،

ما قيمة الأدب
إن لم يحمل الناس على
الفضيلة والطهر
بعض أبناء جلدتنا
أعادوا صياغة أباطيل
المستشرقين .. وأعادوا
تسويقها ثانية



الذي يقوم على فكرة الالتزام هو كما قلت في مقالي السابق منقول عن فكرة الالتزام لدى الوجوديين والاشتراكيين» وقبل قوله هذا نجده يقول بعد استطراد طويل عن تاريخ الأخوان المسلمين «فالحركة الإسلامية في مصر والقارة الهندية وسورية (الحركات الأساسية والأم) تحمل رؤية جديدة للإسلام تخالف ما هو سائد لدى المؤسسات الإسلامية التقليدية، وهما الأساسيون هم سياسي، وعندما أقول إنها تحمل رؤية أيديولوجية جديدة للإسلام يعني هذا أنها تحمل رؤية تاريخية وضعية في العديد من قسماتها، وهذه الرؤية ليست بالضرورة منتزعة من صميم المعتقد الإسلامي الأساسي، وإنما هي متأثرة برؤية تيارات أيديولوجية ثقافية معاصرة تستل الحركة الإسلامية خلاصات منها ثم تؤسلمها وتضع على هاماتها عمامة إسلامية، وعند غريلتها ونفض بطانتها الإنشائية يستبين لنا أنها ليست بالضرورة تتطابق مع المأثور أو المنقول الإسلامي».

كما قلت فإن التأثير الاستشراقي واضح على أحكام الأستاذ علي العميم، فها هو نص قرآني واضح أمامه يصنف الكلمة الى صنفين كلمة طيبة وكلمة خبيثة، ويصف أصحاب الكلمة الطيبة بالمؤمنين الذين يثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ويصف أصحاب الكلمة الخبيثة بالطالمين الذين يضلهم الله لظلمهم، فيقول إن هذه الآيات «لا تتحدث عن قضية كمالية أو ترفيه كالتنظيف للأدب، وإنما تتحدث عن قضية وجودية، وهي قضية الإيمان والشرك، ف (الكلمة الطيبة) قيل إن معناها إيمان المؤمن، وقال آخرون بل عني بها المؤمن نفسه، والشجرة الطيبة قيل إنها النخلة، وقال آخرون: إنها شجرة في الجنة، والكلمة الخبيثة، هي الشرك بالله، والشجرة الخبيثة قال أكثر أهل التأويل إنها الحنظل

٢ - نجد الغرب نسب الى إسحاق نيوتن اكتشاف الجاذبية الأرضية، وللأسف درس لنا هذا، مع أن ابن سينا سبق إسحاق نيوتن بسبعة قرون في معرفة قانون الجاذبية، إذ أدرك أن الأجسام حينما تهبط فإنها تتجه نحو المركز أي نحو مركز الأرض، ثم أدرك أن الأجسام المختلفة تتجاذب على نسبة ما بينها من الأقدار «الكبر والصغر» وعلى نسبة ما بينها من الأبعاد، إن الجسم الأصغر يجذب نحو الجسم الأكبر.

٢ - إن مفهوم الحرية والعدل والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان التي يرددها الغرب قد أخذها من الإسلام، وحركة الإصلاح الديني التي شهدتها أوروبا متأثرة بالإسلام، فظهور المذهب الإصلاح البروتستانتي المعارض للكاتوليكية يعكس آثاراً إسلامية واضحة في بنود الإصلاح الديني، ويضاف الى هذا كله نشأت حركة نقد «الكتاب المقدس» مستمدة الكثير من نظريات في الكتب اليهودية والنصرانية من النقد القرآني والنقد الإسلامي لهذه الكتب في أعمال المسلمين التي ترجمها المستشرقون منذ زمن بعيد الى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية الحديثة، ولكن الغربيين لا يقرّون بهذا.

ويعد هذا كله فلا نستبعد أن يأتي شاب مثل الأستاذ علي العميم، ويكتب مقالا بهذا العنوان «الإسلاميون يستلون من الآخرين خلاصات فكرهم ويضعون على هاماتها عمامة إسلامية» فرغم أنني بينت في مقالي السابق أن الالتزام في الأدب الإسلامي مأخوذ من قوله تعالى [يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ]، نجد الأستاذ علي العميم يأتي ويؤكد أن الالتزام في الأدب الإسلامي منقول عن فكرة الالتزام لدى الوجوديين والاشتراكيين: إذ يقول «فالادب الإسلامي

وقال آخرون: إنها لم تخلق على الأرض. أما قوله تعالى {يُشَبِّهُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} فالقصود به يحقق الله سبحانه وتعالى أعمال المؤمنين وإيمانهم بالقول الحق، وهو في ما قيل شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وما ذكره الأستاذ علي العميم يمثل خلاصة ما ورد في تفسير ابن كثير لهذه الآيات، وهذا لا يخرج عن نطاق موضوعنا، لأن الأدب ما هو إلا فن الكلمة، والأدب الإسلامي هو أدب الكلمة الطيبة الذي يعبر عن الإيمان بالله، وبما جاء في كتابه الكريم عن أسمائه وصفاته ونظرته للإنسان والحياة والكون - فالتصور الإسلامي لله وللإنسان والكون والحياة هو ما جاء في القرآن الكريم عنهم - والتي شبهها الله سبحانه بالشجرة الطيبة وقد تكون هذه الشجرة هي النخلة التي تطرح ثماراً خيرة، بل كل جزء فيها فيه منافع للناس، والكلمة الخبيثة هي الشرك بالله كقول صلاح عبد الصبور «الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم» أليس في هذا القول شرك بالله؟ ألا يعد مثل هذا القول كلاماً خبيثاً؟ وهل من الضروري أن يذكر المفسرون في تفسيرهم لهذه الآيات المقصود بها الأدب حتى يؤمن الأستاذ على العميم إنه يقصد بها من ضمن مقاصدها الأدب؟ إنها تخص الكلمة أيًا كان نوعها سواء كانت شعراً أم نثراً، أم كلاماً عابياً، فالكلمة الطيبة صدقة، وماذا يقول الأستاذ العميم عن الآيات التي نزلت في الشعراء، فهي تحدد ذات الموقف من الشعراء المؤمنين والشعراء الغاوين، والشعر فن من فنون الأدب؟ ثم من قال إن الأدب مسألة كمالية أو ترفهية؟ إن الأدب الإسلامي رسالة سامية تهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية والرفق بها إلى مراتب عليا من الإيمان بالله وعدم الشرك به وإلى الطهر والعفاف، فهو وسيلة من وسائل

الإصلاح، ولذا خص الله عز وجل الشعراء بسورة سميت باسمهم أوضح فيها موقفه من الشعر الصالح والشعر الطالع، والشعر أليس أدباً؟

مما ينبغي أن يدركه شبابنا أن القرآن الكريم المنبع الأساسي الذي تستقي منه أسس وقواعد ومناهج العلوم كما هو كتاب شريعة وحياة، فكما استقيناه منه تعريف الأدب الإسلامي، استقيناه منه موقفه من الشعر والشعراء، واستقيناه منه خصائص القصة، وأسسها وقواعدها، ورسائل جامعية كثيرة بحثت في مجال القصة في القرآن الكريم.

وفي التاريخ استقيناه منهج التفسير الإسلامي للتاريخ في الكتابة التاريخية من نظرة الإسلام لله عز وجل ومن نظرته للإنسان والكون والحياة، ومن نظرته للزمان والأحداث، فلقد عبر القرآن الكريم عن حركة التاريخ (بالسنن) يقول تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)، كما تستوقف المؤرخين هذه الآية التي تضع لهم قاعدة تحري الخبر {يا أيها الذين آمنوا إن جاحكم فاسق بنياً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين} بينما يجد علماء الجغرافية من الآيات التي تستوقفهم قوله تعالى: {والأرض وما بها} ليستدلوا بها على كروية الأرض، أما علماء الإدارة فتستوقفهم الآية التالية {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى (النجم/ ٣٩ - ٤١).

فهذه الآيات الثلاث تتضمن توجيهات ثلاث تعتبر منطقاً للفكر الإداري كما يقول الدكتور حمدي أمين عبد الهادي في كتابه (الإدارة العامة العربية المعاصرة سبقت المفكرين الغربيين الإداريين)، ولا يتسع المجال هنا لذكر هذه التوجيهات الثلاث. وكذا الحال بالنسبة لبقية العلوم، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم يحتاج إلى مجلدات، ولكن مع هذا نجد



كانت نظرة غير ودية» وكأنه يريد بهذا التشويش على مكتب الرابطة في المملكة، وليثبت صحة ما ذهب إليه وقع في أخطاء منها قوله إن «الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تعج منذ عقود طويلة باكاديميين وأساتذة ومشايخ إخوانيين وذلك رداً منه على قولي إن جامعة الإمام والجامعة الإسلامية هما أول من تبني فكرة الأدب الإسلامي، وأنه بعيد عن الحركات السياسية في الهند ومصر وسورية كما زعم الأستاذ العميم، وفاته أن تبني الأدب الإسلامي قرار يتخذه

المسؤولون بالجامعة، وليس

بعض أساتذتها، ومعالي

الدكتور عبد الله بن عبد

الحسن التركي كان

مديراً لجامعة الإمام

آنذاك وهو صاحب

القرار فهل كان

إخوانياً؟ وهل كان

مدير الجامعة

الإسلامية إخوانياً؟

وأقول هنا إن الرئاسة

العامة لتعليم البنات تدرس في

جميع كلياتها وأقسام الدراسات

العليا بها الأدب الإسلامي، فهل يوجد في هذه

*** كل منجزات
الحضارة الإسلامية والمثل
الإسلامي اختلقوا لها
مرجعيات غربية ***

**** الأدب الإسلامي، رسالة
سامية غايتها تهذيب
الخصائص الإنسانية ***

الكليات عناصر إخوانية؟.

يا أخي الفاضل إن تبني جامعتين إسلاميتين

والرئاسة العامة لتعليم البنات الأدب الإسلامي نابع

من أهدافها ورسالتها التعليمية، وهو أمر طبيعي،

فإن كنا نحن في مهد الإسلام ومهبط الوحي لا نعمل

على إعادة الهوية الإسلامية لأبنائنا وتنقيته مما علق

به من شوائب التقريب والإلحاد فمن يقوم بهذا الدور

بغض النظر عن وجود رابطة لهذا الأدب أم لم

الأستاذ علي العميم مُصرّاً على استبعاد القرآن الكريم من مفهوم الأدب الإسلامي، والالتزام في هذا الأدب ليثبت فكرة سابقة مبيتة، وهي القول إن الالتزام في الأدب الإسلامي منقول عن الوجوديين والاشتراكيين، وكما يبدو أن الأستاذ علي العميم لم يتأثر بفكر المستشرقين فقط، وإنما تأثر أيضاً بمناهجهم فلقد سار على منهجهم وهو التبييت لفكرة مسبقة، ولي الأحداث والروايات لياً لتؤيد ما يريدون إثباته مع تجاهل كل الحقائق والأدلة والبراهين التي تدحض تلك الفكرة، فلقد تجاهل

الأستاذ علي العميم الآية

القرآنية التي استقي منها

الالتزام في الأدب

الإسلامي، والتي تثبت

مشروعية هذا الالتزام

وأصالته لأنه يريد أن

يثبت أنه مأخوذ من

الاشتراكيين

والوجوديين.

ثانياً: كما نجده لقد

اتبع ذات المنهج ليثبت

الفكرة التي بُنيَ لها وهي

ربط الأدب الإسلامي بالاهداف

السياسية للإخوان المسلمين مما دفعه الى

استطراد في غير محله أخرجه عن صلب الحوار

الذي نحن بصدد، وهو مصطلح الأدب الإسلامي

ومفهوم هذا الأدب ودلالاته وخصائصه لتوضيح

الرؤى، وإزالة أسباب الاختلاف حوله، وجره هذا الى

الخلط بين الأوراق، فأخذ يتحدث عن تاريخ الإخوان

المسلمين، مؤكداً أن الأدب الإسلامي فكر إخواني،

ثم نجده يشير إلى موقف الإخوان من الدولة

السعودية، وأن «نظرتهم للتجربة الإسلامية السعودية

قطب، وهي بعيدة كل البعد عن الفكر السياسي للإخوان.

كما أن محاولته ربط الأدب الإسلامي بالفكر السياسي للإخوان دفعه إلى جعل الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا والدكتور عماد الدين خليل أسماء إخوانية فكراً وتظليراً، مع أنهما ليسا من الإخوان.

الذي أريد أن أقوله، والحقيقة التي ينبغي أن يدركها الجميع أن الأدب الإسلامي لا ينتمي إلى أية جماعة، فهو

موجود منذ بزوغ فجر

الإسلام، وعندما طبع

أدبنا المعاصر بالطابع

الغربي دعا فضيلة

الشيخ أبو الحسن

الندوي - رحمه الله -

إلى الدعوة إلى الأدب

الإسلامي، فكان

صاحب الدعوة الأولى

إليه في عصرنا الراهن،

وليس صاحب الدعوة إليه

على الإطلاق كما فهم الأستاذ

علي العميم، وسياق الكلام يوضح هذا.

كما أريد أن أوضح أن رابطة الأدب الإسلامي

رابطة أدبية محضة بعيدة كل البعد عن الصراعات

الحزبية والسياسية، وهذا ما نص عليه نظامها

الأساسي، وقد قامت لتأصيل هذا الأدب وأعادت إليه

الهوية الإسلامية التي افتقدتها؛ إذ أصبح خليطاً من

مذاهب شتى لا تنتمي إلى الإسلام بصلة، وإن كان

قد أسهم بعض الإخوان المسلمين في التنظير لهذا

الأدب فلا يعني هذا أنه أدب ينتمي إلى فكر إخواني

أو أية جماعة إسلامية فهو أدب إسلامي مستقى

توجد؟ وهل نحن في حاجة إلى أن يوجهنا الإخوان المسلمون إلى هذا الواجب؟ المقروض أن يقرر الأدب الإسلامي في المدارس والجامعات في جميع دول العالم الإسلامي ولا يقتصر على بعض الجامعات الإسلامية بها، ومن غير الطبيعي ألا يقرر هذا الأدب في مدارس وجامعات العالم الإسلامي، وأن يحارب من قبل أبناء الإسلام؟.

كما أن محاولة الأستاذ علي العميم إلصاق الأدب الإسلامي بالفكر السياسي للإخوان المسلمين أوقعته في خطأ آخر عندما قال إن

مادة التوحيد التي درسها في

المرحلة الثانوية هو التوحيد

كما يتصوره محمد قطب

نقلاً عن أخيه سيد

قطب، وهذا خطأ

فادح لأنه من المعروف

أن منهج التوحيد

المقرر في مدارسنا

على اختلاف المراحل

الدراسية منذ بداية

التعليم النظامي في

مدارس البنين والبنات حتى

الآن هو من كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فدللتنا

تسير على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ

قيام العهد التاريخي بين الإمام محمد بن سعود

والشيخ محمد بن عبد الوهاب، عام ١١٥٨هـ، ولا

يزال هذا العهد قائماً، ومنهج التوحيد الذي درسته،

ويدرسه الآن طلابنا وطالباتنا هو من كتاب التوحيد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب، أما عن الحديث

والثقافة الإسلامية المقررة الآن على أولى ثانوي

مأخوذة من ٨٧ مرجعاً منها ستة مراجع لمناق

القطان، وثلاثة مراجع لسيد قطب، ومرجعان لحمد

**** جمهرة من أدباء
العربية خرجوا لتأجيلهم
من قيم الفضيلة وثوابت الأمة
أولئك الذين نجروا
على ثوابت الأمة، لن
يحجبوا الشمس يوماً
من الأشراق.**



الأدب تهذيب النفس الإنسانية والسمو بها الى مراتب عليا من الطهر والعفاف وليس الانحطاط بها الى أدنى مراتب الحيوانية فهل الكتابة في الجنس تستحق منك التضحية والتعرض للسجن؟ فهاجت وماجت وأنكرت أنها كتبت في الجنس.

أما عن قول الأستاذ علي إن ردي عليه يفتقر الى الدقة في النقل، فأتنا لم أنسب إليه قولاً لم يقله، وعدم نقلي نص كلامه فذلك للاختصار لطول الموضوع فاككتيت بذكر مضامين أقواله، مع أنني ذكرت بعضها بالنص.

ثالثاً: إصرار الأستاذ علي العميم على تشويه صورة الصحابي الجليل شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) حسان بن ثابت - رضي الله عنه - وهذا يؤكد أنه يسير على نهج المستشرقين فهذا منهجهم فهم يبحثون وينقبون عن الروايات الضعيفة والموضوعة ويعرضونها كحقائق واقعة لخدمة أغراضهم، في النيل من الإسلام وتشويه صورة رجاله، ولعل الأستاذ علي العميم يريد من هذا أن يقول: ما دام شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد تغنى بالزمر، وقال غزلاً فاحشاً فلا جناح على شعراء مثل نزار قباني أن يقولوا ما يقولونه، إذ لا قيمة ولا أهمية لوجود أدب إسلامي.

في النهاية أقول: كم أنا حزينة أن ينظر الى الاسلاميين هذه النظرة من قبل مثقف مسلم مثل الأستاذ علي العميم، هل الإسلام بات غريباً بين بني الإسلام الى هذا الحد حتى يسمه بعض أبنائه بالإفلاس وسرقة أفكار الآخرين؟ وهل باتت محاربة الفكر الإسلامي بإلصاقه بالسياسة التي سنّها أعداء الإسلام قاعدة لؤاده والقضاء عليه من قبل الحكومات الإسلامية؟ ألم يدرك الأستاذ علي العميم أنه برده هذا قد طعن الأدب الإسلامي والاسلاميين بخناجر المستشرقين المسمومة؟.

أساساً من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فأتنا مثلاً كتبت دراسة بعنوان كيف نعد الأديب الإسلامي قبل نشأة رابطة الأدب الإسلامي ونشرت هذه الدراسة في جريدة الجزيرة عام ١٤٠٢ هـ، وتحدثت فيها عن وجوب إيجاد نظرية نقدية للأدب منبثقة من التصور الإسلامي، كما تحدثت فيها عن الإلزام والالتزام والفرق بينهما، وهنا أعتب على الأستاذ علي العميم لقوله إنني عندما تحدثت عن الإلزام والالتزام تحدثت وكأنني أتيت بشيء جديد، ولست أدري من الذي أوهى إليه بذلك؟ فأتنا لم أوضح الفرق بينهما إلا رداً على قوله «فكرة الالتزام أو الإلزام (لا فرق) انحسرت... الخ» أما قوله «إن كان ثمة جديد في تفردك، فهو سقم التفرقة لأنك تقولين إن الأديب الماركسي ملزم وليس بملتزم...» الى أن يقول متسائلاً: «ماذا تقولين في الأديب الماركسي الملتزم في تركيا وفي أمريكا اللاتينية وفي البلدان العربية التي عرضت حكوماتها شيوعيتها للتتكيل والعذاب والسحل والقتل، هل كان هؤلاء ملزمون أم كانوا يصدرون عن قناعة داخلية خالصة؟ وإن أضرب أمثلة لأدباء ماركسيين ملتزمين في أنظمة أوروبية ديمقراطية. وأقول هنا: «إن هذا لا يلغي أن الدول الشيوعية والاشتراكية تلزم أدبائها بسياسة وفكر الحزب الحاكم، أما الذين تحدثت عنهم فهذا ناتج عن الضياع والفراغ الذين يعيشونهما فلم يجدوا هدفاً يجاهدون ويكافحون من أجله ليقال عنهم أبطال ويشار إليهم بالبنان سوى الشيوعية، فلم يسجنوا ويعذبوا عن قناعة خالصة كما تقول، وأمثال هؤلاء كثر من طلاب الشهرة وإظهار البطولة والثبات على ما يؤمنون به ففي مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة قاتل الأستاذة ليلى العثمان إنها اخترقت المحاذير الثلاثة الدين والسياسة والجنس، وأنها الآن تحاكم في بلدها وإن تتنازل عن مبادئها حتى ولو سجن، وعندما واجهتها وقلت لها إن الهدف من

الصحابية .. محدثون وفقهاء من خلال بعض كتابات ابن حزم

ثانيهما: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام .
ويهدف هذا العرض إلى إبراز مدى إسهام ابن حزم في هذين الجانبين المذكورين .

تعريف الصحابي لغة واصطلاحاً: الصحابي لغة:

جاء في لسان العرب [١] صحبه يصحبه مُحْبَة بالضم وصحابة بالفتح، وصاحبه: عاشره والصحب جمع صاحب مثل راكب وركب . والاصحاب: جماعة الصحب مثل فرخ وأفراخ . والصحاب المعاشرون . والجمع أصحاب وأصحاب وصحبان مثل شاب وشبان . وصحاب مثل جائع وجياع . وصحب وصحابة وصحابة حكاهما جميعاً الاخفش، وأكثر الناس على الكسر نون الهاء (صحاب) وعلى الفتح معها (صحابة) .

قال الجوهري: الصحابة بالفتح الاصحاب، وهو في الاصل مصدر، وجمع الاصحاب اصحاب، وأما الصحبة والصحب اسمان للجمع، ويقال صاحب وأصحاب كما يقال شاهد وأشهاد وناصر وأنصار .

ولا خلاف بين أهل اللغة في أن القول «صحابي» مشتق من الصحبة، وأنه ليس مشتقاً من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً .

فيوقع اسم المصاحبة بقليل منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة اجراء هذا على من صحب النبي (صلى الله عليه وسلم) ولو ساعة من نهار، هذا هو الاصل في اشتقاق الاسم، ومع ذلك فقد تقرر للامة عرف في أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت

الإسلام بين علم وعمل، امتدح العلم ورغب فيه، وأعلى من شأن العلماء وحقق على مجالستهم والنهل من معارفهم، ولقد كان الصحابة أول هذه الامة اطلاعا على الإسلام في ينابيعه الأولى ومعرفة بمصادره حق المعرفة، فكان التعريف بهم وضبط أسمائهم وتتبع مروياتهم وحصر عندها أمراً ذا بال من الناحية العلمية، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حفظوا السنن النبوية وبلغوها وأبوا ناصحين محسنين .
وإن لكلام الصحابة اعتباراً في التشريع . فقد جعل كثير من الفقهاء الموقوفات على الصحابة بمنزلة المرفوعات الى النبي (صلى الله عليه وسلم) في لزوم العمل بها وتقديمها على القياس والحاكها بالسنن .

ولذلك فإن معرفة أصحاب الفتيا من الصحابة من الأمور المطلوبة لدى الفقهاء والمجتهدين .

إن اختياري لهذا الموضوع، راجع الى الأهمية البالغة للحديث والفقه في التشريع الإسلامي، إذ لا فقه من غير حديث ولا حديث من غير فقه كما قال الشيخ محمد الفزالي . وعلماء الامة كما يرى ابن القيم منحصرون في قسمين:

أحدهما: حُفَظ الحديث وجهابذتهم الذين حفظوا السنن النبوية وحملوها من التغيير والتبديل وبلغوها كما سمعوها نقية صافية .



بقلم الدكتور: صباح زخيني

جامعة محمد الأول - كلية الآداب والعلوم الانسانية - المغرب

وراء ذلك أقوال أخرى شاذة، كقول من قال: لا يعد صحابيا الا من وصف بأحد أوصاف أربعة: من طالت مجالسته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنه غزا معه أو استشهد بين يديه، أو كذا من اشترط في صحة الصحبة بلوغ العلم أو المجالسة ولو قصرت.

قال ابن حزم: «وليس كل من أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) ورأه صحابيا، ولو كان ذلك لكان أبو جهل من الصحابة، لأنه قد رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) وحادثه وجالسه وسمع منه، وليس كل من أدركه عليه السلام ولم يلقه ثم أسلم بعد موته عليه السلام أو في حياته - الا انه لم يره - معدودا في الصحابة، ولو كان ذلك لكان كل من كان في عصره عليه السلام صحابيا، ولا خلاف بين أحد في أن عقبة والاسود ليسا صحابيين، وهما من الفضل والعلم والبر بحيث هما، وأسما في أيام النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد كانا عالمين جليين أيام عمر» [7].

لم يخالف ابن حزم في هذا التعريف الجمهور إلا أنه ليس على صناعة الحدود والتعريفات محورا دقيق العبارة.

ويشمل مصطلح الصحابة الاحرار والموالي والذكور والاناث لان المراد به الجنس.

طرق اثبات الصحبة:

ثبتت الصحبة بأحدى الطرق التالية [8]:

أولا: تواتر العلم بذلك كصحبة العشرة المبشرين بالجنة، وهم الخلفاء الاربعة وسعد بن أبي وقاص وسعد بن زيد وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح.

ثانيا: استفاضة العلم بذلك من غير أن يبلغ حد التواتر كصحبة ضمام بن ثعلبة وعكاشة ابن محصن وغيرهما.

ثالثا: اخبار صحابي معلوم الصحبة انه صحابي كاخبار أبي موسى الاشعري بصحبة حمزة بن أبي حمزة الدوسي.

رابعا: ادعاء الصحبة من شخص معلوم العدالة قبل سنة ١١٠هـ للخبر الواحد عن النبي (صلى الله عليه وسلم).

صحبه واتصل لقاؤه، ولا يجرون ذلك على من لقي المرء ساعة ومشى معه خطأ وسمع منه حديثا، فوجب لذلك أن لا يجري هذا الاسم في عرف الاستعمال الا على من هذه حالة [2].

الصحابي اصطلاحا:

عرف جمهور العلماء الصحابي بكونه من لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) مؤمنا ومات على الايمان [3]. فهذا تعريف جامع مانع، فيالقيد الاول «من لقي» يخرج كل من لم يلقه (صلى الله عليه وسلم) وان أدركه وأسلم كانجاشي.

ولا يشترط الرؤية اذ يوجد من هو معدود في الصحابة من غير خلاف ولم يره لعارض كالعلمي شأن الصحابي الجليل ابن أم مكتوم.

ولا يشترط أيضا أن يغزو معه أو أن يحدث عنه أو أن يطيل صحبته لشرف مجرد رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) ولو لحظة لنزلته عند الله تعالى، فقد قيل: إذا رآه مسلم أو رأى مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة لانه بإسلامه متبهي للقبول، فاذا قابل ذلك النور العظيم أشرف عليه فظهر أثره على قلبه وعلى جوارحه [4].

ويخرج بهذا القيد من رآه بعد موته (صلى الله عليه وسلم) قبل دفنه فلا يكون صحابيا كثيبي الهذلي الشاعر.

وبالقيد الثاني «مؤمنا به» يخرج كل من رآه كافرا، وهذا كثير، فقد لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) جمع من أهل الشرك والكفر ولم يسموا صحابة لمجرد ذلك، كثيبي جهل وأضرابه.

ويخرج به أيضا من كان مؤمنا بغيره، كزيد بن عمرو بن نفيل أو غيره من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة الشريفة، وبه جزم ابن حجر في مقدمة الاصابة مع انه ترجح له تبعا للبخوي وابن منده وغيرهما [5].

أما بالقيد الثالث «مات على الايمان» فيخرج به كل من لقيه مؤمنا ثم ارتد ومات على ردة. وفي اثبات صحبة من عاد الى الاسلام بعد ردة خلاف بين العلماء [6].

وهذا التعريف - كما يقول ابن حجر - مبني على الاصح عند المحققين.

السابقة، فان قيل: التقييد بالانفاق والقتال يخرج من لم يتصف بذلك، وكذلك التقييد بالاحسان في الآية السابقة، وهو قوله تعالى **{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِأَحْسَنِ** (التوبة/ ١٠٠)، يُخْرَجُ من لم يتصف بذلك، فالجواب: إن التقييدات المذكورة خرجت مخرج الغالب، والا فالمراد من اتصف بالانفاق والقتال بالفعل أو القوة» [١٢].

وقد خالف هذا الرأي بعض الأصوليين، فقد حكى الأمدي وابن الحاجب قولا أنهم كثيرهم في لزوم البحث عن عدالتهم مطلقا.

وقال آخرون أنهم عدول الى وقت الفتن، فأما بعد ذلك فلا بد من البحث عما ليس ظاهر العدالة، وذهب المعتزلة الى ردة من قاتل عليا، وقيل لا يحكم بعدالة من دخل منهم في فتنة من الفتنة الواقعة من حيث مقتل عثمان رضي الله عنه كالجمل وصفين من الفريقين الا بعد البحث عنها.

وحصر بعضهم العدالة فيمن اشتهر منهم وطالت ملازمته لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال المازري في شرح البرهان: «لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رآه (صلى الله عليه وسلم) يوما ما أو زاره أو اجتمع به لفرض وانصرف عن قريب، وإنما نعني به الذين لازموه ونصروه» [١٤].

ولكن ماذا يقصد بالعدالة؟

قال ابن الانباري: «وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف يبحث عن اسباب العدالة وطلب التزكية الا إن ثبت ارتكاب قاذح ولم يثبت ذلك ولله الحمد» [١٥].

تفضيل الصحابة بعضهم على بعض:

يتفاوت الصحابة في الافضلية اجمالا ثم تفصيلا. فأما بالاجمال، فتفضل طبقة من تقدم اسلامه بمكة ثم طبقة أصحاب دار الندوة ثم طبقة المهاجرين الى الحبشة ثم اهل بيعة العقبة الاولى ثم اهل العقبة الثانية. وقد يفضل اهل بدر ثم من أسلم قديما ممن هاجر الى الحبشة وشهد أحدا ثم من شهد الخندق فما بعدها ثم مسلمة الفتح وأخيرا الصبيان والاطفال ممن لم يَغْزُ. وأما بالتفصيل، فيفضل أبو بكر على سائر

وسلم» [٩]: «ما من نفس منقوسة اليوم تأتي عليها مئة سنة وهي حية يومئذ، ولذلك اشتراطوا أيضا المعاصرة للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وكل ادعاء للصحية بعد هذا التاريخ مردود كادعاء جعفر بن نسطور الرومي الصحية بعد سنة ٢٠ هـ.

عدالة الصحابة:

الصحابة كلهم عدول ويساطهم مطوي كما قال الامام الذهبي، عدلهم الله سبحانه وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فقال تعالى: **{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}** (التوبة/ ١٠٠).

وقال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَبِرَّاقٌ كَرِيمٌ}** (الانفال/ ٧٤).

وفي السنة اذلة اخرى تثبت عدالتهم منها قوله (صلى الله عليه وسلم) (خير امتي القرن الذي بعث فيه ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) [١٠] وقال أيضا: «الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخونهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. من آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» [١١]. وأما في الإجماع فقد اتفقت كلمة علماء الأمة - إلا من شذ - على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الامام الجويني وقد حكى الإجماع على القول بعدالتهم: «ولعل السبب فيه أنهم نقلت الشريعة فلو ثبت توقف في روايتهم لانتحصرت الشريعة على عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولما استرسلت على سائر الأعصار» [١٢].

ويرى ابن حزم ان الصحابة كلهم عدول لا نستثني منهم احدا، خلافا لمن قال بعدالة طائفة منهم فقط واخرج من شارك في فتنة أو ارتكب معصية أو رأى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يلزمه. قال ابن حزم: «الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال الله تعالى: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَطْعَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَكَدَّ اللَّهُ الصَّاعِنَ} (الحديد/ ١٠). وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَةُ أُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَةُ} (الأنبياء/ ١٠٦). قال فثبت ان الجميع من اهل الجنة، وانه لا يدخل احد منهم النار، لانهم المخاطبون بالآية



حزم: نقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعوا الا أننا لا نقطع بفضل أحد منهم على صاحبه كعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعلي وجعفر وحمنة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من نظرائهم، ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم اهل بدر ثم اهل المشاهد مشهدا مشهدا.

عدد الصحابة :

يصعب حصر عدد الصحابة لعدة أسباب نذكر منها: [٢١]

- دخول عدد كبير من الناس في الاسلام ومبايعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غير أن تعرف أسمائهم، فقد كانوا يقدون من البوادي والاقاليم في جماعات يبايعون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم يعودون الى بلادهم من غير أن تذكر أسمائهم كما وقع في العام التاسع للهجرة وهو العام المشهور بعام الوفود.

- تفرقتهم في المدن والبوادي، وكثير منهم لم تعرف له رواية فلم يعرف اسمه ولذلك فإن حصر عددهم متعذر لهذا السبب أيضا.

- اختلاف العلماء في صحة عدد منهم.

ومن ذكر عددهم انما على وجه التقريب، فقد قال كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة تخلفه عن غزوة تبوك: «وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كثير لا يجمعهم كتاب حافظ» [٢٢].

وقال أبو زرعة: «شهد معه (صلى الله عليه وسلم) غزوة تبوك سبعون ألفا» [٢٣].

ونقل عنه قوله: «توفي النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف انسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماع أو رؤية» [٢٤].

ونذكر في رواية أخرى أنهم مائة ألف وأربعة عشر ألفا [٢٥].

ويرى ابن فتحون أن هذا العدد الذي ذكره أبو زرعة خاص بالصحابة الرواة وليس جملة الصحابة [٢٦].

الصحابة المحدثون :

ألف ابن حزم رسالة في بيان عدد مرويات الصحابة الذين عرفت عنهم رواية الحديث وهي في حقيقتها ترتيب لرسالة الحافظ بقي بن مخلد القرطبي (نكر ما للصحابة من العدد) [٢٧].

الصحابة بل هو أفضل الناس مطلقا بعد الانبياء، قال فيه عليه الصلاة والسلام: (ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر) [٢٨]، ثم يليه عمر بن الخطاب ولم يختلف في ذلك أحد من أئمة السلف ولا الخلف، ولا عبرة بقول أهل التشيع، ثم يليه عثمان بن عفان وهو قول أكثر أهل السنة وخالف بعضهم وقدم عليا، والتوقف في تفضيل أحدهما عن الآخر أولى كما ذهب الى ذلك جمع من العلماء منهم مالك ويحيى ابن سعيد القطان ومن المتأخرين ابن حزم.

وهؤلاء هم الخلفاء الاربعة المفضلون على غيرهم وبالسنة الباقيين يكتمل العشرة الذين بشرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بالجنة [٢٩].

رأي ابن حزم في موضوع المفاضلة بين الصحابة:

كتب ابن حزم رسالة خاصة في المفاضلة بين الصحابة اشتمل عليها كتاب الفصل [٣٠] وطلعت مفردة [٣١]. يتجه ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة الى تفضيل الطبقات لا الى تفصيل الأشخاص عموما، ولكنه لا ينجم من التفضيل الشخصي أيضا.

يرى ابن حزم أن أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمهات المؤمنين يقرر ذلك لأن الله تعالى اختصهن بأن جعلهن من بين نساء العالمين في جوار رسوله الامين، وهن فوق ذلك كن القانتات العابדות الصالحات الصابرات، يفضلهن على سائر الناس رجالا ونساء ومنهم فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهي دون أمهات المؤمنين في الافضلية في رأيه.

ويذهب أبو زهرة الى أن هذه التفرقة بين نساء النبي وبناته خطأ، يقول: «ولذلك أخالف ابن حزم وأحسب قوله هذا من شدة رغبته الاموية ومقاومته للشيعة لانهم هم الذين كانوا يدعون ما يدعون على أساس نسبتهم لفاطمة وعلي» [٣٢].

ثم يلي أمهات المؤمنين في الافضلية أبو بكر وعمر، ويجتهد ابن حزم في اثبات المصحح والادلة على تفضيلهما على علي، من ذلك أن أبا بكر أكثر فتوى ورواية منه اذا قيست الفتاوى والرواية بالمدة التي عاشها بعد النبي (صلى الله عليه وسلم).

ولكن حينما يتحدث عن علي ومعاوية فانه يقول بالتوقف لأن فضائلهما تتفاوت في الأكثر ولأن التفضيل الشخصي هنا غرض من مقام المفضل عليه. ومع ذلك فان في كلامه ما يدفع الى ترجيح عثمان على علي. يقول ابن

طريقته في عرض عدد مرويات الصحابة:

يبدأ ابن حزم هذه الرسالة بذكر المكثرين من الصحابة وهم سبعة زادت مروياتهم عن ألف حديث ثم أصحاب المئين ثم أصحاب المائتين ثم أصحاب المائة ثم أصحاب العشرات ثم أصحاب العشرين ثم أصحاب التسعة عشر وهكذا الى أن ينتهي الى أصحاب الافراد[٢٨].

يكفي ابن حزم كغيره ممن القوا في هذا الموضوع بذكر اسم الصحابي ثم عدد مروياته، مثاله:

١ - أصحاب الالف: أبو هريرة، خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً.

٢ - أصحاب الالفين وما زاد عنها: عبد الله بن عمر: ألفا حديث وستمئة وثلاثون حديثاً.

ومن الملاحظ أن لابن حزم معلومات وفوائد أخرى غير العدد فهو يذكر مثلاً مظان الحديث النبوي التي اعتمدها من أجل حصر هذه الاعداد.

فوائد حصر عدد مرويات كل صاحب:

لمعرفة عدد مرويات كل صاحب فوائد مهمة من الناحية الحديثية، فيفضل ذلك كتشف الوضع، فنسبة أي حديث زائد على المعروف الى الصحابي مدعاة الى التوقف، فقد يكون الحديث الزائد صحيح النسبة الى صاحبه ولم يعرفه من حصر العدد، وقد يكون موضوعاً على الصحابي.

علم الصحابة بالسنن:

يتفاوت الصحابة في العلم بالسنن النبوية، فقد كان منهم اللازم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) المتتبع لسنن، وكان منهم من يحضر المجلس والمجلسين ويشغله الصفاق في الاسواق أو الضرب في الارض، وكان منهم المقيم والظاعن، ويمكننا ان نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم «بأحد وجهين لا ثالث لهما:

أحدهما: كثرة روايته وقناويه.

والثاني: كثرة استعمال النبي (صلى الله عليه وسلم)

له.

فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) من لا علم له، وهذا أكثر شهادات على العلم وسعته[٢٩].

وهذا لا يكفي لمعرفة علم الصحابي وروايته لان

بعض الصحابة الذين عُرِفَ ملازمتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم) وسبقهم للاسلام بالتواتر كثيرون وعمر الذين حملوا علماً كثيراً عنه عليه الصلاة والسلام لم يظهر علمهم كله لنا وبخاصة ابو بكر لانه لم يعيش كثيراً بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لِحُتَاج اليه كما احتجج الى غيره، فامتداد عمر الصحابي الي جانب الوجهين السابقين الذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا عن علمه ومروياته، كما ان ظهور أمور جديدة في الحياة مع مر الزمان يكشف عن علم الصحابة لانه يُحْتَاج الى ما عنده تجاه تلك الامور المستجدة، وفي هذا يقول ابن حزم: ثم وجدنا الامر كلما طال كثرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم، فوجدنا حديث عائشة رضي الله عنها ألقى مسند ومائتي مسند وعشرة مسانيد[٣٠].

المكثرون من الصحابة:

ولئن تفاوتت الصحابة في العلم بالسنن فقد برز منهم كثيرون زاد حديثهم على ألف وهم سبعة. ذكرهم ابن حزم في رسالته فقال:[٣١]

- أبو هريرة ٥٣٧٤.

- عبد الله بن عمر ٢٦٣٠.

- أنس ٢٢٨٦.

- عبد الله بن عباس ١٦٦٠.

- جابر بن عبد الله ١٥٤٠.

- أبو سعيد الخدري ١١٧٠.

وذهب صاحب الالفية الى أنهم ستة فقال:[٣٢]

..... والمكثرون ستة

أنس وابن عمر، الصديقه

البحر، جابر، أبو هريرة

أكثرهم والبحر في الحقيقة

ثم يلي هؤلاء المكثرين أحد عشر صحابياً لكل واحد منهم أكثر من مائتي حديث، ثم الذين روى أكثر من مائة حديث، ثم عدد كبير من أصحاب العشرات ممن يقرَّبون من المائة، ثم عدد ممن لهم عشرة أحاديث أو أقل من ذلك، ثم جمع ممن لهم الحديث الواحد أو الحديثان.

رأي ابن حزم في مسألة الاكثار من

الرواية عند الصحابة:

ناقش ابن حزم ما نقله العلماء من ذم عمر بن الخطاب الاكثار من الرواية ونهيه الصحابة من ذلك،



الصحابة فقهاء :

حظي الجانب الفقهي عند الصحابة في كتابات ابن حزم باهتمام كبير، أثار فيها مسائل كثيرة كحمية عمل أهل المدينة واجتهاد الصحابي وحكم تقليده، وبين أيضا أصحاب الفتيا منهم ومراتبهم، مكثرين كانوا أو أقلين، وله كتاب «الإيصال إلى فهم كتاب الخصال» وهو شرح لكتاب «الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام والحلال والحرام والسنة والاجماع» أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في المسائل الفقهية، والحجة لكل قول، وهو كتاب كبير [٣٦].

رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة: [٣٧]

قسم ابن حزم أصحاب الفتيا من الصحابة أقساما ثلاثة:

- المكثرون وهم سبعة: عائشة - عمر - علي - ابن مسعود - ابن عمر - زيد بن ثابت - وعبد الله بن عباس.
قال ابن حزم: يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد من هؤلاء مجلد ضخمة.
والمتوسطون ثلاثة عشر وهم: أبو بكر - أم سلمة - أنس - أبو سعيد الخدري - أبو هريرة - عثمان بن عفان - عبد الله بن عمرو بن العاص - عبد الله بن الزبير - أبو موسى الأشعري - سعد بن أبي وقاص - سلمان - جابر - معاذ.

- المقلون وهم الباقيون من الصحابة أصحاب الفتيا.
قال ابن حزم: والباقيون رضي الله عنهم مقلون في الفتيا لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسائلان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط، يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير [٣٨].

ورغم أن ابن حزم يؤلف هذه الرسالة القيمة في أسماء الصحابة الفقهاء وكذا من جاء بعدهم، فإنه لا يعتقد بقول الصحابة ولا يراه حجة، ويرد تقليده سواء أكان المقلد مجتهدا أو عاميا، بل إنه يعد التقليد بدعة محرمة استحدثت بعد عصر أتباع التابعين، ولا قول إلا بما جاء بنص القرآن أو كلام صحيح النقل عن النبي [صلى الله عليه وسلم] أو نتائج مأخوذة من مقدمات صراح من هذين الوجهين.

ويجتهد ابن حزم في البحث عن الأدلة التي يحسبها مقنعة في الدلالة عن منع تقليد الصحابي، منها أن الصحابة لم يكونوا مطلعين على كل السنن فصار علمه

ويرى أن رواية الحديث خير وأن الاكثار من الخير خير. يقول ابن حزم: وقبلهم هذا داحض بالبرهان الظاهر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وهو أنه يقال لمن ذم الاكثار من الرواية: أخبرنا عن الرواية لحديث رسول الله [صلى الله عليه وسلم] أخير هي أم شر؟ ولا سبيل إلى وجه ثالث فإن قال هي خير فالاكثار من الخير خير، وإن قال هي شر فالقليل من الشر شر، وهم قد أخذوا منه ينصيب فيلزمهم أن يعترفوا بأنهم يتعلمون الشر ويعملون به، أما نحن فلسنا نقر بذلك بل نقول إن الاكثار منها لطلب ما صبح هو الخير كله [٣٩].

وقال أيضا: ولبيت شعري إذا كان الاكثار من الحديث شرا فأتين الخير أفي التقليد الذي لا يلتزمه إلا جاهل أو فاسق أم في التحكم في دين الله عز وجل بالآراء الفاسدة التي قد حذر الله تعالى منها وجزع النبي [صلى الله عليه وسلم] عنها [٣٤].

وينفس الطريقة بواصل ابن حزم الرد على من يذم اكثار الرواية، والد على من يقول إن مالكا كان يختصر موطاه، إن غرض ابن حزم من وراء ذلك كله تأصيل الفكرة التي ينادي بها مذهبه ألا وهي الرجوع إلى الكتاب والسنة ودم التقليد.

ولا يتوانى ابن حزم في رد كل خبر يناقض هذه الفكرة مما يثبت أن لظاهره أثر في التصحيح والتضعيف عنده.

رأي ابن حزم في قول الصحابي «السنة كذا»:

لا يدرج قول الصحابي «السنة كذا»، أو «أمرنا بكذا» فهو لا يدرجها في عموم السنة النبوية، فقد يكون ذلك محض اجتهد من الصحابي فيكون قوله «السنة كذا»: «السنة عنده على ما أداه إليه اجتهداه»، ومعلوم أن ابن حزم يمنع التقليد سواء كان المقلد صحابيا أو من دونه.

يقول ابن حزم: إذا قال الصحابي «السنة كذا وأمرنا بكذا» فليس هذا اسنادا، ولا يقطع على أنه من النبي [صلى الله عليه وسلم]، ولا ينسب إلى أحد قول لم يرو أنه قاله، ولم يقر برهانه على أنه قاله، وقد جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] حتى نهانا عمر فانتهينا وقال بعضهم: «السنة كذا» وإنما يعني أن ذلك هو السنة عنده على ما أداه إليه اجتهداه [٣٥].

أثنى على من اتبعهم خصوصا إذا كانوا عواما، أما المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم.

ومنها قوله تعالى: **{اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون}** [٤٤] فكل الصحابة مهتدون وكل واحد منهم لم يسألنا أجرا.

ومنها أيضا قوله تعالى: **{واتبع سبيلا من أناب إلي}** [٤٥] وكل من الصحابة منيب إلى الله فيجب اتباع سبيله.

ومنها أيضا قوله تعالى: **{قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}** [٤٦] فأخبر تعالى أن من اتبع الرسول فإنه يدعو إلى الله، ومن دعا إلى الله على بصيرة وجب اتباعه [٤٧].

الخاتمة :

ليس غريبا أن يهتم ابن حزم بالصحابة باعتباره محدثين وفقهاء أو بأي اعتبار آخر، فهذا موضوع قد كتب فيه العلماء قبله ويعدده، إلا أن الملاحظ أن ابن حزم كان يعرض لمباحث هذا الموضوع وفق قواعد مذهبه الظاهري حتى إنه ليرد النصوص المشهورة الصحيحة باجتهادات وأدلة، ثبوتها أمر نسبي أمام النقد العلمي الرزين، وما في كتاب «الإحكام» خير دليل على ذلك.

والملاحظ أيضا أن ابن حزم في الوقت الذي يؤلف فيه رسالاته في الصحابة المحدثين والفقهاء يمنع تقليدهم، وقد يظن ذلك تناقضا منه، والامر ليس كذلك، فإن في بيانه لعدد مرويات الصحابة مثلا إشارة إلى عدم جواز تقليدهم، إذ كيف يقلد عشرات من الصحابة لا يروي الواحد منهم إلا الحديث والحديثين؟ والأمر نفسه في الصحابة الفقهاء المقلين وهم الأكثر وهو أمر فصل القول فيه ابن حزم في كتابه «الإحكام».

الهوامش :

- (١) لسان العرب، مادة صحب ١/٥٩ - ٥٢٠.
- (٢) الكفاية ٥١ - فتح المغيث ٣١ - السنة قبل التدوين ٣٨٧.
- (٣) الاصابة ١/١٥٨ - فتح المغيث ٤/٧٧.
- (٤) المصدر نفسه.
- (٥) المصدر نفسه ١/١٥٩.
- (٦) الاحكام ٢/٨٢ - ٨٣.

بعضهم خفي عن بعضهم الآخر ثم انهم تفرقوا في الأمصار، مما زاد بعدهم عن معرفة السنن والإحكام التي يعرفونها، وهم بالإضافة إلى ذلك مختلفون في اجتهاداتهم.

يرتّب ابن حزم على هذه الأدلة وغيرها عدم جواز تقليد من لم يكن عارفا بكل السنن والإحكام، وفي حالة اختلاف الصحابة يتساءل ابن حزم: فأي واحد منهم تقلد [٣٩].

وينهل باللائمة على المقلدين ويصفهم بعبارات حادة مثل قوله: ولا أضل، ولا أجهل، ولا أبعد من الله عز وجل ممن يزجر عن تبليغ كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) ويأمر بالآ أكثر من ذلك أو يرد ما لم يوافق مما صرح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بنظره الملعون ورأيه الفاسد وهواه الخبيث ودعواه الكاذبة ثم يفني دهره في الاكثار من تبليغ آراء مالك وأبن القاسم وسحنون [٤٠].

ويبين في المقابل أن الذين يبنون التقليد وينهلون من الكتاب والسنة هم الطائفة التي على الحق.

يقول: «وليعلموا أن طلاب سنن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث كانت والعاملين بها والمتفقهين في القرآن الذين لا يقلدون أحدا هم على منهاج الصحابة والتابعين والأعصار المحمودة، وانهم أهل الحق في كل عصر» [٤١].

في حين يرى بعض العلماء منهم ابن القيم أن الصحابة هم سادة المفتين والعلماء.

قال الليث بن سعد عن مجاهد: العلماء أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم).

وقد صدق، فقد كانوا أئمة أعلاما شهدوا التنزيل وعلموا الناسخ والمنسوخ، وتبعوا السنن النبوية القولية والفعلية واستدركوا ما فاتهم بالسؤال والرحلة وكانوا إلى جانب ذلك على حظ كبير من العلم بقواعد الاستنباط ولذلك كله كانت فتاواهم ذات قيمة كبيرة عند علماء الأمة خلفا عن سلف وأنها أولى بالآخذ بها من آراء المتأخرين وفتاواهم خصوصا إذا اشتهر قول الصحابي في الصحابة، فالذي عليه جماهير الفقهاء أنه إجماع وجبة، وأما إذا لم يشتهر فهو عندهم حجة [٤٢].

وفي وجوب اتباع أقوال الصحابة أدلة كثيرة من القرآن والسنة منها قوله تعالى: **{والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}** [٤٣] ووجه الدلالة هو أن الله تعالى قد



- (٢٨) انظر بن حزم «أسماء الصحابة الرواة» ٢٧٥ المطبوعة مع كتاب جوامع السيرة.
- (٢٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٣٦/٤.
- (٣٠) المصدر نفسه ١٣٨/٤.
- (٣١) انظر رسالة ابن حزم «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد» ٢٧٥ - ٢٧٦ ، الرسالة مطبوعة مع كتاب جوامع السيرة لابن حزم تحقيق د. احسان عباس ود. ناصر الدين الاسد. وانظر أيضا «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث» ليعلي بن مخلد ٧٩ تحقيق د. ضياء العمري.
- (٣٢) شرح ألفية العراقي (التبصرة والتذكرة) ج ٣.
- (٣٣) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم ٢٧٦ - ٣١٥.
- (٣٤) الاحكام ١٣٤/٢ - ١٣٥ - ١٣٦.
- (٣٥) المصدر نفسه.
- (٣٦) المصدر نفسه ٧٢/٢.
- (٣٧) وفيات الاعيان ٣٢٥/٣ - تذكرة الحفاظ ١١٤٧/٣ - السير ١٩٢/١٩ وسماه حاجي خليفة «الفصائل الجامعة لمحصل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام» كشف الظنون ٧٠٤/١.
- (٣٨) وهي رسالة صغيرة في أسماء أصحاب الفتيا من الصحابة وفيمن بعدهم أيضا الى زمن المؤلف، طبع ضمن كتاب جوامع السيرة مع رسائل أخرى بتحقيق د. احسان عباس ود. ناصر الدين الاسد، مع اختلاف في ترتيب أسماء الصحابة، وتوجد أيضا ضمن كتاب الاحكام في اصول الاحكام، نشرها د. احسان عباس ضمن رسائل ابن حزم طبعة مؤسسة الرسالة.
- (٣٩) الاحكام ٩٣/٥ - جوامع السيرة ٣١٩ - ٣٢٣.
- اعلام الموقعين ١ - ١٢ - ١٣ - الاصابة ١٢/١.
- (٤٠) الاحكام ١٣٤/٢.
- (٤١) المصدر نفسه ١٤٤/٢.
- (٤٢) المصدر نفسه ١٤٦/٦.
- (٤٣) اعلام الموقعين ١٢٠/٤.
- (٤٤) سورة يس الآية ٣٧.
- (٤٥) سورة لقمان الآية ٣١.
- (٤٦) سورة يوسف الآية ١٢.
- (٤٧) انظر هذه الأدلة وغيرها في اعلام الموقعين ١٣٣/٤ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٦ وما بعدها.

- (٧) فتح المغيث ٧٩/٤.
- (٨) الكفاية ٥٢ - فتح المغيث ٨٩/٤ - ٩٣ - الباعث الحديث ١٨٥ - علوم الحديث لصبحي الصالح ٣٥٢ - ٣٥٣.
- (٩) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله «صلى الله عليه وسلم» «لا تأت مؤنة سنة وعلى الأرض نفس منقوسة اليوم».
- وأخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن باب ٦٤ حديث رقم ٢٢٥١، وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٢٢/٢.
- (١٠) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي «صلى الله عليه وسلم» أمان لأصحابه ٢٥٣١.
- وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٣٩٩/٤.
- (١١) أخرجه الترمذي، باب فضل من بايع تحت الشجرة ٣٨٦١ (٦٥٣/٥). وأخرجه الامام أحمد في مسنده ٨٧/٤.
- (١٢) البرهان ٦٣٢/١ - فتح المغيث ٩٦/٤ - ٩٧.
- (١٣) المحلى ٢٨/١.
- (١٤) فتح المغيث ٩٨/٤.
- (١٥) ارشاد الفحول ٧٠ - فتح المغيث ١٠٠/٤.
- (١٦) أخرجه الامام أحمد في فضائل الصحابة ١٣٥ - ١٣٧ - وأبو نعيم في الحلية ٣٣٥/٣.
- (١٧) فتح المغيث ١١٥/٤ - ١١٩ - علوم الحديث لابن الصلاح ٢٦٩ - الارشاد للنووي ٤٨٩/٢ - شرح مسلم للنووي ١٤٨/١٥.
- (١٨) انظر الجزء الرابع.
- (١٩) نشرت بتحقيق الأستاذ سعيد الاففاني.
- (٢٠) ابن حزم حياته وعصره لآبي زهرة ٢٨١ - ٢٨٢.
- (٢١) التقييد والايضاح ٣٠٥ - ٣٠٦ - محاسن الاصطلاح ٤٣٢.
- (٢٢) صحيح البخاري.
- (٢٣) فتح المغيث ١٠٨/٤.
- (٢٤) الاصابة ٢/١.
- (٢٥) اختصار علوم الحديث ١٨٥.
- (٢٦) الاصابة ٣/١.
- (٢٧) حققها الدكتور أكرم ضياء العمري بعنوان «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث» وهي جزء من مقدمة المسند المصنف ليعلي بن مخلد.

لينا الكيلاني . . القاصة . . والروائية السورية

فليس من السهل على الكاتب أن يخترق عالم الطفل، والمعروف أن الكتاب الكبار سواء في العالم الغربي أو العربي اتجه بعضهم في آخر مسيرتهم الأدبية للكتابة للأطفال، وبالنسبة لي فإن العالم الجميل يشدني إليه دائماً، وبدأت كتابتي لقصة الطفل بعفوية لأنني كنت في مرحلة عمرية لا تفصلني كثيراً عن عمر الطفولة - عندما بدأت الكتابة - فطلعت تلك الفترة كنت قادرة على مخاطبة عقلية الطفل، وأتقنت هذا الفن بحيث غدا خطاب الطفل ليس صعباً عليّ فخاطبته بسهولة من خلال هذا العالم الفاتن والمشوق دائماً حيث أبقى مسحورة فيه وخلال ثلاثة وعشرين عاماً من مسيرتي الأدبية مع الطفل قدمت له حوالي خمسين مجموعة قصصية صدرت عن دار الأهرام والهلل والمعارف في مصر وعن وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في سورية وغيرها من دور النشر ومؤخراً اتجهت لأدب الكبار وأصدرت ثلاثية روائية.

*** يقال إن الأديب إذا قلّ إبداعه للكبار فإنه يتجه للكتابة للأطفال - ما رأيك بهذا القول؟**

- لا أعتقد أن هذا صحيحاً، خذ مثلاً الشاعر الكبير سليمان العيسى، كتب شعراً عظيماً، وتوجه للطفل لأن الطفل بحاجة لأشعار العيسى التي تتميز بأنها مقنعة للطفل وتتسلل إليه من حيث لا يدري، فالطفل يحفظ هذه الأشعار ويفهمها بشكل تلقائي وعفوي - هناك البعض من الكتاب ظن أنه يكتب للأطفال ولكنه فشل لأن هؤلاء كتبوا عن الأطفال، فالفرق كبير بين أن أكتب للطفل أو أكتب عن الطفل، كتاب العالم الغربي عندما كتبوا للأطفال كتبوا بروية فلسفية وبعداً إنسانياً، فالطفل عندما يأخذ كتاباً ما يتدرج بفهمه مع مراحل عمره وعندما يصبح شاباً ويعود لهذا الكتاب يجد فيه مضامين أخرى، ولذلك على الكاتب أن يكتب بعقلية الطفل، بأسلوب الطفل، مع

على الرغم من أنها درست الهندسة الزراعية وحصلت على الماجستير في الاقتصاد الزراعي، إلا أن ميول «لينا كيلاني» الأدبية وموهبتها في مجال كتابة قصة الطفل والرواية سيطرت عليها فتفرغت لموهبتها ولتبدأ نشر أولى قصصها في صحيفة تشرين السورية عام ١٩٧٧م. وتطلق لينا بعدها بقوة وعزم في مجال أدب الطفل حتى وصل عدد المجموعات القصصية التي أصدرتها للطفل العربي يزيد عن خمسين مجموعة حتى الآن، ومنها ما صدر عن دور نشر مرموقة كدار الأهرام والمعارف ووزارة الثقافة السورية واتحاد الكتاب العرب.

كما نشرت مجموعة من الروايات للكبار ذات طابع علمي خيالي ومنها ثلاثية مدينة الأنكباء وجزيرة المسوخ والانفجار أم الاختيار (رواية المستقبل) وغيرها من الروايات. وتُرجم بعض نتاجها الأدبي إلى لغات عديدة منها الإسبانية والألمانية والسلافية والروسية وأدرج اسم لينا كيلاني في أكثر من عشرة موسوعات عالمية (Whos Who) في كامبريدج وأمريكا وهي عضوة في اتحاد الكتاب العرب وأمين سر جمعية أدب الأطفال فيه.

تتحدث لينا الكيلاني عن أدبها وبعض قضايا أدب الطفل العربي وعالم الرواية العربية وغير ذلك فتقول:

*** لماذا اخترت أدب الأطفال وتحديداً القصة الطفلية والرواية؟**

- الكتابة للأطفال من أصعب الأجناس الأدبية



إعداد : هشام عردة

- سوريا -

تكن جادة، عموماً أدب الأطفال فن جديد نسبياً وبعم المؤسسات له مازال قليلاً، ويلاحظ حالياً التوجه في البلدان العربية نحو الاهتمام به ولكن يبقى هناك كم من الأفلام المستوردة يضغط بحيث لا يدع حيزاً للإنتاج المحلي، وكذلك في مجال الكتب، إضافة إلى أننا بحاجة إلى اختصاصيين في علم نفس الطفل وفي ثقافته وتربيته، كل هذا الجمع يجب أن يتعاون معاً، ليقدم شيئاً جاداً وحقيقياً للطفل.

*** لدينا مواضيع كثيرة يمكن أن نقدمها للطفل وحتى يمكننا أن نتفوق على الغرب في ذلك، تراثنا وهو ضخّم وهائل لماذا لا نستفيد منه؟**

- نحن نعيش حالياً عصر الانترنت الذي يغزو كل بلدان العالم، فكيف نتقن الطفل العربي بأعمال محلية ساذجة وبسيطة وهو يشاهد أعمالاً متفوقة في الغرب. إذن نحن بحاجة لتقديم البديل، وقد قلت الصواب في سؤالك حول التراث، فالبديل يمكن أن يكون من تراثنا، الذي ينهبه الغرب تحت أعيُننا ويصنّونه، خذ مثلاً فيلم (علاء الدين) الذي حصد ملايين الدولارات في أمريكا، هو من تراثنا، تصور وضعوا أكثر من ٢٠٠ نموذج لشخصية علاء الدين ولم يتمكنوا من الحصول على الشخصية الحقيقية إلا عندما أسقطوها على شخصية توم كروز. خذ مثلاً (الجنّي) اشترك خمسون رساماً لتقديم نموذج لشخصية الجنّي، فأظهروا الجنّي على أنه المارد الذي يبحث عن متعته، لم يكن المارد الذي يقدم ما يملك مقابل انتعاقه، مفهوم المارد كما قدمه التراث العربي لم يفهمه الغرب ومع ذلك استفادوا منه. خذ الفتاة ياسمين مثلاً وما إلى ذلك... نحن قادرون على فهم التراث بشكل عميق وتقديمه بالشكل الحقيقي والصحيح للأطفال ومع ذلك فنحن لا نفعل شيئاً من ذلك، ونترك الغرب يتولى هذه المهمة ويشوه تراثنا!..

*** لنبقى في إعلام الطفل، ألا تلاحظين أيضاً**



مجموعة قصصية
موجه للأطفال من
مؤلفات لينا الكيلاني

مراعاة العمق في المضامين والبعد الإنساني، هكذا فعل كتاب الغرب. لذلك أصبحت كتبهم خالدة وذات

مضمون فلسفي، أحياناً، يعود إليها الإنسان في أي مرحلة من العمر وليس فقط في مرحلة الطفولة.

*** ما هي خصائص الكتابة للطفل العربي إذن؟**

- للطفل العربي بيئة خاصة وعلينا أن ننطلق من هذه البيئة لا أن نحدثه عن عوالم بعيدة عنه وعن عقليته. هذا أولاً، وثانياً أن نوقف المترجمات والمستوردات لأنها تفسد عقول صغارنا، ثالثاً: اللغة، يجب أن نجد لغة مبسطة وقريبة من الطفل، ليس اللغة الفصحى المخرفة في فصاحتها، وليس اللغة العامية المخرفة في عاميتها، حتى يفهما جميع الأطفال العرب في أقطارهم ويلدانهن. على كاتب أدب الطفل أن يركز على القيم وهي ثابتة وإن تغيّرت مدلولات القيم والمفاهيم، فمثلاً في البداية هناك الكرم العربي، وإذا تاه أحدهم في الصحراء ووجده أحد سكانها فمن واجبه استضافته ثلاثة أيام وتزويده بالمؤن والماء. الآن في بيوتنا العصرية المدنية اختلف الأسلوب وإن بقيت القيمة.

*** كيف ترين واقع إعلام الطفل، ألا تلاحظين أن ما يخص الطفل العربي في وسائل الإعلام المختلفة ليس كافياً؟**

- أعتقد أننا لم نقم بمحاولات جادة فعلاً في نشر أدب الطفل إعلامياً رغم أنه لدينا عدد كبير من الكتاب الجيدين والمتميزين في مجال الطفل، وهنا أتساءل لماذا نجح مثلاً برنامج افنتج يا سمسم؟ إنكنا على برنامج غربي ولكن وضعنا نصوصاً عربية، وكان يمكن أن نتّج ما هو أفضل من هذا البرنامج، ربما المحاولات لم

أن يقرأوا الأطفال المرحلة الثانية .. فأتنا إذا لم أقدم المادة الغنية والمنقعة للطفل يعزف عن الكتاب مهما كانت ألوانه جميلة .. نحن ككتاب مطالبون بتطوير أنفسنا .

* لننتقل الى أدب الكبار، أصدرت قبل فترة روايتك الثلاثية (المستقبل) هل هي فعلا رواية المستقبل؟

- نعم هي رواية للمستقبل بالمعنى العلمي، تناولت في هذه الرواية موضوع هندسة الجينات .

* يعني أنها رواية علمية ؟

- صحيح هي رواية علمية ولكن لا يعني أنها تقرير علمي، هي ضمن الاسس الروائية ومبادئ الرواية، أقول في مقدمتها «إن هذه الرواية ترصد ما تنتبأ به الاكتشافات العلمية التي تنتزع الإعجاب حتى الدهول بل حتى الفرع» .

اعتمدت على الجانب العلمي كمنطلق لهذه الرواية ولعلي استفدت من تجربتي في أدب الأطفال لأن أكون دقيقة في إيصال المعلومة التي أريدها والكلمة في مكانها تماماً .. الكلمة مشحونة بالطقس الذي أريده، فأخذت هذه المعلومات، ولعله عندي (هوس) بشيء اسمه هندسة الجينات وينبت عليه روايتي، وكذلك عن الاستنساخ والانسان المصنع، أريد أن أقول في هذه الرواية وأتساءل إلى أين يسير العلم وما هو مستقبل هذا العالم، هل هو المارد أو الشيطان الذي انفلت من القمقم (المارد الذي خرج من القمقم) الى أين سيصل بنا هذا العلم، هناك مقولات للخير والشر وما الى ذلك .. في الجزء الأول تناولت تفوق العلم ومنجزاته وما قدمه علم الوراثة من خدمات للبشرية، الجزء الثاني تناولت فيه أخطاء هذا العلم وماذا يمكن أن يجلب هذا العلم من كوارث للإنسانية، الجزء الثالث: هو الانفجار أو الاغتيال، وفيه الإجابة عن السؤال القائل: الى أين سيصل هذا العالم لو استمر في اندفاعه نحو العلم بهذه الطريقة.

أن هناك نقصاً شديداً في المجالات العربية الموجهة للطفل؟

- هذا صحيح، على الرغم من أن المجتمع العربي ونسبة الأطفال فيه مرتفعة، وهذا تقصير كبير بحق أطفالنا، وعلى المؤسسات الثقافية والاعلامية العربية أن تقوم بإصدار مثل هذه المجالات. ولكن كما ذكرت بدأ البعض يأخذ هذا الاتجاه ففي مصر هناك المجلس العربي للطفولة بدأ يطرح مشروع الشخصية الكرتونية العربية للطفل العربي، هناك بعض المؤسسات التي تهتم بكتاب الطفل ومنها مثلاً الهيئة المصرية العامة للكتاب، أعتقد أنها تطبع سنوياً حوالي ثمانية ملايين كتاب للطفل. هناك اهتمام ملحوظ في المملكة العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة بإصدار مجلات عديدة ومنوعة للطفل.

* كيف ترين واقع الصفحات المخصصة للطفل في بعض الصحف والمجلات العربية؟

- كنت أتمنى أن تكون هذه الصفحات للأطفال بالكامل فقط .. أي أن محرريها هم الأطفال أنفسهم، لقد شاهدت تجربة رائعة في الصين عندما زرتها قبل سنوات. هناك صحيفة يديرها بالكامل الأطفال فهم المحررون والمصورون ورئيس التحرير وسكرتير التحرير وما إلى ذلك كلهم من الأطفال .. هذا مشروع جميل جداً أتمنى أن يكون عندنا في العالم العربي مثله.

* ما هي برأيك الحلول لإيصال الكتاب للطفل العربي؟

- يجب أن يكون عن طريق المدارس وغيرها. وذلك بتوجيه الأطفال وربطهم بالكتاب وكذلك للأسرة دور في هذا المجال من خلال وعيها .. الأهل لا يهتمون بكتاب الطفل. قل لي من الأب الذي يقرأ الكتاب الذي يقدمه لابنه، ولكن عندما تكون الأسرة واعية ومثقفة وتطلع باستمرار على ما ينشر من كتب تستطيع أن تقدم لأطفالها التوجيه .. ويجب أن نقدم ما يجذب الطفل، صحيح أنهم قسموا الأطفال لمرحلة عمرية: أولى وثانية وثالثة. ولكن أعتقد أنه لا توجد هذه الفواصل فعلاً، الأطفال الأذكيا في المرحلة العمرية الأولى يستطيعون



في الرواية فهو يفرض نفسه عليّ، إذن بناء الشخصية يأتي من نسيج الواقع ولا يأتي من الخيال.

* هناك إشكالية البطل في الرواية العربية..

ما بين بطل ساذج وبطل مثقف مثلاً شخصيتان

يضع بينهما القارئ؟

- هنا تختلط الأدوار، وبالتالي فإن الكاتب لم يرسم الشخصية بالشكل الحقيقي. يمكن أن أتأول عملاً أدبياً أجد البطل فيه ساذجاً وفي منتصف العمل يقول كلاماً لا يصدر إلا عن أكبر مثقف.. إذن كيف حصل هذا التحول في شخصية البطل.. لا يمكن!

* ولكن الرواية كرسالة يجب أن تصل الى

المتلقي، هل يمكن أن يوصلها البطل الساذج؟

- حسب المقولة التي أطرحها، فلا أحمل مقولة كبيرة لشخصية في أصغر من الحدث.. الشخصية تكون قدر الحدث وحسب دورها.

* ما الجديد لديك؟

- قصص عديدة للأطفال، وعمل روائي بعنوان: (من أنا من أكون) عن الاستنساخ، هو موضوع معاصر.. تصور أن إنسانين مستنسخين كيف يمكن أن يكون العالم الداخلي لكل منهما؟.. كيف يمكن أن يعيشا في الحياة؟.. كيف يمكن أن تكون نظرتهم لهذه الحياة، وكل واحد منهما يشعر أنه ليس هو.. هو الآخر؟!

* ما هي طقوس الكتابة لديك؟

- من الممكن أن أجد خبراً علمياً صغيراً في مجلة أو صحيفة ويكون محفزاً لي لعمل أدبي كامل.. أعود فأرجع الى مراجع ومصادر لاتأكد من دقة المعلومة العلمية التي سأطرحها.. أبحث عن الخلفية الإنسانية أو الفلسفية أو الفكرية.. هناك مقولات عدة يمكن أن أطرحها من خلال هذا العمل الذي هو فكرة علمية.. العلم.. كما يقولون - جاف.. فإذا حدثك لساعتين عن هندسة الجينات ستمل، ولكن لن تمل إذا تناولت رواية هندسة الجينات بقالب أدبي جميل ولطيف..

* ما رأيك بأدب الخيال العلمي؟

- مهم جداً، ولكن كتاب الخيال العلمي لدينا في الوطن العربي يعدون على أصابع اليد الواحدة!..

* ما الأسباب برأيك؟

- لا أعرف.. لم أسأل نفسي هذا السؤال يمكن أن يكون بعدنا عن الحضارة والتكنولوجيا هو السبب، وعموماً فإن العلوم التي وصلوا إليها في الغرب استقوها من مؤلفات الخيال العلمي، في كثير من العلوم كانت هذه المؤلفات هي بذرة الأساس. الكاتب لا يكتب في الخيال العلمي إلا إذا كان لديه رصيد علمي، هو لا يأتي بشيء من الفراغ، هو جاء بشيء تحقق، وهو أخذ بذرة العلم وبنى عليها مقولته، ولذلك لعل عدم وجود الاتصال مع العلم المعاصر وراء قلة كتاب أدب الخيال لدينا.. ربما؟!..

* يقال حالياً أن الرواية في الوطن العربي

تتفوق على باقي فنون الأدب.. ما رأيك بذلك؟

- الرواية هي حياة متكاملة، وأعتقد أن في الرواية مساحة أكبر من فن القصة المعقدة أو الشعر، هناك الإلزام بجوانب هذه الحياة كاملة والمقولات التي تطرح من خلال الروايات. طبعاً، تختلف عن المقولات التي تطرح في القصة أو القصيدة أو الشعر، العصر أصبح بحاجة لشمولية الرؤية فما تحققه الرواية لا تستطيع الفنون الأخرى أن تقوم به، وأعتقد فعلاً أن الرواية تتفوق على باقي الفنون الأخرى.

* إشكالية البطل في الرواية كيف تتعاملين

معها، ما هو البطل عنده؟

- عندما أركب شخصية البطل تركيباً، وأصنعه من نسيج خيالي سيكون البطل ميتاً من بداية الرواية.. البطل يجب أن يكون كائناتاً حقيقياً له مواصفات شخصية مثل أي شخصية إنسانية أخرى.. يجب أن أدرس الشخصية الإنسانية وأنخل إلى أعماقها لاستطيع أن أخلق أبطلاً..

فالبطل عندما تكون شخصيته مبنية بشكل حقيقي

مناظرات علمية

٤٩٢ هـ

الفيديو، وألعاب الكرة، مما لا نفع وراءه غير ما يجنى التبدل والإسفاف.

والمناظرات في التراث الاسلامي تاريخ أي تاريخ، حيث ازدهرت في العصر العباسي، حين انتشرت مسائل الكلام، وقام العلماء بالرد على الزنادقة والملاحين، ثم انتقل الحوار الى المسائل الفقهية، فكانت تعقد المناظرات بين علماء المذاهب المختلفة، وكانت تسير على نهج حميد تارة، وتتحرّف الى الادعاء والتهجم تارة أخرى مما دعا الإمام الغزالي الى عقد شروط للمناظرة الصحيحة، منها أن يكون المناظر مجتهداً يفتى برأيه، ولا يتقيد بمذهب، كي يرجع للحق متى اتضح له، ولا يناظر إلا في مسألة وقعت فعلاً أو قريبة الوقوع كيلا يتسع المجال للمسائل الفرضية التي يكثر فيها اللجاج دون جدوى، وأن تكون في الخلوة على وجه الاستحباب لأن العدد الكثير يبعث المناظر على التمسك برأيه حياً للسيطرة والاستعلاء، وأن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو يد غيره، ويرى مناظره زميلاً له في معركة واحدة لا خصماً يتحده. وأن يناظر من يتوقع الاستفادة منه من أهل العلم لا من يحسنون الكلام المنق دون تعمق في المضمون.

وهذه شروط جيدة أضاف إليها الإمام الغزالي شروطاً أخرى، وعدد مثالب المناظرات وأفاتها، فذكر منها الحسد والتكبر، والترفع على الناس، والخذاع، والاستكبار عن الحق والمراة فيه مع وضوحه والرياء.

حضرنا في الثلاثينيات والأربعينيات كثيراً من المناظرات الأدبية والاجتماعية بالجامعة المصرية، وقاعة يورث، بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، فكان لها نوي كبير، وجمهور يتعدها بالحضور الدائم، ولا أدري لماذا خبت جذوة هذه الندوات الفكرية، وهي ضرورية جداً في هذا الزمن الذي انتشرت فيه وسائل اللهو، فانصرف الناس عن العلم والكتاب الى المسلسلات الهابطة، وأشرطة الكاست، وملهي



شذرات الذهب

المنهل

ونشير اليوم الى بعض المناظرات التاريخية التي
دونت في كتب العلم، وتناقلها الدارسون.

٤٩٣ بين الأشعرى والجبائي :

نقل ابن خلكان في وفيات الأعيان مناظرة بين
أبي الحسن الأشعرى شيخ أهل السنة وأبي عليّ
الجبائي شيخ المعتزلة في مسألة «رعاية الأصلح
ووجوبها على الضالّ» كما يذهب المعتزلة وقد
عارضها الأشعرى فاتجه الى الجبائي قائلا:

ما رأيك في ثلاثة إخوة، أحدهم كان مؤمنا بآراء
تقيا، والثاني كان كافرا فاسقا شقياً، والثالث كان
صغيرا فماتوا على حالهم؟

قال الجبائي: أما المؤمن البار التقى ففي
الدرجات (يريد الجنة) وأما الكافر ففي الدرجات
(يريد النار) وأما الصغير فمن أهل السلامة (أي أنه
لا يعذب).

فقال الأشعرى: إذا أراد الصغير أن يذهب الى
درجات التقى البار فهل يؤذن له؟

قال الجبائي: لا، لأنه يقال له إن أخاك إنما
وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعته الكثيرة، وأنت
لم تكن مثله.

قال الأشعرى: فإن قال الصغير، التقصير يارب
ليس مني، فإني لم أعش حتى أطيع وأعمل
الصالحات، فيما إذا يرد عليه؟

قال الجبائي: يقول له الباري جل وعلا، كنت أعلم
أنك لو بقيت لعصيت، وصرت مستحقاً للعذاب،
فراعت مصلحتك ومت صغيراً.

قال الأشعرى: فإن قال الكافر الذي دخل جهنم
يارب وإنك كما علمت حال أخى الصغير علمت
حالى، فلم لم أمت صغيراً حتى أتجنب العذاب! ولم
راعت مصلحته ولم تراع مصلحتي؟

قال الجبائي (منفعلاً) إنك مجنون!

فقال الأشعرى: لا، بل وقف حمار الشيخ في
العقبة، وسكت الجبائي دون رد، قال ابن خلكان
تعليقاً على هذه المناظرة، وهذه المناظرة دالة على أن
الله عز وجل خص من شاء برحمته، وأن أفعاله غير
معلّله بشيء من الأغراض.

٤٩٤ (مناظرة نحوية) :

اشتهرت مناظرة سيبويه مع الكسائي في
مجلس يحيى بن خالد البرمكي اشتهاً كبيراً، حتى
ألفت فيها الكتب، ونظمت القصائد، لأن التذليل
والزور قد وقفوا دون الإنصاف، وسأوى موجز
خبرها كما ذكره أستاذنا الشيخ محمد الطنطاوي
في كتابه «نشأة النصوص» حيث قال: طمعت نفس
سيبويه الى الشخصوس الى بغداد أملاً في الحظوة
لدى الخلفاء، فارتحل إليها وما يدرى ما خبأه الغيب
له، فربّ ساع لحقته، كما قال الشاعر:

والمرء قد يرجو الرجاء .. مؤملاً والموت دونه !
ونزل ضيفاً عند يحيى بن خالد البرمكي وزير
هرون الرشيد، فاعتزم يحيى الجمع بينه وبين
الكسائي، بعد أن عرّف الرشيد جلية الأمر، وعين
يوماً للمناظرة، فحضر سيبويه أولاً، وتلاقى مع

ويرى جمهرة العلماء أن السياسة قد لعبت دوراً كبيراً في هذا الموقف إذ تُصَوَّرُ الأمر على أنه حُكْمٌ بين البصرة وبغداد لا بين سيبويه والكسائي، وما وافقت العرب الكسائي إلا لعلمهم أنه ذو حظوة عند الرشيد وحاشيته، وهم على يقين أن الحق مع سيبويه، على أنه رَوَى أَنَّهُمْ قالوا ذلك بإيعاز من رجال الدولة، ولذلك طلب سيبويه أمرهم بالنطق بها لكنه لم يستمع إليه، يقول العلامة الشيخ محمد الطنطاوي: وبعد، فلن الحق مع سيبويه، والقرآن الكريم أصدق شاهد له، إذ يقول الله تعالى (فإذا هي بيضاء للناظرين) ولو ثبت النصب لكان خارجاً عن القياس واستعمال الفصحاء، ولذا تحمل النحويون للنصب التأويل على أوجه رُدَّتْ عليهم، وفي «كتاب نفع الطيب» للمقرئ فصل خاص بهذه المسألة، وما قيل فيها تكلفاً وتعنتاً والرد على ذلك.

أقول: ما كنت أظن أن الخلاف في إعراب كلمة يكون هو وحده مجال المناظرة، وموضع الترجيح، كان الأجدر أن تثار مسألة نحوية ذات أصل وفروع واستشهاد، ليدلى كل إمام برأيه في إسهاب وإشباع، ومعه الدليل من النصوص العربية المعترف بها، أما أن يكون النقاش في كلمة واحدة، ثم يكون الأعراب وحدهم الحكم، وهم مدلسون موهون فهذا ما يستغرب حدوثه في مجلس يحيى بن خالد ولكن المؤامرة قد نبُرت بلبيل، ان كانت كما يقول الرواة.

الفراء والأحمر تلميذ الكسائي، فسألوهم وجعلوا يُحْطَنَانِ في الإجابة وأغلظا له القول، فقال لهما: لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما، يعني شيخهما الكسائي، وجاء الكسائي فَغَصَّتْ الدار بالحضور على مشهد من يحيى وابنه جعفر وبدأ الكسائي الحديث، فقال لسيبويه: تسألني أو أسألك، فقال سيبويه: سل أنت فقال له: هل يقال كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي؟ أو يقال فإذا هو إياها، فقال سيبويه فإذا هو هي ولا يجوز النصب، فسأله عن أمثال ذلك مثل، خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم، فقال: كله بالرفع، واحتدم الخلاف بينهما طويلاً، فقال يحيى، قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هؤلاء هم الأعراب ببابك، وفدت عليك من كل صقع، يُحْضَرُونَ ويُسْأَلُونَ، فقال يحيى: لقد أنصفت، واستدعاهم فتابعوا الكسائي، فاقبل الكسائي على سيبويه وقال له: قد تسمع أيها الرجل، فاستكان سيبويه، وانقبض خاطره، فقال الكسائي ليحيى: أصلى الله الوزير، إنه قدم إليك راعباً فإن شئت ألا ترده خائباً. ففرق له يحيى وجبر كسره، فخرج من بغداد وتوجه إلى فارس يتوارى من الناس من سوء ما لحقه، ولم يقدر أن يعود إلى البصرة، وكان إمامها دون منازع، فمات غماً بفارس في ريعان شبابه، وقال في احتضاره متمثلاً:

يؤمل ندياً لتبقى له

فوافى المنية دون الأمل

قال الشيخ لأحمد، هل علم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً مما تقول من خلق القرآن الكريم؟ فقال أحمد في تردد! نعم... قال الشيخ: وهل دعا الناس إلى الإقرار بذلك؟ قال أحمد: لم يدع إلى شيء، قال الشيخ هل علم به الصحابة والخلفاء الراشدون، قال أحمد: لم يعلموه، فقال الشيخ، وإذا لم يعلموه، فكيف تعلمه أنت؟ ثم التفت إلى الوائق، وقال سجل ذلك عليه يا أمير المؤمنين.

قال أحمد، إنهم علموه ولم يذيعوه! فقال الشيخ وإذا لم يذيعوه، فكيف تذيعه أنت، وتعذب الناس عليه؟ ثم التفت إلى الوائق فقال له: سجل ذلك عليه يا أمير المؤمنين! ونظر الخليفة إلى أحمد فوجده مضطرباً لا يستطيع أن يجيب، فقال للشيخ، انصرف يارجل، انصرف يارجل! وأنهى المجلس وهو يتساءل بينه وبين نفسه؟ كيف ندعو إلى شيء لم يذعه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولم يذعه الخلفاء الراشدون، ولم يذعه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين!

كنت أود أن يسجل التاريخ اسم هذا البطل الجري، ولكن الذين رَووا المناظرة قالوا إنه شيخ فاضل جاء من بلدة تسمى (أذنه) على شاطئ نهر سيحان، فقام مقاماً لم يقمه سواه، وكان لا يتيقن من نجاته حين جابه الطغيان ولكنه أصر...

ألا صلى الإله على نفوس

تري في الحق مصرعها لزاما

اشتد الخلاف في مسألة خلق القرآن الكريم، وتورط المأمون والمعتصم والواثق في تعذيب كبار الفقهاء وسجنهم، ومنهم من قتل مظلوماً، حتى عم الخطب، وهي جريمة أليمة ما كان للمأمون أن يقع فيها وهو المنادي بحرية الرأي. ولكن تأثير المعتزلة عليه كان شديداً، وكان من عاداته ومن جاء بعده أن يعقدوا مجلساً للمناقشة يتصدره أحمد بن أبي دؤاد، ليناقش من ينكر أن القرآن الكريم مخلوق، ثم يحكم عليه ظلماً دون حق، وفي مجلس من هذه المجالس المتكررة، جلس أحمد بن أبي دؤاد في حضرة الوائق بالله ليناقش عالماً لم يذكر التاريخ اسمه، ولكن قيل إنه شيخ مهيب صمم على أن يجابه الباطل مستشهداً دون حذر، فتقدم على الرأس إلى ابن أبي دؤاد.

فقال له: ما تقول في القرآن يا شيخ؟ فرد الشيخ في نبرة عالية: دعني أسالك أنت قبل أن تسألني: هل كتم محمد (صلى الله عليه وسلم) شيئاً من الرسالة؟

قال أحمد: لا لم يكتم شيئاً! قال الشيخ: أتحفظ قول الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)؟ قال نعم؟ قال الشيخ: هل دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى القول بخلق القرآن مع أنه لم يكتم شيئاً؟ قال أحمد: لم يدع إلى ذلك، فالتفت الشيخ إلى الوائق، وقال له بلهجة مطمئنة سجل ذلك عليه.

مسك

الختم

مكتبة الإسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
الكلمة ..
أمانة !!

الكلمة في الإسلام شأن عظيم، ووزن ثقيل، وأثر بالغ، كيف لا وقد جعل الإسلام مفتاح الدخول فيه تلك الكلمات القليلة العدد، العظيمة القدر والأثر: (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، فمن قالها فقد عد من المسلمين .

وفي التنزيل قسمت الكلمة إلى قسمين: الكلمة الطيبة ، والكلمة الخبيثة، فالطيبة لها مجالها ولها روادها، ولها معتقوها، والأخرى - أيضاً - لها آثارها وجراحاتها (ولا يلبث ما جرح اللسان). ولها وكالاتها التي تبثها صباح مساء في كل زمن وفي كل بلد .

قال تعالى: {ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار} (سورة إبراهيم) .

ما أعظمه من تشبيه حيث شبه الله الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وشبه الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة .

إذن فهناك كلمة طيبة، وأخرى خبيثة، فالأولى وظيفتها الإصلاح والبناء والعمل على استقامة الفكر، وبث السجيا والفضائل، والأخرى هدفها التخريب والفساد والهدم وإشاعة المنكرات، والعمل على أعوجاج الفكر .

ومما يؤكد أهمية الكلمة ويبين مكانتها كونها أمانة أوتمن الإنسان عليها:

- ١ - مسؤولية الإنسان أمام ربه (جل وعلا) عن هذه الكلمة، فهو محاسب عليها، قال تعالى: {ما يلغظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} .. يقول ابن كثير (رحمه الله) : أي: إلا ولها من يراقبها معتد لذلك بكتبتها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: {وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون} .

- ٢ - إن كلمة واحدة يتساهل فيها الإنسان ولا يلق لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفاً وتجعل مصيره إليها، قال (صلى الله عليه وسلم): «رب كلمة تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفاً» .
- ٣ - ومما يدل على أهميتها أن الرسول الكريم جعل ضمان ما بين الفكين (اللسان) سبباً من أسباب ضمان الجنة، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) «من ضمن لي ما بين لحييه .. ضمنته له الجنة» .

- ٤ - حملت إلينا النصوص الشرعية الكثير من النهيات، وحوت الكثير من كباثر الاثم، وترتبت على بعضها (اللعن أو التحقير في الدنيا، أو الوعيد الشديد في الآخرة)، ومردها إلى ما يتلطف به الإنسان من كلام، فإله (من وجل) نفى عن قول (آب) للوالدين، وعدت من العقوق، ونهى عن السب والشتم واللعن وكلها قوليه، ورتب حداً في الدنيا على (القذف) ولا سبيل إليه إلا بالقول .. الخ .

ومن الأمور المعترية في (الكلمة الطيبة) حتى تؤتي ثمارها ..

- (١) إن الكلمة الطيبة - خاصة إن كانت على حق - فهي أفضل أنواع الجهاد، كما أخبر بذلك الرسول الكريم فقال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .
- (٢) أن تكون هذه الكلمة صدقاً، فالكذب أمر محظور في الإسلام، وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي حثت على الصدق، ورفعت منزلة الصديقين، وفي المقابل نهت عن الكذب، وحطت من قدر الكاذبين .

- (٣) يشترط (الإخلاص) في هذه الكلمة بأن يراد بها وجه الله في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسعي في الإصلاح بين الناس، وإظهار الحق ودفع الباطل أو نصرة المظلوم والحث على الخير والتحذير من الشر .. قال تعالى: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصيغة أو معروف أو إصلاح بين الناس} .

- (٤) أن يكون الإنسان مدركاً لهذه الكلمة، عاملاً بموجبيها، متمثلاً لما يدعو إليه في واقعه العملي، لأن الله ذم من يامر بامر ولا يأتية، قال تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} .. وقال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد ذم الله الذين يقولون ما لا يفعلون، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} .

- (٥) إن النبي (صلى الله عليه وسلم) عداها صدقة من الصدقات فقد قال (والكلمة الطيبة صدقة) .
- (٦) إنها من الأعمال التي يجري أجرها على الإنسان بعد موته، وانقطاع صلته بالدنيا فقد قال (صلى الله عليه وسلم) «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

والعلم المنتفع به هو تلك الكلمة التي صدرت من الإنسان سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة .

فلا تكتب بكفك غير شيء

يسمرك في القيامة أن تراه

بظم:

على العمري
- الباحة -

المنهل

١٧٦



للجاذبين
فى الشراء
.. والحريصين
على التميز

شقة فاخرة فى ارقى المواقع المطله على النيل الخالد بالقاهرة

- تطل على النيل مباشرة (كورنيش المعادي) .
- تطل على جزيرة الذهب ولها اطلالة على الاهرامات .
- موقع مثير يجمع بين الراحة والمتعة .
- تشاهد مدينتي القاهرة والجزيرة حتى مابعد الاهرامات .

موقع يدرك ولا يدرك

- مجهزة تجهيزاً كاملاً : أثاث فاخر ، ديكورات حديثة ،
تكييف هواء كامل ، أجهزة كهربائية .

للمعاينة الاتصال بجوال رقم (٠٠٢٠١٢٢٤٠٤٦١٨) عناية المهندس ماهر (القاهرة)

للاستفسار الاتصال هاتف (٦٤٣٢١٢٤) ٠٠٩٦٦٢ جدة



... تجمعنا روح واحدة

باتسجام وإنسيابية تسير كافة
العمليات بين الإدارات والوحدات
المختلفة في البنك وتصب
ضمن إهتمامنا بخدمة العميل .

فرق
رئيسي
يجعلنا
قدوة

